



جامعة العربي التبسي - تبسة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



عنوان المذكرة:

التفكير التداولي عند ابن رشيق القيرواني من خلال كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه: الطور الثالث ل.م.د في اللغة والأدب العربي

تخصّص: اللسانيات التطبيقية

إشراف البروفيسور:

رشيد سهلي

إعداد الطالبة:

حليمة مسعي

لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
صالح غريبي	أستاذ	العربي التبسي تبسة	رئيسا
رشيد سهلي	أستاذ	العربي التبسي تبسة	مشرفا ومقررا
رزيق بوزغاية	أستاذ	العربي التبسي تبسة	ممتحنا
مالك عوادي	أستاذ محاضر أ	محمد الشريف مساعديّة سوق أهراس	ممتحنا
نسيمة شمام	أستاذ محاضر أ	عباس لغور -خنشلة-	ممتحنا
سليم حمدان	أستاذ محاضر أ	الشهيد حمه لخضر -الوادي-	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

«هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» (سورة النمل، الآية 40)

الحمد لله استكمالاً لنعمة واستتماماً لفضله فإنه خير من خزن وأفضل من وزن وبعد:

كم تتناثر الكلمات حبراً وفكراً عند شكر الأستاذ الدكتور الفاضل "رشيد سهلي" الذي أشرف

على هذه الرسالة فوفى، ووجهني وأشرف على إنجاز أطروحتي، فلکم مني

أساذي الكريم جزيل الشكر والامتنان .

إلى كل من شاركني من قريب أو من بعيد .

ولأنسى في هذا المقام أعضاء اللجنة الموقرة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وتقويمه .

والله أسأل التوفيق والسداد

الإهداء

إلى أمي التي لم تبخل علي بنصائحها القيمة والتي شجعتني في كل لحظة
والتي تقف بجانبني دائما .

إلى أبي الغالي الذي تعب من أجلي وكرس الكثير من وقته ليقف سندا
ومساعد لي، فمهما قلت ومهما كتبت ومهما فعلت فلن أوفيهما حقهما أطال الله في عمرهما
ورزقهما الصحة والعافية .

إلى الذين يشكلون جزءا من كياني، ويعدون مصباحا يندرج حياتي
أخواتي وإخواني: (خولة، شيماء، آية، الرحيم، علي) .

إلى رفيق دربي زوجي الغالي "عبد الحميد بوغرارة" ولأنسى ابنتي الغالية نور
حياتي "أبرار" حفظهم الله .

مَقْرَمَةٌ

إنّ التراث العربي لديه الدور البارز والأكبر في الدراسات الحديثة، لذا علينا الوعي بإعادة قراءته والاهتمام به في دراساتنا وربطه بالدراسات المعاصرة وإسقاط الضوء على العديد من آياته لكشف الروابط الوطيدة بينهما، وإذ نحن بصدد هذه المقدمة لسنا بحاجة لإعادة التراث والتذكير بأهم ما جاء فيه من بلاغة ونحو وغيرهما، وإلى إثبات ما قدمه لنا علماءنا من اقتدار واضطلاع في دراساتهم وبحوثهم، بقدر ما نحاول كشفه من ملامسات وأسرار هذا التميز والتفوق الحاصل في معالجة الظواهر اللغوية مقارنة بالنظر للدراسات المعاصرة ومناهجها البحثية في الوصف والتحليل.

ومن هذه الدراسات المعاصرة نجد اللسانيات التي تمثل حقلاً واسعاً من حقول المعرفة الإنسانية والتي تعنى بدراسة اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية تواصلية هدفها التبليغ فتقدم العلوم وازدهارها أسهم في ظهور العديد من التخصصات الجديدة التي جعلت للغة وظائف متعددة واستعمالات مختلفة، ومن هذه المجالات والتخصصات المعرفية: لسانيات النص واللسانيات الوظيفية والتداولية والعرفانية.

واللسانيات التداولية تسعى لدراسة اللغة أثناء الاستعمال، بحسب مقاصد وأغراض المتكلمين، كما تعنى بالاهتمام بأقطاب العملية التواصلية فتهم بالمتكلم ومقاصده والفائدة من خطابه والأساليب والآليات التي يعتمدها في العملية التخاطبية، وذلك لنجاعة العملية التواصلية، ولعلّ هذا ما جعلها تتقاطع مع التراث العربي القديم وبخاصة الدراسات البلاغية، فالمطلّع عليها يجدها تهتم بدراسة مختلف التعبيرات والوظائف اللغوية وتبحث في العلاقات القائمة بينها.

ونظراً للمكانة التي حظي بها التراث البلاغي، كانت الرغبة في الكشف عن الآليات والأبعاد التداولية فيه أكبر وبيان مدى تأثيرها لفكر علمائنا، فكان تركيزي على أحد أهم الكتب المصنفة في التراث البلاغي والنقدي وهو كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" لابن رشيق القيرواني (390-456هـ) محاولة البحث في مظاهر اللسانيات

وأبعادها التداولية باعتبار أن هذا الكتاب يشمل العديد من الآليات البلاغية والعناصر التواصلية التي تهتم التداولية بدراستها والتعمق فيها.

وهذه الدراسة انبعثت من جملة إشكالات شغلت فكري تفرعت عن إشكالية عامة وهي:

- ما الملامح التداولية التي يحويها كتاب العمدة لابن رشيق بعده كتابا يضم كثيرا من

علوم البلاغة وعناصر التداول، ويحاول البحث في المعنى بجميع مستوياته؟

وتفرع عنها ما يلي:

- إلى أي مدى يمكن إبراز نهج ابن رشيق وطريقته في كتابه "العمدة" لدراسة المقاصد

ومعاني الكلام والشعر؟ ما هو منهج ابن رشيق في دراسته وتقديمه لعلوم البلاغة

بحثا عن المعنى؟ وهل له ما يبرره في الدراسات اللسانية لاسيما اللسانيات

التداولية؟

- هل ركز ابن رشيق في كتابه (العمدة) على عناصر التداول في البلاغة العربية؟

وهل التفت إلى دور المقام والسياق في العملية التواصلية؟

ركز ابن رشيق في كتابه "العمدة" على ممارسة خاصة للحجاج بصورة واضحة وجلية،

فهل يمكن انطلاقا من طريقة طرح ابن رشيق لهذه الآلية المهمة في علوم البلاغة أن

يتبين النظرية الحديثة للحجاج في اللسانيات التداولية، كما ركز على أغراض الشعر

ومقاصده التي يمكن من خلالها أن نعقد مقارنة بينها وبين نظرية الأفعال الكلامية ونظرية

الاستلزام الحوارية لبول غرايس؟ وما دور السياق والمقام في كل ذلك؟

إنّ الهدف من دراستنا هذه هو كونها تحاول الكشف عن أهم نقاط التقارب والتقاطع

بين الرؤيتين التراثية والمعاصرة والكشف عن الأبعاد التداولية للتراث العربي القديم وعن

أهم عناصر التداول والتواصل، وبالرغم من الاختلاف الاستيمولوجي بين الرؤيتين،

حيث أنّ المجال التداولي متباين عن التراث العربي القديم وبخاصة في الدراسة والآليات

المعرفية، ومن هنا كان البحث بغرض الكشف عن الأدوات الإجرائية التراثية -التداولية والبلاغية- دون إهمال السياقات التي تحتضنها.

وكذا السعي الحثيث للكشف عن المقاربة التداولية مع التراث العربي وما يزخر به من معارف وآليات بلاغية، بالإضافة إلى التأسيس للبعد والفكر التداولي في بلاغة ابن رشيق ونقده، وإثبات أن العناصر التواصلية لم تكن المعطيات الوحيدة التي قدمها ابن رشيق واعتمد عليها في كتابه، حيث ركز على الشاعر وصفاته وآدابه والمرتكزات التي يجب أن يقوم عليه شعره واهتمامه بأحوال السامع ومقاماته.

كما تهدف الدراسة أيضا إلى إثبات وتأكيد أن ابن رشيق لم يكن صاحب نظرة تقليدية منغلقة إلى اللغة والشعر والبلاغة، بل إن هذه العلوم والنظريات سارت عنده وفق مبادئ الاتجاه التداولي وإجراءاته، ودليل ذلك اهتمامه بالشاعر وكما يحيط به والدفاع عنه وعن السامع وعلاقة كل منهما، وبمحور الحديث وهو الشعر وحتى الخطاب قرآنا أو حديثا والظروف الحافة به، بالإضافة إلى ما يتركه الشعر والخطاب في نفس المخاطب وبالتالي اهتمامه بالمقام والقصدية بالدرجة الأولى.

وكذا اكتشاف الطرح التداولي -بوصفه جانبا من جوانب التفكير البلاغي- عند ابن رشيق من خلال كشف وجوه التقاطع والالتقاء فيما بينها.

بالإضافة إلى الوقوف على نقاط الالتقاء بين الدرس التداولي والفكر العربي القديم (البلاغي خاصة).

فبالتالي الهدف من هذه الدراسة إذا يكمن في محاولة تأصيل الفكر اللغوي التراثي في عصر يعرف العديد من التغيرات اللسانية والمنهجية ويعجّ بالمعارف والمعلومات المختلفة.

ولقد سلكت الدراسة في مكوناتها وآلياتها وتحليلها إلى اعتماد الدراسة التأصيلية والتي رأيتها كفيلة بضبط عناصر البحث في صورة موضوعية مناسبة من خلال استقصاء الأبعاد التداولية من فكر ابن رشيق في كتابه العمدة، كما اعتمدت في ذلك إلى الاستعانة بالمنهج الوصفي، وذلك نظرا لطبيعة الموضوع الذي يقف على وصف الظواهر اللغوية والعناصر من سياق ولغة غيرها.

يبدو أن ابن رشيق في كتابه كان ناقدا ومفكرا حاملا رؤية مميزة، فهو يعرض لمجموعة من الآليات والمعطيات مع إبداء آرائه المتميزة ونقده لها نقدا بناء محكما، مع تأويله للشواهد، فضلا عن استشاده بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشواهد الشعرية، والأمثال والأقوال المروية عن العرب، وبذلك كان سبب اختيار اللسانيات التداولية للتطبيق على فكر ابن رشيق أنه اهتم بالشعر والشعراء، أي باللغة والخطاب أثناء الاستعمال بوصفها ظاهرة خطابية تواصلية تحوي قوة إنجازية، مع تركيزه على الشعر وهو ما يصلح للتطبيق لأنه يحتوي العديد من الأغراض والأساليب والأدوات التي يستعملها الشاعر للدلالة على القوة الإنجازية التي يقص تضمينها لشعره مثل: التقديم والتأخير والحذف والإيجاز والإطناب والمساواة والمقام، وغيرها ولاسيما عند البلاغيين مع تركيزه على علمي البيان والبدیع، مع إضافة كل ما يلزم منهما من آليات موضحة ومساعدة، ولعل هذا ما يجعل منه نبعاً صافياً للبحث عن أبعاد ومظاهر اللسانيات التداولية، وبيان مدى استيعاب فكر ابن رشيق للتقريب التداولي وتطبيقه في كتاب العمدة.

ومن دواعي اختيار موضوع هذا البحث ما يندرج تحت أسباب ذاتية وأخرى موضوعية فمن الذاتية نذكر:

- رغبتني الجامعة في الاطلاع على الدراسات التداولية والبلاغية عند ابن رشيق القيرواني.

- محاولة الكشف عن الجانب التداولي عند ابن رشيق باعتبار أغلب الدراسات حوله كانت نقدية وأدبية فحاولت التركيز على هذا الجانب.
- أهمية النظرية التداولية بالنسبة للدراسات الحديثة والبلاغة بالنسبة للدراسات القديمة فأردت كشف الرابط القوي ونقاط التشابه والاختلاف بينهما.
- وما زاد إقدامي على تناول هذا الموضوع من الناحية الموضوعية هو تنوير الجانب التداولي عند الناقد ابن رشيق القيرواني لأنّ جلّ الدراسات أغفلت هذا الجزء وركزت على الجانب النقدي لديه. إلاّ أنّه هناك بعض الدراسات التي أشارت إلى الناقد ابن رشيق في مجال النقد بصورة أوسع من الدراسة التداولية نذكر منها:- معايير الحكم النقدي عند ابن رشيق من خلال كتابه (العمدة) لسعودي نوارى أبو زيد - تلقي خطاب ابن رشيق النقدي بين المشاركة والمغاربة للطالبة لعيب لويزة - تخصص لغة وأدب عربي (2019)، ومن الدراسات التي أشارت له من الجانب التداولي في أطروحة دكتوراه في اللسانيات للطالب واضح أحمد تحت عنوان: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري ، ولكن كدراسة كاملة واضحة المعالم وبحث معمق من الناحية التداولية لم ألحظ ذلك ولذلك حاولت أن أبيّن هذا الجانب وأزيل الغموض عنه.

واعتمدت في هذا البحث على بناء قوامه مقدمة مصحوبة بثلاثة فصول وخاتمة، أمّا الفصل الأول فهو معنون بـ: النظرية التداولية قراءة في الموضوع، المنهج والإجراء تضمن إطاراً نظرياً يقدم مفهوم التداولية وأهميتها وتعريفات الباحثين لها واختلافهم في ذلك باختلاف نظرتهم ودراساتهم للتداولية مفهوماً ومنهجاً، وكذا الأصول الفلسفية لنشأة اللسانيات التداولية وتطوراتها المتعاقبة التي مرت على العديد من الفلاسفة والعلماء اللغويين، وكذا تعرضت لأهم نظريات الدرس التداولي: كنظرية الأفعال الكلامية ومتضمنات القول والاستلزام الحوارية والإشاريات والقصدية والحجاج، ثم يتناول موقع

التداولية وعلاقته بالعلوم الأخرى المختلفة من أهمها: المناهج اللسانية، البلاغة، النحو الوظيفي والعلوم المختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها، إذ تشارك هذه العلوم مع التداولية طريقة البحث عن المعنى اللغوي واستعمالاتها المختلفة ويتطرق البحث بعد ذلك إلى إظهار الأبعاد التداولية في الدراسات العربية القديمة كالفردية والسياق والمقام والحجاج والاستلزام الحوارية.

أما الفصل الثاني فوسمته بـ: عناصر التداول عند ابن رشيق فعرضت فيه نبذة عن حياة ابن رشيق القيرواني وأهم مؤلفاته، وكذا إلى مفهوم الشعر في التراث العربي وتعريفاته المتعددة، كما تعرضت لأهمية البلاغة العربية وعلاقتها بعناصر التواصل وكيفية مراعاتها لأحوال وأغراض أطراف العملية التواصلية، كما تناول الفصل جملة من التداوليات لعناصر الخطاب كتداولية المتكلم ومراعاته للأحوال المختلفة التي تحيط بعملية الخطاب والسامع، وكذا تداولية المخاطب في البلاغة العربية وعنايتها بالمقام والأساليب المختلفة، أضف إلى ذلك تعرضنا لثنائية اللفظ والمعنى وما يندرج ضمنها من اشتراك واستطراد وتخلص وخروج بالإضافة إلى أهم عنصر تهتم به البلاغة والتداولية معا هو الفعل التأثيري "الالتفات" وختم هذا الفصل بتداولية الخطاب في ذاته عند ابن رشيق.

أما الفصل الثالث فوسمته بالأبعاد التداولية عند ابن رشيق من خلال كتابه "العمدة" وقد تضمن آليات الحجاج البلاغية لعلمي البيان والبدیع، وكذلك لنظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحوارية وتجليها في فكر ودراسة ابن رشيق في كتابه.

ثم خاتمة للموضوع تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وما يدعو إليه من توصيات.

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع أهمها: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحرأوي، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد

نحلة، استراتيجيات الخطاب: مقارنة تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري، الحجاج مفهومه ومجالاته لحافظ إسماعيل علوي وغيرها من الكتب الفذة والتميزة.

وقد اعترتني صعوبات في سبيل إنجاز البحث أهمها:

- صعوبة البحث في اللسانيات كونها نظرية واسعة لما يكتمل بناؤها بعد واحتضنت العديد من المصطلحات والمفاهيم المختلفة مما صعبت لنا الرؤية الواضحة في تحديد التعريفات والمصطلحات وضبطها، بيد أنني تجاوزت ذلك بقدر المستطاع.
- صعوبة الإلمام والتطبيق واستقصاء الأبعاد التداولية على فكر ابن رشيق باعتباره ناقدا وشاعرا ومقدما للعديد من الشواهد الشعرية والأدلة القرآنية والحديث أكثر فيصعب علينا بذلك الإلمام بالجوانب التداولية في هذا الكتاب.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور سهلي رشيد على توجيهاته وإرشاداته في هذا البحث، كما أتقدم بخالص الثناء والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة التي أهلت الموضوع، ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وامتناني للدكتور محمد مباركي على إعانته ومساعدته وتقويماته في هذا البحث.

وختاما أرجو أن يكون البحث قد وفق في مبتغاه.

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل، والله وراء القصد.

الفصل الأول:

التنظير والتدليل؛ قراءة في

الموضوع.

1- تمهيد:

لا شك أنّ المحدثين العرب لم ينطلقوا في دراساتهم وبحوثهم من نقطة الصفر، بل ورثوا عن أسلافهم ذخيرة وتركبة نحوية ضخمة، تعجّ وتزهر بالمعلومات والمعارف تعد من أنفس المواريث كادت تمحى وتبلى مع مر العصور والأزمات لم لحقها من إهمال وضياع ولكن جهود الدارسين لم تذهب سدا، بل نفض الغبار عن كنوزها، طائفة من دارسي العصر أعادوا لها الحياة من جديد، فأسفر عن ذلك ثلّة من الدارسين اذين آمنوا أن العربية لن تبعد عن الزلل وتسلم من المزالق ما لم ترسم لها طريقا واضحا في المعنى والاستعمال.

وبذلك شهدت الساحة الفكرية المعاصرة تغييرات عديدة مست مختلف ميادين العلوم الإنسانية ومجالاتها من خلال اعتمادها على معايير وأسس جديدة في الوصف والتحليل فصار لها طرائقها وأساليبها في معالجة القضايا المتعددة ومنها اللغة، فإذا كانت اللسانيات تمثل حقلًا واسعًا من حقول المعرفة الإنسانية التي تدرس اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية وظيفتها الأساسية هي التبليغ، فإن التقدم الحاصل اليوم في العلوم المعرفية وامتداداتها أسهم في ظهور العديد من التخصصات الحديثة، ترى أنّ اللغة ليست لها وظيفة واحدة وإنما عدّة وظائف، ومن هذه المجالات المعرفية والتخصصات العلمية نجد: لسانيات النص، واللسانيات الوظيفية واللسانيات التداولية والعرفانية.

وبالتالي سنتطرق في هذا الفصل إلى تخصص معرفي يركّز على دراسة اللغة أثناء الاستعمال في مقامات وسياقات مختلفة، تراعي فيها أغراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين ألا وهي اللسانيات التداولية.

2- مفهوم التداولية وأقسامها:

2-1 مفهوم التداولية (لغة واصطلاحاً):

يعدّ مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شغلت بال الكثير من العلماء والفلاسفة والسيميائيين واللسانيين، وغيرهم ولاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فقد تعددت التعريفات في هذا المصطلح بسبب اختلاف وجهات النظر وتشعب المذاهب فيه، ذلك أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية وعلم النفس المعرفي وعلوم التواصل ومنها اللسانيات، وهذا ما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ولذلك سنكتفي بإيراد أهم ما جاء في تعريفها.

2-1-1-1 المعنى اللغوي للتداولية:

2-1-1-2 التداولية في المعاجم العربية:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دَوَّلَ)، فالدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدلّ على تحول شيء من مكان إلى مكان والآخر يدل على ضعف واسترخاء، وجاء في (القاموس المحيط): دالت الأيام: دارت، والله تعالى يداولها بين الناس⁽¹⁾ ويرى الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وتقول (دواليك)، أي: دالت لك الدولة كرة بعد كرة⁽²⁾. وقال أهل اللغة: أندال القوم، إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان⁽³⁾

1- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتاب، (القاهرة، الكويت، الجزائر)، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 1001 (مادة دَوَّلَ).

2- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (الزمخشري): أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط01، (1419هـ-1998م)، ص 303.

3- ابن فارس (أحمد): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت/ لبنان)، (د.ط.)، (د.ت.)، 2/ 314 (مادة دَوَّلَ).

أمّا في قاموس (المنجد في اللغة): دال، دولة الزمان: دار وانقلب من حال إلى حال يقال: "الدولة" أي صارت إليه، داول مداولة الله الأيام بين الناس: صرفها بينهم فصيرها لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى⁽¹⁾..، وورد لفظ "تداول" عند "حنا غالب" بمعنى التناوب على الشيء حيث يقول: وناوبه وداوله وغايره: ويقال تناوبوا على الأمر وتداولوه⁽²⁾.

والدولة مصدر جمعه دول ودول: ما يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذلك فتطلق على المال والغلبة⁽³⁾. والدولة: الفعل والانتقال من حال إلى حال: تداولنا الأمر أخذناه بالدول أي مداولة⁽⁴⁾.

والملاحظ في التعريفات السابقة الذكر أنها اتفقت على معنى التحول من مكان إلى مكان تارة أخرى. فمن خلال هذه المفاهيم المتعددة نخلص بالقول: أنّ التداولية وردت في المعاجم العربية بمعنى:

- التحول من حال إلى حال أو من مكان إلى مكان.
- التعاقب في المال وانقلاب الزمان.
- تناوب القوم على الأمر.

كما أنّ المعاجم الأخرى غير المذكورة لا تخرج عن هذا السياق والدلالة للفظة التداول فهي تعني: التحول والانتقال.

1- لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 230.

2- حنا غالب: كنز اللغة العربية، موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير، فهرس الألفاظ، مكتبة لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 04.

3- لويس معلوف: المنجد في اللغة، مرجع سابق، ص 230.

4- صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد: المعجم الصافي في اللغة العربية (د.ط)، (د.ت)، ص 178.

2-1-1-2 التداولية في المعاجم الأجنبية:

تعدّ التداولية من المفاهيم الحديثة التي تعنى بدراسة اللغة في الواقع والاهتمام بعلاقاتها مستعملها وفقا للظروف والأحوال المطابقة لهذا الواقع وبالتالي تعنى بالمقاصد المتضمنة من خطاب كلا الطرفين مع مراعاة السياق الكلامي⁽¹⁾.

ونجد في سياق هذا الحديث نصا مقتبسا من معجم أكسفورد يتحدث فيه عن التداولية ومقاصد اللغة المختلفة ويندرج هذا في النص الأول:⁽²⁾

➤ النص الأول:

Pragmatics (noun, linguistics) : the study of the way in which language is used to express what's really means in particular situations especially when the actual words used may appear to mean sth different.

-pragmatism :noun(u) (formal) thinking about solving problems in a practical and sensible way rather than by having fixed ideas and theories³

ترجمته: التداولية (البراغماتية) اسم للسانيات: هو الطريقة التي توظف بها اللغة، حيث تدرس كيفية استعمال اللغة لتعبر بصفة واقعية حقيقية عن المقصد في حالات خاصة ولا سيما عندما تكون الكلمات الفعلية (الواقعية) التي استعملت يمكن أن تظهر لتعني لك بشيء مختلف والتداولية تعني التفكير حول حل المشكلات.

جوليان غريماس (Julien Greimas) و"جوزيف كورطي (J.courtés) أن هدف التداولية هو إرساء مبدأ التفاعل وعنصر التأثير في العملية التواصلية بين المتخاطبية وذلك لنجاحها وإستمرار عنصر الإفهام والإيضاح لأنه كلما فهم المعنى المقصود كلما نجحت عملية التواصل التخاطبية. وقد ورد هذا المفهوم في النص الآتي:

1- لويس معلوف: المنجد في اللغة، مرجع سابق، ص 230.

2- صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، مرجع سابق، ص 178.

³ Michael (ashby) :oxford advanced learner's dictionary of current english, sixth edition :sally wehmeier, oxford university press, 2000, p990.

➤ النص الثاني:

La pragmatique, au sens américain, vise essentiellement à dégager les conditions de la communication (linguistique), telles par exemple que la manière, pour deux interlocuteurs, d'agir l'un sur l'autre - pour nous, cette (pragmatique) du linguistique qui a trait aux caractéristiques de son utilisation, constitue un des aspects de la dimension cognitive car elle concerne en fait la compétence cognitive des sujets communicants, telle qu'on peut la reconnaître (et en reconstruire le simulacre) à l'intérieur des discours-énoncés ainsi :

Le faire persuasif et le faire interpellatif ne constituent pas des paramètres (extralinguistiques) comme pourrait le laisser entendre une certaine conception mécanisme de la communication - tel qu'il est envisagé par la sémiotique - ou le destinataire et le destinataire, par exemple, ne sont pas des instances vides (tels l'émetteur ou le récepteur) mais des sujets compétents.

Il va de soit que, dans la lignée même de la (pragmatique) américaine une sémiotique de être élaborée en la communication (réelle) (en tant qu'objet descriptible) peut extrapolant en particulier les modèles de la sémiotique cognitive, issue de l'analyse.¹

ترجمته:

التداولية: في المفهوم الأمريكي تهدف أساساً لتحديد عوامل التواصل (اللسانية) مثلاً: الطريقة التي يتفاعل بها المتخاطبون مع بعضهم البعض، كما يعبر هذا المفهوم أن تداولية الخطاب تدخل في تكوين جانب من جوانب البعد المعرفي لأنها تخص القدرة المعرفية للفاعلين المتحدثين (المرسل والمرسل إليه) الذين يُعتبرون عوامل مؤثرة في عملية التواصل، كما يُعدّ هذا الاتجاه أن الفعل التأثيري له أهمية كبرى في عملية التواصل بجميع مراحلها، فالتداولية بهذا المفهوم فعل تأثيري يعتمد على القدرة المعرفية (الكفاءة) المشتركة والمتبادلة بين طرفي العملية التواصلية (المخاطب والمخاطب) اللذان يساهمان في تطوير وإنجاح عملية التواصل.

¹ - Algirdas Julien (Greimas), Joseph (Courtés): linguistique sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Supérieur (Paris), 1979, p.288.

أما النص الثالث فهو مأخوذ من معجم "تحليل الخطاب" لباتريك شارودو (patrick charaudeau) و"دومينيك مانغينو (Dominique maingueneau) حيث وضع فيه عالم السيميائية شارل موريس (CHARLES MORRIS) التقسيمات الثلاث وكانت التداولية من ضمن هذه التقسيمات حيث عدّها جزءاً من السيميائية وذلك وارد في النص التالي:

➤ النص الثالث:

La pragmatique : notion employée aussi bien comme (nom) et dont "une approche pragmatique" que comme (adjectif) pragmatique la valeur est très instable : elle permet de désigner à la fois une sous-discipline de la linguistique, un certain courant d'étude du discours ou, la pragmatique plus largement une certaine conception du langage... employée comme adjectif, peut spécifier un composant de langue, à côté du composant sémantique et du composant syntaxique, cette notion est issue de la tripartition de (C. Morris 1938) qui distinguait trois domaines dans l'appréhension de toute langue qu'elle soit formelle ou naturelle : 1- la syntaxe, qui concerne les relations des signes aux autres signes. 2- la sémantique, qui traite de leurs relations avec la réalité. 3- la pragmatique qui s'intéresse aux relations des signes avec leurs utilisateurs, à leur emploi et à leurs effets.¹

ترجمته:

التداولية: مفهوم استعمل "اسماً" من منظور تداولي كما استعمل "صفة"، والتداولية ذو قيمة متميّزة ويمكن أن تُعرف بأنها فرع من اللسانيات، أو أنها تيار يدرس الخطاب، كما يمكن أن يعرف أيضاً وبصفة عامة كتركيبية خاصة للكلام... تهتمّ بمكوّن كلامي، مكوّن سيميائي ومكوّن تركيبية، وهذا المفهوم نشأ من التقسيم الثلاثي (موريس 1938) للغة بصفة عامة والذي يميّز بين ثلاث مجالات أو مستويات تُدرس من خلالها اللغة وهي:

– المستوى التركيبية: الذي يهتمّ بدراسة علاقة العلامات ببعضها البعض.

¹ – Patrick(charaudeau) , dominique(maingueneau) :dictionnaire d'analyse du discours, édition du seuil, 2002,p454.

- المستوى السيميائي: الذي يدرس علاقة العلامات بالواقع.

- المستوى التداولي: الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بمستخدميها وبمجالات استعمالها ونتائجها.

وخلاصة التعريفات السابقة لمفهوم التداولية أنها تهتم بدراسة علم اللغة ومختلف استعمالاتها ومقاصدها وفقا لسياق ومقام محدد وهي فرع من فروع اللسانيات والمستويات الثلاث السابقة الذكر كلها متداخلة ومرتبطة بموضوع واحد ومهم ألا وهو علم استعمال اللغة.

2-1-1-3 مصطلح التداولية في القرآن الكريم:

وردت لفظة التداولية في القرآن الكريم بمعناها اللغوي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٣١﴾⁽¹⁾. والمقصود من الآية الكريمة أن لا يأكل بعضكم أموال بعض بالوجه الذي يبيحه الله وتدفعوها إلى الحكام رشوة⁽²⁾. فلفظة تدلوا من الإدلاء و"الإدلاء" بمعنى الإلقاء أي إلقاء الأموال إلى الحكام وفي الأساس أدليت دلوي في البئر: أرسلتها ومن المجاز دلوت حاجتي: طلبتها، ودلوت إلى فلان، تشفعت به إليه⁽³⁾.

1-سورة البقرة، الآية (188).

2- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، البيضاء، البليدة، الجزائر، ط05، 1411هـ-1990م، 1/ 125.

3- شهاب الدين (الخفاجي): عناية القاضي وكفاية الراضي، ضبطه وأخرجه، عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، ط01، 1997م، 2/ 476.

وقال الزجاج(*) في ذلك: تعلمون ما يوجبه ظاهر الأحكام، وتتركون ما علمتم أنه الحق⁽¹⁾، يقال: أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجوا النجاح به، تشبيهاً بالذي يرسل الدلو في البئر⁽²⁾.

ويقول سبحانه وتعالى في موقع آخر: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾⁽³⁾.

والمقصود من الآية الكريمة: وتلك الأيام نداولها بين الناس أي يكون هذا التداول في الحرب، فتكون مرة للمؤمنين لينصر الله عز وجل دينه، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون، ليبتليهم ويمحص ذنوبهم، فأمّا إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون، وقيل نداولها بين الناس من فرج وغم وصحة وسقم وغنى وفقر، والدولة بمعنى الكرة⁽⁴⁾، قال القفال: المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر، ويقال تداولته الأيدي إذا تناقلته ويقال:

* هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج، غلب عليه اسم الزجاج لأنه كان أول حياته يتحرف خراطة الزجاج، فهو لقب مهنته تلمذ الزجاج لشيخو بارزين، أخذ عنهم علوم العربي من نحو ولغة وقراءات وحديث وفقه وتفسير، مات سنة (311 هـ)، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ص 05.

1- أبي إسحاق إبراهيم بن السري (الزجاج): معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط01، (د.ب)، 1408هـ/1988م، 1/ 258.

2- القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت/ لبنان)، ط01، 1422هـ-2010م، 1/ 260.

3- آل عمران، (آية 140).

4- ينظر:

- النحاس (أبو جعفر أحمد): إعراب القرآن، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، (د.ب)، ط02، 1405هـ-1985م، 408/1.

- عبد الله محمد بن أحمد (القرطبي): الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، ج03، مؤسسة الرسالة، (بيروت، لبنان)، ط1، 1427هـ، 2006م، ص 335.

الدنيا دول، أي تنتقل من قوم إلى آخرين، والمراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين⁽¹⁾.

ويقول أيضا في موضع آخر: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾⁽²⁾.

قال المبرد^(*): الدولة: اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون كذا مرة والدولة: بالفتح انتقال حال سارة إلى قوم عن قوم، فالدولة بالضم اسم ما يتداول، وبالفتح مصدر من هذا، ويستعمل في الحالة السارة التي تحدث للإنسان فيقال هذه دولة فلان أي يتداوله فالدولة اسم لما يتداول من المال والدولة اسم لما ينتقل من الحال، ومعنى الآية الكريمة كي لا يكون الفيء^(*) الذي حقه أن يعطي للفقراء ليكون لهم، يعيشون بها واقعا في يد الأغنياء ودولة لهم⁽³⁾.

والملاحظ أن الآيات السابقة الذكر تدل فيها لفظة "التداولية" على تغير الحال وانتقال المال من قوم إلى قوم والتعاقب والتناوب على أمر ما.

1- الرازي (محمد فخر الدين): تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، (د.ط)، (د.ب)، 1/ 16.

2- سورة الحشر، الآية 07.

*- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الله الأكبر المعروف بالمبرد، ولد عام (825م وتوفي عام 899م)، عاش في العصر العباسي في (ق03هـ).

*- هو ما أخذه المسلمون من الكفار الحربيين من غير قتال، ويظهر في الآية السابقة الذكر أن الفيء يوضع أساس التضامن الاجتماعي، أي حق الجماعة كلها في هذا المال وليس الأغنياء وحدهم، فالفيء وسيلة لمنع الأغنياء للثروة ووسيلة لتحقيق التضامن الاجتماعي.

3- الرازي (محمد فخر الدين): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مرجع سابق، ص 287.

فنلمس بذلك أن كل هذه المعاني تدل على عدم الثبات والاستقرار والتحول من حال إلى حال، فنفهم من ذلك أن هذا التغيير والتبدل يعد خاصة من خاصيات اللغة الأساسية والتي تتصف بالتغير والتبدل وعدم الثبات والانتقال من مرسل إلى متلق في سياق محدد.

2-1-2 المعنى الاصطلاحي للتداولية (من المنظور الغربي والعربي):

2-1-2-1-2 - التداولية من المنظور الغربي: يرجع الفضل في تأسيس التداولية (pragmatique)^(*) في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس"^(*) (charles senders pirce) (1914/1839م) حينما نشر مقالين في مجلة "ميتافيزيقا" سنة 1878 و 1979م بعنوان «كيف يمكن تثبيت الاعتقاد؟ ومنطق العلم؟ كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيث أكد على أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى، وفي الحالة الثانية: يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة ليصل إلى الممارسة والتطبيق والفعل، هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار⁽¹⁾.

*- يعود مصطلح (pragmatique) في أصل وضعه إلى الكلمة اليونانية pragma التي تعني (الفعل) ومن هذه الكلمة تم اشتقاق الصفة pragmatique التي تعني كل ما هو متعلق بالفعل action، ثم تطورت دلالة هذا المصطلح في العصور الوسطى فأصبح يوظف في اللغة الفرنسية في المجال القضائي وتحديدًا عبارة =pragmatique =sanction التي تعني المرسوم أو المنشور، ثم صارت تطلق على كل ما له قيمة أو نظرية علمية، ينظر: باديس لهويل: مظاهر التداولية، ص 18.

*- تشارلز ساندرز بيرس (charle peirce) (1914-1839) أول من استعمل مصطلح البراغماتية pragmatism في علم اللسان في كتبه وبحوثه في العلامات وتناوله فلسفيا في مقال "تثبيت الاعتقاد" المنشور عام 1879م، واستعمل الاصطلاح في أول مرة في مقال نشره بإحدى المجلات العلمية تحت عنوان "كيف نوضح أفكارنا"

How to make our I deas clear

ينظر: philospher impact, (1839-1914) charles senders peirce نقلا عن: محمد حسين محجوبة:

تشارلز ساندرز بيرس، فيلسوف الأثر، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، ع06، ص ص 63-64.

1- باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع07، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017، ص 158.

ويرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف (تشارلز موريس)^(*) (william mouris charles) حيث قدم لها تعريف في سياق تحديده للإطار العالم لعلم العلامات (Simiologie) وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب والدلالة والتداولية) ليصل إلى أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات⁽¹⁾.

وهذا التعريف السابق لموريس يتعدى المجال اللساني والذي يدرس العلامات والرمز ومن المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي أي لغة: الإشارات والإيماءات.

وقد دل مصطلح التداولية (Pragmatics) عند "موريس" على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية (Sémiotics) هذه الفروع هي:

1- علم التراكيب (Syntatics) أو Syntax: وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلاقات بعضها مع بعض.

2- علم الدلالة (Semantics): وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.

3- التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها⁽²⁾.

ونجد تعريفاً للسانيات عند (آن ماريديير) (Anne mariedieur) وفرانسوا ريكاتاتي (Récanati francois) كالتالي: التداولية هي: «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»، وتهتم من هنا عند الأخير بالمعنى الذي تدور حوله لغة

*- تشارلز موريس 1910: فيلسوف أمريكي قرّر أنّ التداولية جزء من السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، ينظر: سعود بن عبد الله الزدجالي: دراسة تداولية في أصول الفقه العموم والخصوص، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2016م، ص34.

1- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، (د.ط)، 1986م، ص 12.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2002م، ص 09.

التخاطب، كالدلالية التي تعني بالمعنى أيضا، وهي تهتم ببعض الأشكال اللسانية، التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها وفق سياق معين⁽¹⁾.

وبالتالي فإن التداولية لها علاقة مع العلوم الأخرى في جوانب اللغة كعلم الدلالة الذي يشاركها قضية "المعنى وعلم اللغة الاجتماعي" الذي شارك معه في إيضاح أثر العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين والمشاركين في الحديث وموضوعه، من جهة المتكلم والسامع، بالإضافة إلى أثر السياق غير اللغوي في انتقاء السمات اللغوية واختلافاتها وعلم اللغة النفسي، الذي يشارك التداولية في الاهتمام بقدرات المخاطبين التي تؤثر في أدائهم مثل: الانتباه والذاكرة والشخصية والاتجاهات النفسية وعلاقتها أيضا مع تحليل الخطاب باشتراكهما العناية لتحليل الحوار القائم بين المتكلم والسامع والتي تتمثل أساسا في الجمل والنصوص والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية⁽²⁾.

مما يعني هذا أن التداول ليس مقتصرًا على عنصر واحد من عناصر العملية التخاطبية بل بالنظر إلى المعنى المقصود والمتضمن من حديث المتكلم والسامع والإيحاءات المراد إيصالها من كلا الطرفين مراعاة للظروف والسياقات المحددة.

وما نخرج به من جل هذه المدلولات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم (التداولية) سواء في القرآن الكريم والمعاجم العربية أو الأجنبية، أو من المنظور الغربي والعربي أن اللغة تدرس من جهة نظر وظيفية (Functional Perspective) مع مراعاة جوانب السياق (Aspects of contexte) وبالتالي فهي تبحث في كيفية اكتشاف ومعرفة السامع لمقاصد المتكلم (Speaker intentions). ونستطيع القول أن التداولية هي "لسانيات الاستعمال اللغوي".

1- ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 12.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 10-11.

2-2-1-2 التداولية من المنظور العربي:

برزت جهود العلماء العرب في مجال التداولية على الرغم من قلتها آنذاك، ومن أهم هؤلاء العلماء نذكر "طه عبد الرحمن"^(*)، الذي قسم اللسانيات إلى ثلاثة أقسام هي: "الداليات، الدلاليات، التداوليات"^(*)، حيث يقول في هذا الصدد: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيا" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق يعرف "طه عبد الرحمن" (التداولية) بقوله: «التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بـ "مجال التداول" في التجربة التراثية إذن هو محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث»⁽²⁾.

*- هو فيلسوف مغربي ولد سنة (1944م)، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق، ويعد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين.
*- نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف (الدال) الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته، والدلاليات: هي الدراسات التي تختص بوصف العلاقات التي تجمع بين الدال ومدلولاتها وبين الدالين بها، والتداوليات: تشمل الدراسات الواسفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها وأبواب هذا القسم ثلاثة أغراض الكلام، ومقاصد المتكلمين وقواعد التخاطب، ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط02، 2000، المركز الثقافي العربي، ص 28.

1- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، 2000م، ص 28.

2- طه عبد الرحمن: التجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، (د.ت)، ص 244.

وما نفهمه من هذا القول أن التداول جاء بمعنى التواصل والتفاعل بين المتخاطبين وبالتالي ينتج عنه التفاهم ونجاح الحوار المتواصل باللغة فيكون هناك تداول في ظروف مختلفة.

ويقدم (مسعود صحرأوي) تعريفا إجرائيا للتداولية، إذ يربطها بالتواصل على نحو يجعلها شديدة الالتصاق .

«هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القرارات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير (التداولية) من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي»⁽¹⁾. والمقصود من هذا التعريف الإجرائي أن التداولية علم يهتم بالاستعمال الفعلي للغة في الواقع، وفي الغالب فإن التداولية :

مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة بالإضافة إلى الاهتمام بمسألة التلاؤم بين مختلف التعبيرات الرمزية (العلامات والإشارة والرمز) والسياقات المرجعية والمقامية وغيرها.

3- أهمية اللسانيات التداولية:

تتضح أهمية اللسانيات التداولية في كونها تدمج مختلف المستويات اللغوية وأيضا باهتمامها باللغة واستعمالاتها ضمن سياقات مختلفة أثناء الاتصال اللساني، فبذلك نجعل المتلفظ يتلفظ بالخطاب على حساب المقام والظرف الموجود فيه، كما اهتمت بدراسة مختلف الوسائل اللسانية التي يتوفر عليها المتكلم وإبلاغها إلى المتلقي مع مراعاة الأحوال والمقامات المختلفة، وفي نفس الوقت اهتمت بإشكالات مثل: هل يتحقق الفعل بوضوح

1- ينظر: بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: www.ibtessama.com منتديات مجلة الابتسامة، مؤسسة السباب، لندن، ط01، 2012م، ص 33.

(Explicitement) أو بشكل ضمني (Implicitement) لدى السامع؟ هل يرتبط بحضور علامات لسانية؟ أو على العكس من ذلك بل يحدده سياق القول؟⁽¹⁾.

فالسانيات التداولية تهتم بدراسة المعنى اللغوي أثناء الاستعمال، ولذلك سميت بـ (لسانيات الاستعمال اللغوي) وهذا ما جعلها أكثر دقة ووضوحا في دراستها للغة وتحليلها ومعالجتها، فإن قدرة التداولية على التدخل في إثراء معاني الكلام والذهاب في تأويل المسكوت عنه⁽²⁾ هي من الغنى والسعة ما يثري الخطاب بتمكينه من إثمار قراءات لم تكن دلالة اللغة البسيطة تحتملها ولا قارة على تمثيلها⁽³⁾.

فالتداولية إذن مشروع واسع شاسع في اللسانيات يتناول اللغة كدراسة علمية واسعة وتمتد التداولية الدراسات اللغوية والمعرفية بعدد من الأفكار والرؤى الجديدة التي يستضيء بها الدارسون والباحثون في دراساتهم المختلفة ويصلون بذلك إلى نتائج قيمة ما كانت لتظهر وتتضح إلا في ضوء اللسانيات التداولية.

4- الأصول الفلسفية للسانيات التداولية:

تشكل التداولية درسا جديدا وغزيرا لما يمتلك من حدود واضحة، انبثقت من التفكير الفلسفي في اللغة، فاللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود

1- ينظر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق 2006، المغرب، (د.ط.)، ص 61.

2- المسكون عنه عند الباحث عبد المالك مرتاض، هو ترجمة وضعها للمصطلح (illocutoire) حيث نجده يترجم أفعال الكلام عند أوستين بـ الفعل الصيغي Acte locutoire، والفعل المسكون عنه (Act illocutoire) وفعل الصيغة المشيعة (Act perlouctoire)، ينظر: عبد الملك مرتاض: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005، ص 73.

3- المرجع نفسه، ص 65.

باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "باركلي" تغذيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع⁽¹⁾.

ولذلك يعترف "كارناب" بأن التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله: إنها قاعدة اللسانيات⁽²⁾.

4-1 مفهوم الفلسفة التحليلية:

نشأت الفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني غوكلوب (Gottlob frege) (1848-1925) في كتابه أسس علم الحساب⁽³⁾.

ولقد ربط بين مفهومين تداوليين هاميين، هما: الإحالة والاقتضاء ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد التحليل منهجا فلسفيا جديدا.

وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيغنشتاين (Vittgenstein) (1889-1951) أثر فريجه، فانتقد مبادئ الوضعائية المنطقية وأسس اتجاهات فلسفيا جديدا سماه "فلسفة اللغة العادية"، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، وأهم ما تميز فلسفة فيتنغشتاين التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابت ولا محدد، كما أنكرت الفلسفة التحليلية على الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ولم يعطها حقها في الدراسة والبحث فكانت ردا على هذا الفكر

1- ينظر: نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 167.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 01، 2004، ص 23.

3- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 01، 2005، ص 18.

واتخذت اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي يتوحي فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا⁽¹⁾.

أما الفيلسوف الفرنسي أندري لالاند (André lalande) فيرى في معجمه الفلسفي "أن اللغة بمعناها الواسع هي كل نظام من الرموز والإشارات يصلح أن يكون وسيلة للتواصل"⁽²⁾.

بينما يعرف إدوار ساپير (Eduard sapir) اللغة على أنها وسيلة للتواصل الإنساني تحديدا (...). تهدف لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة نسق من الرموز⁽³⁾.

ومما لاشكّ فيه أنّ الإنسان أثناء تعاملاته مع الآخرين ونقل أفكاره لا يجد بداً من استعماله للغة ويمكن القول أن الفلسفة والفلسفة قد اهتموا باللغة وقاموا بوصفها على أنها تعبير لغوي يقوم من خلاله الفيلسوف بطرح جملة من القضايا والإشكالات حتى لا يمكن التفلسف بعيدا عن اللغة أو يتجرد من اللغة فهي الأساس للتواصل والتبليغ، فالإنسان الذي لا يفكر باللغة فهو لا يفكر إطلاقا.

1- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مرجع السابق، ص 20.

2-lalande André, Vocabulaire, technique et critique de philosophie disciène édition 2 vol paris, presses universitaire, France, 1991, P 554.

3-Edward sapir : language introduction to the stydy of speech, newyork, Harcourt, Brace, 1921, P 12.

4-2 الخلفية الفلسفية للغة عند فتجنشتاين(*):

إنّ اللغة في نظر فتجنشتاين مجموع قضايا (The totality of propositions) وليس المقصود باللغة في معناها الدقيق عند هذا الأخير اللغة المعروفة بين الناس والتي تعبر من خلالها عن المكنونات والعواطف والانفعالات وإنما هي فلسفته الأولى، المجموع الكلي للقضايا المفيدة⁽¹⁾ ويرى أن وظيفة الفلسفة ليست التفسير بل تحليل اللغة عبر تحليل العبارات والقضايا المركبة إلى ما هو أبسط منها⁽²⁾.

والمأمل لمسيرة الفيلسوف فتجنشتاين (1889-1951) يلاحظ جملة التحولات المحورية التي شهدتها هذه الفلسفة، حيث أنه انتقد مبادئ (الوضعية المنطقية) وأسس اتجاهها جديدا سماه بفلسفة اللغة العادية، أي الاستعمال العادي للغة، ومما ميز فلسفة فتجنشتاين هو أن المعنى لديه ليس ثابت بل متغير، أي أن معاني اللفظة الواحدة تتغير وتتعدد بتعدد استعمالها، فهو بذلك قد تحول من اللغة الاصطناعية إلى اللغة العادية والانتقال من الاهتمام بالجانب التركيبي والدلالي للقضايا إلى الاهتمام بالوظائف الفعلية للغة وكيفية استعمالها، أي أنه بدلا من الوصف الصوري للدلالة وفقا لقواعد تركيبية فإن الوصف يقتصر الآن على الشروط الفعلية للاستعمال التي تؤدي إلى تحديد الدلالة أو المعنى وبالتالي فإن فهم لفظ معين هو فهم معنى استعماله الفعلية وكيف يصاغ في سياقات مختلفة مع التأكيد على العلاقة بين الدلالية اللغوية ومجموع الممارسات التي أجملها في عبارة الألعاب اللغوية⁽³⁾.

*- لودفيج جوزيف يوهان فتجنشتاين (Ludwing joseph johann wittgensteui) فيلسوف ومنطقي نمساوي من

جنسية بريطانية ولد في 26 أبريل 1889 بفيينا، ينظر:

- huisman denis, dictionnaire des philosophes, P.U.F. 1^{er} ed, 1984, P 2665.

1- Christoffer gefwert : wittgenstein on thonght langage and philosophy from theory, to therapy, Rontledge, London and new york, 2000, P 22.

2- الجسمي عبد الله: المنطق وتصور فتجنشتاين للفلسفة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد التاسع والعشرون، العدد الأول، يوليو، سبتمبر، 2000، ص 138.

3- ينظر: الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط01،

2005م، ص 101-102.

بالإضافة إلى رؤية فيتجنشتاين إلى أن جميع المشكلات الفلسفية تحل باللغة، وراح بذلك يطور فلسفته الجديدة التي تهتم بمراعاة الجانب الاستعمالي للغة في الواقع، ولكن هذه الأفكار لم تكتسب المكانة الفعلية والحقيقية إلا عندما تبناها فلاسفة مدرسة أكسفورد (أوستين وسيرل)⁽¹⁾.

ومن هنا تتضح الرؤية لدى فيتجنشتاين التي مالها توجهه إلى التحليل الفلسفي لقضايا اللغة إلى ربط التنظير بالممارسة الفعلية لتكون أقرب إلى الواقع وضرورة استخدامها.

3-4 إسهام تشارلز ساندرس بيرس:

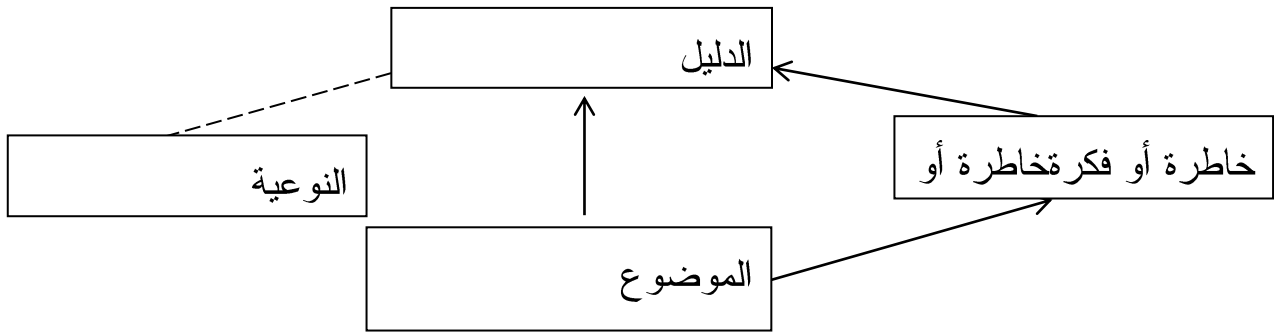
يعدّ الفيلسوف والسيميائي (تشارلز ساندرس بيرس) من الأوائل الذين أحدثوا تطوراً في المجال اللساني والفلسفي حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق، ثم بالسيميوطيقاً⁽²⁾ وارتبطت كذلك بميدان المعرفة والمنهج العلمي، فقد ظهرت ملامح التداولية الأولى مع ظهور مقالة كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1878م، وقد تساءل بيرس متى يكون للفكرة معنى، ودرس الدليل وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط السيميائي، وقد حاول تطور التجربة الإنسانية من خلال الأدلة وربطها بالواقع الاجتماعي. هذا وتوجد صيغة لسانية تداولية أساسية تلخص فكرة (أي فكر بيرس) تقول هذه الصيغة: لكي تتبلور دلالة فكرة ما، يجب علينا بكل بساطة تحديد العبارات التي تولد الأدلة، ذلك أنّ دلالة شيء ما إنّما تتمثل ببساطة في العبارات التي تتولد عنها.

1- حلمي خليل: مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص 60.

2- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مرجع سابق، ص 198.

إنّ السّمة المميزة للعادة إنّما تكمن في الكيفية التي تحملنا على العمل، لا في الظروف المحتملة فحسب، بل كذلك في الظروف الممكنة الحصول، بل حتى في تلك التي يتعذر تصورها.

يصف هابرماس (Habermas) موقف بيرس العلمي باعتباره نوعاً من إسقاط تجربة التطور العلمي صوب السيرورة الجماعية والموجهة (بفتح الجيم) للجنس البشري، ولقد شرع بيرس في تطوير نظريته حول الدليل الذي يتوفر في نظره علاقة ثلاثية تتحقق بواسطة سيرورة متجانسة تدعى (Sémiosis) وتمثلها الخطاطة التالية:⁽¹⁾



ولكي نفهم العلاقة الموجودة بين العناصر الثلاثة في الخطاطة السابقة وإدراك ما يعنيه بيرس "الدليل" إدراكاً جيداً كذلك لا مندوحة لنا من الاستشهاد بأقواله مطولاً:

الدليل أو الوحدة المتمثلة (representent) هو الشيء موجود ههنا من أجل شخص ما لغرض ما، وذلك على نحو من الأنحاء، والدليل هذا يتوجه إلى شخص ما، أي أنه يحدث في فكر هذا الشخص دليلاً أكثر تطوراً، وهذا الدليل المحدث (بفتح الدال) أسميه، مؤول الدليل (terprétant) والدليل موجود هنا من أجل شيء ما هو موضعه، وهو موجود هنا

1- الجيلالي ديلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 08.

من أجل هذا الموضوع لا من حيث كل علاقاته، بل من حيث إحالة على نوع من الفكرة التي أسميها أحيانا قاعدة الوحدة الممثلة (Base de representent)⁽¹⁾.

4-4 إسهام شارل موريس في توظيفه للمصطلح التداولي الحديث:

لقد جاء شارل موريس فاستعمل مصطلح التداولية بمفهومه الحديث عام 1938م حيث أطلقه على أحد فروع علم السيمياء الثلاثة وهي: علم التركيب، وعلم الدلالة وعلم التداولية، وعرف هذا الأخير بأنه "دراسة علاقة العلامات بمفسيها، ثم عمّ هذا التعريف ليصبح علاقة العلامات بمستخدميها"⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التحليل شاع في حقل الفلسفة على أوسع نطاق ويوجز (عزمي إسلام) اتجاهات التحليل الفلسفي في ثلاثة وهي:⁽³⁾

- تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها كم هو واضح في المنهج الديالكتيكي عند سقراط وفي محاورات أفلاطون وأخلاق أرسطو.
- تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط والعناصر الأولية وكذلك تحليل الوجود كما هو عند ديكارت ولوك.
- تحليل الإطار التي تصنف فيها المعرفة الإنسانية (أي اللغة) كما هو الحال عند فلاسفة كامبدرج ورسل وفتغنشتاين وجماعة فيينا وكارناب.

كما انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع وهي:

- الوجودانية المنطقية positirisme بزعامة رودولف كارناب.

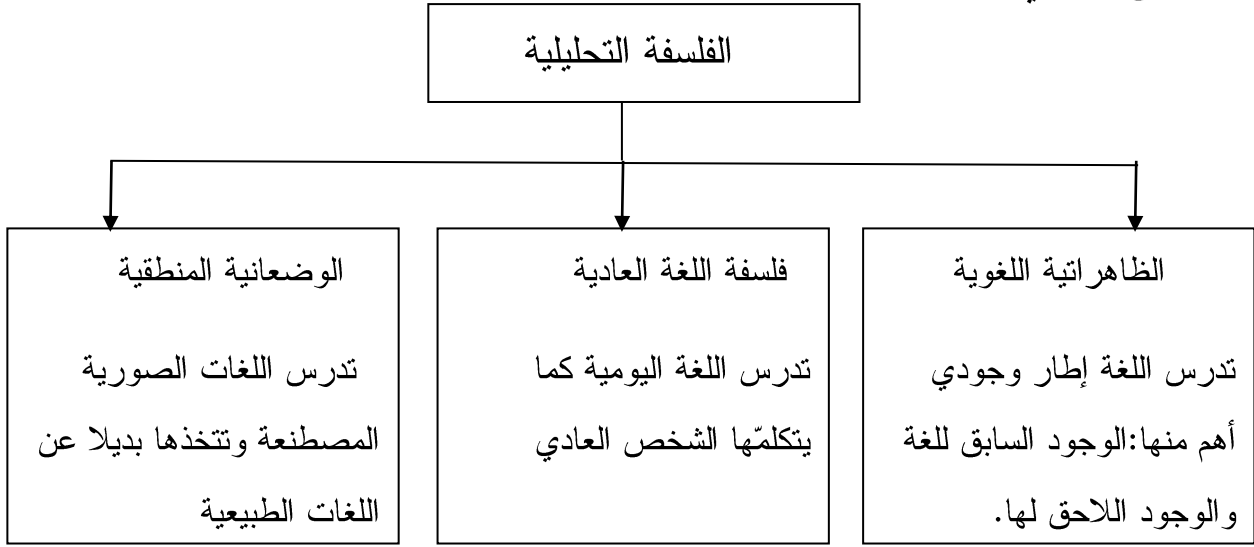
1- الجيلاي ديلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 09.

2- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 2007، ص 137.

3- عزمي إسلام: لودفيج فتغنشتاين، سلسلة نوابع الفكر الغربي، دار المعارف ، مصر-القاهرة، ص 68-69.

- الظاهرانية اللغوية phénoménologie du langage بزعامة إدموند هوسرل.
- فلسفة اللغة العادية Philosophie du langage ordinaire بزعامة فيتغنشتاين.

وهذا الفرع الأخير أعني "فلسفة اللغة العادية" هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة "الأفعال الكلامية"⁽¹⁾.



غير معنية بصميم البحث

في صميم البحث التداولي

غير معنية بصميم

التداولي⁽²⁾.

(ظاهرة الأفعال الكلامية)

البحث التداولي

وبالتالي إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية يمكن أن نلاحظها ونلمسها في الفلسفة التحليلية، وهي اتجاه فلسفي ركز على دراسة اللغة، وحاول تغيير موضوع الفلسفة وممارستها، فقد ثارت على الفلسفة الكلاسيكية (الميتافيزيقية والطبيعية) لتجعل مهام الفلسفة البحث في اللغة وتوضيحها.

ومجمل القول أن الفلسفة التحليلية اهتمت باللغات الطبيعية وباستعمالات اللغة ومقاصد الكلام، وهو ما تمهد الأرضية لظهور نظرية أفعال الكلام على يد "أوستين"

1- Francois récanati, naissance de la pragmatique, in : Quand dire c'est faire, PP 185-203.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 24.

لتظهر بعدها نظريات أخرى كثيرة كالقصدية ونظرية الملاءمة والاستلزام الحوارية وغيرها من النظريات التي كوَّنت فيما بينها التداولية.

ومن الواضح أنّ اللغة تمدّ الفيلسوف بالمفردات والجمل والمعاني التي تساعده في توضيح أفكاره وتمثالاته وبناء استدلالاته، فالمعنى الواضح التي تشده الفلسفة بوصفها نشاطا عقليا يسعى للوصول إلى الحقيقة لا يتجسد بعيدا عن اللغة.

لذا نجد الكثير من الفلاسفة يهتمون اهتماما بالغا باللغة لأنها تعبر عن أفكارهم وتمثالاتهم، ولعلّ أول تفكير فلسفي عرض بشكل نسقي وأسلوب مجرد حول اللغة بدأ مع محاورة كراتيل⁽¹⁾. مرورا ببقية الحقب التاريخية مع فلاسفة القرون الوسطى، وكذا مع ديكرت الذي عالج اللغة في علاقتها مع الفكر وروسو بطرحه لمسألة أصل اللغة مركزا على بعدها الاجتماعي، وفريدريك هيغل في اهتمامه بالعلاقة بين اللغة والثقافة⁽²⁾، إلى هيدغر الذي تأمل فلسفيا في اللغة، وقال أن جميع وسائل الفكر مجنسة في اللغة، وإن الذي لم يفكر أبدا في اللغة فإنه لم يفكر أبدا⁽³⁾.

وكما هو واضح أن العلاقة بين الأقسام الثلاثة المذكورة سابقا هي علاقة ترابط وتكامل، لأنّ الفهم التام للمفوضات القولية لا يتم إلا إذا راعيناها جميعا دون إقصاء لأحدها⁽⁴⁾.

وهذا ما صرّح به موريس عندما قال: «تفترض اللسانيات التداولية مسبقا كل من الدراسة التركيبية والدلالية، لأنّ المناقشة الحسيفة السديدة لعلاقة الأدلة بمؤوليتها، تستلزم

1- ينظر: بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 01، 1431هـ، 2010م، ص 66.

نقلا عن: ، بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور 2-Grillo Eric, La philosophie, du langage التحليلي، مرجع سابق، ص 66.

3- الطاهر وعزيز: المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 01، 1990، ص 73.

4- ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، مرجع سابق، ص 137.

معرفة علاقات الأدلة ببعضها البعض، وكذا علاقة الأدلة بالأشياء التي يحيل عليها المؤولون»⁽¹⁾، إن سيرورة الدليل أو ما يعرف بـ (Sémiosie) تحتوي في دائرة على أربعة عناصر:

- العنصر الذي يقوم مقام الدليل أو الناقل (Parteur)
- العنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه أو المدلول عليه.
- عنصر الأثر Effet الذي يحصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول.
- المؤول Interpréte

هذا ولا توجد هناك تراتبية (Hiérarchie) تنظم هذه العناصر حال كونها تسهم في السيرورة السيميائية، وهذه العناصر الأربعة عناصر لسيرورة الدليل، تمكن من استشراف ثلاثة توجهات للبحث النظري الأساسي، إذ يمكننا الاجتهاد في البحث عن العلاقات القائمة بين الأدلة والأشياء الذي تحيل عليها ونحن ههنا إزاء البعد الدلالي، وشرح ما يحدث عندما يستخدم المؤولون الأدلة وهذا الأمر من شمولات اللسانيات التداولية⁽²⁾.

فالتداولية عند موريس تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن كل البنى التركيبية والنحوية وحتى الدلالية للغة المستخدمة أي أن كل هذه المستويات مرتبطة ومتناسقة وهذا ما يثبت أن موريس قد ركز على الجانب التداولي لغة لأن التداولية تعتمد على علمي التركيب والدلالة في محاولتها للكشف عن مقاصد ومكامن المتكلم.

1- الجيلالي ديلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 11.

2- الجيلالي ديلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 11.

4-5 إسهام أوستين (1911-1961):

لقد تأثر أوستين بمن سبقه من الفلاسفة في أن اللغة تستخدم لتصف العالم وما هي إلا أداة رمزية لتشير إلى الواقع والوقائع الخارجية، وقد تصدى أوستين لهذه الأفكار وتقدما وأنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار، بيد أن هناك حشوا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم كالأمر والاستفهام والشكر والدعاء، وقدم ثبنا طويلا بهذه الاستعمالات وأطلق عليها ألعاب اللغة (Langauge games) وتسمى كل استعمال منها لعبة لأن لديه قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة، ورأى أن كل نوع من ألعاب اللغة محكوم بنوع مخصوص من السياق الاجتماعي، ومحدد بأعراق اجتماعية معينة⁽¹⁾. حيث نجد أن أوستين لم يهتم بموضوع آخر غير موضوع اللغة، ويرى أن الإنسان يتمتع بكم هائل من الرموز يسميها كلمات، وهناك في المقابل ما يخالفها وهي الأشياء، وهذه الأشياء تشكل في مجموعها ما نسميه العالم، إنما تشمل الكلمات كالأدوات وكوسائل للوضعية التي تكون أو تتواجد فيها وما يؤدي إلى هذا الفهم أو التواصل وهو ما يسميه بالمقياس (SIGE) بين الكلمات والأشياء⁽²⁾.

ومن هذا المنطلق نرى أن أوستين يدرك بحقيقة أن اللغة هي مجموعة كلمات تستعمل في وضعيات معينة بالنظر إلى الوقائع التي تشبه كلامنا وحديثنا.

4-6 إسهام سيرل:

يحتل الفيلسوف الأمريكي جون سيرل (John searle) موقع الصدارة بين أتباع أوستين، فلقد أعاد تناول نظرية أوستين وطور فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما "المقاصد والمواصفات"، كما نجد أن سيرل لا يهتم بالأعمال المتضمنة في القول. والتي تستعرض لها لاحقا، ولقد كانت جهود "أوستين" مركز انطلاق أو نقطة إقلاع لتأسيس

1- ينظر: الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف في الفلسفة المعاصرة، ص 105.

2- المرجع نفسه، ص 105.

نظرية أفعال، حيث أكمل الباحث سيرل مساعي وأفكار أوستين حينما حدد مفهوم الفعل الإنجازي الذي غدا محوريا في نظرية أفعال الكلام، وأحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها؛ لأنّ الفضل يرجع لأوستين بالرغم من أنه لم يستطع أن يحقق ما يسعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية⁽¹⁾.

وقد كان ما قدّمه من أعمال حول الفعل الإنجازي كافيا لأن ينطلق سيرل من هذه الأرضية فتكون هناك مراحل تكميلية للجهود السابقة، فسيرل بعد استفادته من دروس أستاذه أوستين اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال الكلامية⁽²⁾.

وممّ يتضح أنّ ما اقترحه سيرل يرمي إلى تدعيم فكرة البعد التواصلي، على اعتبار أنّ التحدث بلغة ما هو إلا القيام بأفعال لغوية محددة، وعليه عمد إلى توضيح وتحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام ضمن صياغة جديدة لما اقترحه أوستين.

5- أهم أبعاد الدرس التداولي:

تضمّ التداولية مجموعة من الأسس والمفاهيم الإجرائية، تمكنها من دراسة اللغة ومعالجتها للغة ضمن سياقات مختلفة، لذلك اهتم علماء اللسانيات بهذه القضايا واعتنوا بها عناية كبيرة في أبحاثهم ودراساتهم اللغوية، لكونه أداة فعالة في الكشف عن المعنى بأدق صورة ممكنة، وأكثر ضبطا (أثناء الاستعمال).

فالتداولية علم تواصلي جديد يقوم على مجموعة من (المفاهيم والأسس يكاد الباحثون ينفقون على أن أهمها أربعة مفاهيم (جوانب، آليات، مجالات) هي: أفعال الكلام (Les actes de langage) ومتضمنات القول (Les implicites) والاستلزام الحوارية

1- ينظر: الجيلالي ديلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص 25.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ب)، 2002، ص 47.

(l'implication conversaional) (1). فضلا عن جوانب أخرى تعد من صميم البحث التداولي، مثل نظرية الملاءمة (Théorie pertinence) والقصدية (Intentionalistic) والسياق (Context) والحجاج (Argumentations) والتي سنتعرض لها في هذا المبحث.

5-1 نظرية الأفعال الكلامية (théorie Les actes de parole):

تقع نظرية الأفعال الكلامية في موقع فريد ومتميز من المنهج التداولي في تصورات اللسانيين المعاصرين وتشكل جزءا أساسيا من بنية النظرية بحسب العلماء المؤسسين للتداولية (2).

وتعدّ هذه النظرية من أهم النظريات التي حاولت بحث العلاقة بين اللغة والاتصال وتسهم هذه النظرية (الأفعال الكلامية) مقولاتها من عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعي "مالينوفسكي" الذي حاول معالجة اللغة في علاقتها بالمجتمع، حينما كان يدرس لهجات الأقوام البدائية ولغاتها فوصل إلى النتيجة التالية: «أن اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة الأنشطة الإنسانية المتألفة باعتبارها جزءا من السلوك الإنساني فهي وسيلة من وسائل الفعل وليست أداة للتأمل» (3)، ويعود مصطلح (الأفعال الكلامية) إلى (بوهلر 1934م)، وقصد به الاقتضاء الموافق للكلام، ومع ازدهار تحليل الملفوظ (كبنية

1- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 30-45.

2- ينظر: النص السياق -استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، بيروت، ط01، 2000م، ص 255.

3- هيدسون: في علم اللغة الاجتماعي: تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 2002م، ص 137، و ردة الله بن ضيف الله الطلحي: دلالة السياق، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط01، 2005، ص 223.

للبحث) تبناه رواد التداولية وعلى رأسهم (أوستن 1962) فأكسبه المدلول الحالي⁽¹⁾. وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين ثم في المحاضرات الاثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 ونشرت سنة 1962 بعد موته في كتابه عنوان (How to do things with words)⁽²⁾.

والفكرة الأساسية عند (أوستن) هي أن دراسة المعنى يجب أن تتعد عن التراكيب الجوف مثل (الجلد الأبيض) بمعزل عن سياقاتها، لأن اللغة عادة تستعمل داخل سياق الكلام لتأدية الكثير من الوظائف⁽³⁾، يقول (أوكيوتي): «إنّ الكلام دون شك هو تبادل للمعلومات ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته و/أو وضعه السلوكي وينجر عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري وتوجهه التداولي»⁽⁴⁾.

يعد البحث في نظرية الفعل الكلامي ويطلق عليها أيضا: نظرية الحدث اللغوي ونظرية الحدث الكلامي، والنظرية الإنجليزية) بحث في صميم التداولية اللغوية، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية⁽⁵⁾، وتجدر الإشارة هنا إلى مصطلحات النظرية ومقابلاتها العربية، فقد اختلف اللغويون في فرنسا في ترجمة المصطلح الإنجليزي (speech act) إذ ظهرت مقابلات متعددة مثل: (Les actes de parole)، (Les actes de discours)، (Les acts de langage).

1- ينظر: عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة- آراء ونظريات-، منشورات إتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق، ط01، 1981م، ص 64.

2- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث المعاصر، مرجع سابق، ص 60.

3- بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط01، 2012، ص 42.

4- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003، ص 175-176.

5- علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ-2010، ط01، ص 10.

وتنتج عن ذلك تعدد في ترجمة هذه المصطلحات إلى العربية، فقد ترجمت على التوالي: أفعال لغوية، وأفعال كلامية، وأفعال خطابية وأعمال لغوية (كلامية) وأعمال خطابية⁽¹⁾.

لقد وضع أوستين أسس نظرية جديدة في فلسفة اللغة هي نظرية الأفعال الكلامية أو بدقة أكثر نظرية الأفعال المتضمنة في القول، حيث يرى أن صفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تنبثق ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية⁽²⁾.

وقد ميّز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية: العمل القولي والعمل المتضمن في القول وعمل التأثير في القول⁽³⁾.

أ- **فعل القول:** (locutionary act): ويراد به إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحليل ما لها من معنى (sense) ومشار إليه (Referense) مثل قولنا: إنها ستمطر.

يمكن أن نفهم معناه كاملاً ومع ذلك لا ندري أهو خير بأنها ستمطر "أو هو" تحذير من عواقب الخروج في رحلة أو أمر بحمل المظلة أو غير ذلك⁽⁴⁾.

ويعرف أيضاً بأنه الفعل الذي يعنى النشاط اللغوي الصرف، ويقصد بذلك الأصوات التي يخرجها المتكلم والتي تمثل قولاً ذا معنى ويعرفه أوستن بأنه نتاج جملة

1- خديجة حفوظ محمد الشنقيطي: المنحى التداولي في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب، إربد، الأردن، 01ط، 2016، ص 32.

2- ينظر: عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 01ط، 2003، ص 155.

3- ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 01ط، 2003، ص 31.

4- طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مننديات مجلوة الابتسامة www.ibtesamah.com مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص 08.

مزودة بمعنى مرجع وهذان العنصران يكونان الدلالة (Signification) بالمعنى التقليدي للكلمة⁽¹⁾، ويراد به تركيب الألفاظ في جمل مفيدة طبقاً للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي والفعل الدلالي⁽²⁾.

ولذلك يجد أوستن أن علينا أن نسلم بأننا عندما نقدم على فعل القول بحسب الاصطلاح المذكور، فإننا معه نقوم بـ (فعل الكلام الإنجازي).

ب- الفعل المتضمن في القول (illocutionary act)

يأتي الفعل المتضمن في القول دائماً قصدياً، حيث يقصد المتكلم إحداث تأثير في المتلقي كإخافته أو إقناعه مثلاً⁽³⁾.

ويسمى بالفعل الإنجازي الحقيقي إذا أنه عمل ينجز بقول ما⁽⁴⁾، وهذا الصنف من الأفعال هو المحور الرئيسي الذي تركز عليه هذه النظرية، حيث اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثانوية خلف هذه الأفعال (القوة الإنجازية) ومن أمثلة ذلك: السؤال إجابة السؤال، تحذير، أمر، وعد فالفرق بين الفعلية (1) و(2) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء ما، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء⁽⁵⁾.

1- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط01، 2012، ص 54.

2- جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عياش صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط01، 1987، ص 109-114.

3- نصيرة محمد غماري: النظرية التداولية عند الأصوليين دراسة في تفسير الرازي (544-606هـ)، عالم الكتب الحديث بوزريعة، الجزائر، 2014، ص 71.

4- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 41-42.

5- المرجع نفسه، ص 42-43.

ج- الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري (Perlocutionary act):

يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع وقد فطن أوستن إلى أن الفعل اللفظي لا يعقد الكلام إلا به والفعل التأثيري لا يلزم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع بانتاجه لفعل القول ومن خلاله فعل الكلام الإنجازي وتكون أمام انتاج فعل كلام ثالث و فعل الكلام التأثيري.

وتعني بذلك أن الكلمات التي بنتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محتملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة ويحدث أثر (Affet) عند المتلقي⁽¹⁾.

فهذا الفعل الإنجازي يترك تأثيرا في السامع سواء كان التأثير تأثيرا جسديا أو فكريا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقفا أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما⁽²⁾.

ورد فعل المتلقي، كقبول الدعوة وإجابة السؤال وافتعال الأمر أو توليد فعل آخر مواز للقول⁽³⁾.

وتخلص الآن إلى تلخيص البنية العامة للأفعال الكلامية عند أوستن في الشكل الآتي:

الفعل الأول: فعل القول وبنية كالاتي:

فعل صوتي (انتاج الأصوات)
فعل تركيبى إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين
فعل دلالي (ربط الأصوات بالدلالة)

(Ate locutoire)

1- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، مرجع سابق، ص 57.

2- ينظر: جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 24.

3- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط01، 2005م، ص 148.

الفعل الثاني والثالث: الفعل المتضمن في القول الفعل الناتج عن القول:

الفعل المتضمن في القول: وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء acte illocution

الفعل الناتج عن القول: هو مجموع الآثار المترتبة عن الفعل السابق (Acte perlocutoire)

النتيجة: الفعل الكلامي الكامل، وبنية كالاتي: (1)

فعل القول (قول شيء معين) Acte locutoire

الفعل المتضمن في القول (القيام بفعل ما ضمن قول شيء)

الفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة على الفعل الإنجازي)

الفعل الكلامي الكامل (Acte de discours integral)

صنف أوستين الأفعال اللغوية حسب قوتها الإنجازية فتميز بين خمسة مستويات كبرى من الأفعال (2).

1- الحكميات (أفعال القرار) (Les merdivetifs): وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به، فهي تتعلق بالأفعال التي ترتبط بالأحكام ذات الصيغة القضائية الإدانة، التبرئة، إصدار المراسيم، التقديرات... الخ. (برأ، قيم، حكم، حسب وصف، صنف، إلخ).

1- المرجع نفسه، ص 43.

2- ينظر:

- طالبي سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 10.

- قدور عمران: البعد التداولية الحجاجي في الخطاب القرآني، ص 60.

- باديس لهويلم: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 24.

2-التنفيذيات:(أفعال التنفيذ les eneratifs): وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليها فتشمل أفعالا محملة بقرارات في كيفية التصرف: الأوامر، النصائح، الطلب التوصية، الصفح...الخ.

3-الوعديات: (أفعال الوعد Les nonissifs): أو التكليف وقد تكون للمتكلم بإرداء فعل ما أو تكون إفصاحا عن نوايا فتحيل على الأفعال التي تبين التزاما للمتكلم بشيء من خلاله موقفا ما: الاعتراف والإقرار والوعد، إعلان الرغبة إعطاء و ضمانات...الخ.

4-السلوكيات: (الأوضاع السلوكية les comportatifs): تختص بمجموعة مشفرة من الأفعال تندرج تحت باب السلوك والأعراف الاجتماعية، نحو: الاعتذارات، التوبيخ التهنة والتعاون، التكرار، الرثاء، الاستحسان التأثير...).

5-التبيينات: (المعروضات الموصوفة Les empoisitifs) تستخدم بغرض المفاهيم وتوضيح استعمال الكلمات فهي تتضمن الأفعال التي تترجم طريقة ما لعرض الأشياء التي تتحدث عنها: الاستشهاد، الوصف، التسوية، النفي، الإنكار....الخ.

ويشير الباحثون إلى تداخل هذه التصنيفات إذا يتدخل السياق أحيانا ليجعل من فعل الحكم فعل ممارسة أو بالعكس وهكذا في جميع المجموعات كما أن هذا التقسيم لم يغط بإجماع الباحثين في الحقل الدلالي، فالأفعال الكلامية أفعال كثيرة يستحيل حصرها في مجموعات تصنيفية محددة.

بيد أن ما قدمه أوستين لم يكن كافيا لتقديم نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، فيأتي بعده تلميذه "جون سيرل" مستفيدا من محاضرات أستاذه أوستين، فأدخل عليها بعض التعديلات في سبيل تطويرها، مقدما مجموعة من الاعتراضات على أستاذه⁽¹⁾.

1- ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، ط1، 1993م، ص 230.

5-1-2 نظرية الأفعال الكلامية عند سورل:

يرى سورل أن كل تواصل لساني يستلزم أفعالاً من طبيعة لسانية ذلك أن وحدات التواصل اللسانية ليست تنحصر إلا في الرمز والكلمة أو الجملة ولا حتى متتالية من الرموز أو الكلمات، والجملة بل هي عبارة عن أفعال اللغة أي أن اللفظة تنتج في اللحظة التي ينجز فيها فعل اللغة في شروط معينة⁽¹⁾.

مما يعني ضرورة تضمين القصد لاعتبار أي موضوع تواصل في فعل كلام لأن الكلمة والجملة تنتج فعلاً في الوقت ذاته، وبالتالي فهي تتضمن مقاصد ومضامين عدة تستنتج من الخطاب ذاته.

ولقد أضاف سيرل إلى نظرية أوستين مبدأ قويا هو مبدأ التعبيرية الذي عرفه كما يلي: «عندما يريد متكلم التعبير عن دلالة ما، فهناك تعبير مناسب أو صيغة صحيحة حاملة لهذه الدلالة»⁽²⁾.

وقد تمخض عن هذا المبدأ، تطوير لمبدأين مركزيين في نظرية أفعال الكلام هما: المقاصد والمواضع، أي أن اللغة في التعبير بها فإنها تنتج عنها مضامين ومقاصد تفهم من خلال السياق الذي ورد فيه ذلك الخطاب.

إنّ الجديد الذي أتى به سيرل، هو تمييزه داخل الملفوظ بين واسم المحتوى القضوي^(*) واسم القوة الإنجازية^(**).

1- ينظر: نصيرة محمد غماري: النظرية التداولية عند الأصوليين، مرجع سابق، ص 85.

2- Jacques moeschler, Antoine Auchlin, introduction à linguistique contemporaine, cursus, amand colin, 2000, P 138.

*- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.
**- القوة الإنجازية: هي التي تدل عليها أدوات تصي الجملة بأسلوب خاص كالاستفهام والأمر والطلب والتأكيد عليها، والنهب، فالقوة الإنجازية يعنى بأسلوب الجملة وطريقة إنجازها، ينظر: محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2013، ص 102.

ففي الملفوظ «أعدك بأن أحضر غدا»، وهو ملفوظ ذو قوة إنجازية ظاهرة يكون اسم المحتوى القضوي هو "أحضر غدا" واسم القوة الإنجازية هو "أعدك"⁽¹⁾.

ولكن مقابل ذلك نجد أن سيرل قد أهمل في تقسيماته للفعل الكلامي القسم الثالث (الفعل التأثيري) الذي أتى به أوستين في دراسته، وصب اهتمامه إلا بالأعمال المتضمنة في القول، أما أعمال التأثير بالقول فإنه يشك في وجودها لذلك أهملها في تقسيمه، وقد طور سيرل شروط الملاءمة أو المناسبة عند أوستين، فجعلها أربعة شروط وهي:

أولاً: شروط المحتوى القصوى Propositional content conditions

أ- أن يعبر الخطاب عن معنى قضوي، وهذا من خلال قضية (Proposition) تقوم على متحدث عنه أو مرجع (Refence) ومتحدث به أو خبر (Predication).

ب- أن يكون المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية.

ج- أن يتضمن الخطاب فعلاً مستقبلياً، ويتحقق شرط المحتوى في فعل الوعد مثلاً إذا كان دالاً على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه⁽²⁾.

ثانياً: الشرط التمهيدي (Preparatory conditions)

وهو ذات صلة بمقام التواصل، وبما يعرفه المتكلم عن قدرات واعتقادات المستمع وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما (يتكلمان اللغة نفسها مثلاً)، ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً ولو بوجه من الوجوه على إنجاز الفعل⁽³⁾.

1- ينظر: نصيرة محمد غماري: النظرية التداولية عند الأصوليين، ص 85.

2- محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 105.

3- ينظر: نور الدين أجييط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2012م، ص 73.

وقدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 61.

ثالثا: شروط الإخلاص (The sincerity condition)

يتحقق حينما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، وراغبا في تحقيقه، فالصدق في الفعل أداة نجاحه، فلا يقول غير ما يعتقد وألا يزعم القدرة على فعل ما لا يستطيع⁽¹⁾.

رابعا: الشرط الأساسي (الجوهري) The essential conition

يتحقق حين يؤثر المتكلم في السامع⁽²⁾، وقد قسم الأفعال الإنجازية إلى نوعين:

أولهما: الأفعال الإنجازية المباشرة (Direct) ورأى أنها التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيطابق ما يعنيه.

والثاني: الأفعال غير المباشرة (Indirect): وهي التي تخالف قوتها مراد المتكلم، وبين سيرل الفرق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة، بأمثلة من بينها، إذا قال رجل لرفيقه على المائدة، هل تناوني الملح؟ له معنيان: أولهما: أصلي يدل على الاستفهام الذي يحتاج جوابا وليس عين المراد، والثاني معنى غير مباشر وهو استئذان المخاطب في طلب مهذب عبر معنى فعل إنجازي مباشر ناولني الملح من فضلك⁽³⁾.

هذا وقد حاول سيرل أن يحصر أفعال الكلام الغرضية في اللغة عبر تصنيفه لها في خمسة أنماط رئيسية⁽⁴⁾.

- **التقريريات (Assertivies):** والغرض الإنجازي هو نقل المتكلم واقعة من خلال قضية، فهي تشمل الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي وتنقل أحوالها نقلا أميناً.

1- ينظر: محمود عكاشة: النظرية البراجماتية، ص 105، ونور الدين أجييط: تداوليات الخطاب السياسي، مرجع سابق، ص 73.

2- قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي، مرجع سابق، ص 61.

3- محمود عكاشة: النظرية البراجماتية، مرجع سابق، ص 108.

4- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط 01، سطيف، الجزائر، 2009، ص ص 213-214-215. وملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، بسكرة، الجزائر، جانفي 2009، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، بسكرة، الجزائر، جانفي، 2009، ص 06.

- الوعديات (الإلزاميات) (Commissives): وهي أفعال يقصد بها المتكلم الالتزام طوعاً بفعل شيء، نحو أفعال الوعد، الوعيد، المعاهدة، الضمان الإنذار، وغيرها، فهي مرتبطة بالمتكلم إذ غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل.

- الطلبيات (الأمرات والتوجيهات) (Directives): تشمل كل الأفعال الدالة على الطلب والأمر، نحو: أمرتك، أوجبت عليك، فرضت، قضيت وعدها (الغزالي) أوامر، بقوله: «وهذه الألفاظ الدالة على معنى الأمر تسمى أمراً»، ومن أمثلتها في القرآن الكريم كثيرة نحو: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾⁽¹⁾ فغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.

- التعبريات (الإفصاحات) (Experssifs): والغرض منها التعبير عن حالات نفسية انفعالية تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول وتشمل الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن وجدانه ومشاعره في حالاته النفسية المختلفة من سرور ورضى وغضب وحزن.... إلى جانب أفعال الشكر والاعتذار والمواساة والحسرة والشوق... الخ.

- الإيقاعيات: وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً للفظة في الوجود وتشمل أفعال البيع والشراء والهبة، والوصية والوقف، والتنازل عن الحق والزواج والطلاق والإقرار والقذف والوكالة، وهذه كلها يقع الفعل بمجرد والنطق بها.

ومما تقدم عرضه نستنتج أن (سورل) عمل على ضبط وتعديل بعض النقاط المهمة في نظرية أوستين فصاغها ضمن نظرية محكمة، كما أضاف على النظرية السابقة العديد من التقسيمات والعناصر التي تعتبر جزءاً عنصراً مهماً في نظرية الأفعال الكلامية، ولا

1-سورة التحريم، الآية 02.

يمكن أن ننسى الفضل لأوستين في صياغة ونشأة هذه النظرية على يده عند الغربيين ونضوجها واكتمالها على يد تلميذه سورل.

ومع الإقرار بحدائثة نشأة هذه النظرية، فإنه لا يغفل النظر إلى جهود القدامى وسبقهم لها فهي لها الأثر الواضح في الموروث اللغوي العربي، وإذا رمت بيانها في أوساط الدارسين العرب، فإن المدخل إليها هو نظرية الخبر والإنشاء أو بصيغة أخرى أقسام الكلام.

5-2 الأفعال الكلامية في الدراسات العربية:

5-2-1 مفهوم الكلام عند النحاة والبلاغيين والأصوليين: لقد تردد استعمال مصطلح (معاني الكلام) في التراث اللغوي عند عدد من علماء العربية، فنتعرض أولاً لمفهوم الكلام لغة في المعاجم والقواميس ورد في كتاب أسرار العربية إن قيل ما الكلم: قيل اسم جنس، واحدة كلمة كقولك: نبقة ونبق، ولبنة ولبن، وثفنة وثفن⁽¹⁾. وما أشبه ذلك، وإن قيل ما الكلام؟ قيل: ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى يحسن السكون عليه.

والفرق بين الكلم والكلام: أن الكلم يطلق على المقيد وعلى غير المقيد، وأما الكلام فلا يطلق إلا على المقيد خاصة⁽²⁾، وفي الدلالة المعجمية: الكلام: هو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه⁽³⁾.

وفي الاصطلاح: عرف لدى أهل النحو: ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف، فهو صوت، وإن اشتمل ولم يعد معنى فهو لفظ، وإن إفاد معنى، فقول، فإن كان مفرداً فكلمة

1- الثفنة: الرتبة، والجماعة من الناس.

2- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري: أسرار العربية، دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418هـ-1997م، ط01، ص 23.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في المؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 1426هـ-2005م، ط08، ص 1155 (مادة كَلِم).

أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة، فجملة أو أفاد ذلك، فكلام، أو من ثلاثة، فكلم وهذا اصطلاح حادث لا كلام العرب في أصله، والكلام، كل كلام مستقل إن زدت عليه شيئا غير معقود بغيره، ولا مقتض لسواه، فالكلام باق على حاله نحو: (زيد قائم) و(وما زيد بقائم) وكل كلام مستقل إن زدت عليه شيئا مقتضيا لغيره معقودا به فإن عاد الكلام ناقصا مثل قولك (إن قام زيد)⁽¹⁾.

كما وضع أحمد بن فارس بابا أسماء (باب معاني الكلام) قال فيه: «وهي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبار وأمر، ونهي ودعاء، وطلب وعرض، وتخصيص وتمن وتعجب»⁽²⁾. وقال عبد القاهر الجرجاني: اعلم أن معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين، والأصل الأول هو (الخبر) ومن الثابت في العقول، والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر عنه، لأنه ينقسم إلى (إثبات) و(نفي) و(الإثبات) يقتضي مثبتا، ومثبتا له، و(النفي) يقتضي (منفيا) ومنفيا عنه⁽³⁾.

وقال في موضع آخر: وجملة الأمر ان (الخبر) جميع معاني الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه⁽⁴⁾.

1- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع وموضع فهارسه، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، 1419هـ-1998م، ط2، ص 742.

2- الرازي اللغوي (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا): الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ط1، ص 289.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: شرح وتعليق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 2005، ص 526.

4- المرجع نفسه، ص 543.

وكذلك فعل ابن هشام، حيث قال: كما انقسمت الكلمة إلى ثلاثة أنواع: اسم، وفعل وحرف، كذلك انقسم الكلام إلى ثلاثة أنواع: خبر وطلب وإنشاء⁽¹⁾.

وقد استعمل في التراث عند بعض النحويين للدلالة على القسمة الثلاثية للكلمة: من ذلك قول أبي البركات الأنباري «فإن قيل: فلم قلت، إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأننا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر بالبال، ويتوهم في الخيال»⁽²⁾.

إن مفهوم الكلام ضمن المجال النحوي يرتبط أولاً بـسيبويه وحديثه عن الإسناد في باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بُدأ⁽³⁾.

وقد تجاوز سيبويه (ت 180هـ) هذا الأساس إلى ما يحقق لعبارات المتكلم صفة الإبانة والوضوح، فأدرج ظاهرتي (الأمر والاستفهام) ضمن حديثه عن نوعين عن الكلام: الواجب⁽⁴⁾. وغير الواجب وهما مفهومان يعود كلاهما إلى بنية نحوية مجردة واحدة.

هي البنية الإسنادية التي تتألف بمقتضاها الجملة الفعلية والجملة الإسمية⁽⁵⁾.

- 1- الإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف (ابن هشام النحوي): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م، ط01، ص 57.
- 2- أبو البركات الأنباري (ت 577هـ): أسرار العربية، تح: محمد راضي محمد مذكور، وائل محمود سعد عبد الباري، مراجعة: فيصل الحجفيان، الكويت، 1436هـ-2015م، ص 03.
- 3- فمن ذلك: الاسم والمبتدأ، والمبني عليه (وهو الخبر) وهو قولك: عبد الله أخوك وهذا أخوك، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1983، ط03، ج01، ص 31.
- 4- أصل الوجوب السقوط والوقوع، والوجوب ما كان ثابت الوقع ساقطاً وغير الواجب عكسه، مما يكون ممكناً أو ممتنعاً، ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب اعتنى بتصحيحه أيمن محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1986، ج01، ص 793.
- 5- خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 1421هـ-2001م، ط01، ص 181.

ولقد أكمل النحاة ما بدأه سيبويه (ت 180هـ) من عناية بالإسناد، فنجد ابن يعيش (643هـ) يعرفه بقوله: يشمل الخبر وغيره من الأمر والنهي والاستفهام⁽¹⁾.

وعند (الصبان) (ت 1206هـ) هو ضم كلمة إلى أخرى على وجه الإنشاء أو الإخبار.

ونجد ابن يعيش يستند في تعريفه للإسناد على ما يشمله من ظواهر كلامية وأسلوبية، في حين يختزل الصبان جميع هذه الظواهر الكلامية في وجهين يمثلان مفهوم الكلام وهما الإنشاء والإخبار.

5-2-2 مفهوم الكلام عند الأصوليين:

إنّ معالجة علماء الأصول للدرس اللغوي تختلف عما جاء به علماء النحو والبلاغة، ومما جاء في المبادئ اللغوية من تعاريف الكلام ما ذكره الرازي في مفاتيح الغيب حيث يقول أن الكلام لا يكون فعلا إلا إذا حقق وظيفة وما هو لهذا الاعتبار «عبارة عن فعل مخصوص بفعله الحي القادر لأجل أن يعرف غيره ما في ضميره من الإرادات والاعتقادات وعند هذا يظهر أن امراد من كون الإنسان متكلماً بهذه الحروف مجرد كونه فاعلاً لها لهذا الغرض المخصوص»⁽²⁾.

حيث يرمي هذا التعريف للكشف عن ثلاثة شروط ضرورية لاعتبار الكلام فعلاً تخاطبياً وهي:

1- شروط القصد إلى التخاطب، حيث إنّ الكلام لا يعد خطاباً إلا إذا تضمن فاعلين هما: المتكلم والمخاطب، وعند الأول قصد توجيهه إلى الثاني.

1- ابن علي بن يعيش النحوي (ت 643هـ): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، 1/ 72.

2- محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر (544-604هـ): تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج01، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، 1401هـ-1981م، ط 01، ص

شروط القدرة: وهو مصطلح أصولي^(*) حيث يتعلق الأداء من جانب أول بقدرة المتكلم على إنشاء الخطاب.

2-تضمن الفعل التخاطبي غرضاً مخصوصاً: يرتبط هذا الشرط بإرادة المتكلم الإفصاح عما في ضميره (الكلام النفسي)⁽¹⁾.

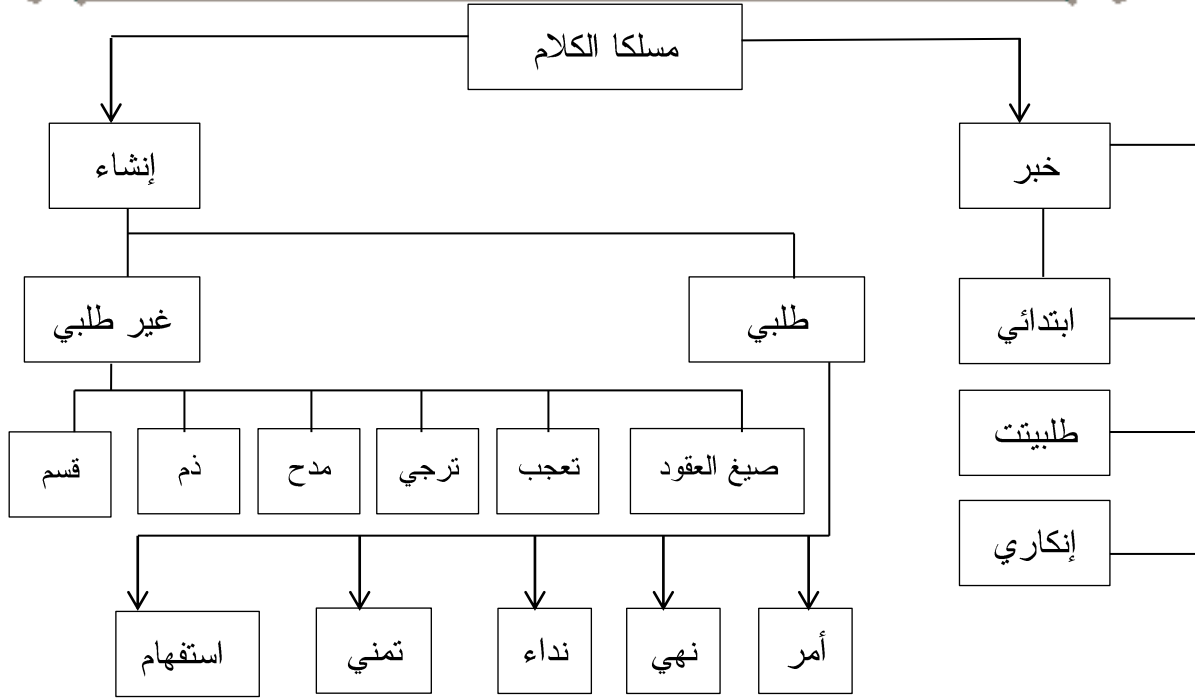
5-2-3 نظرية الخبر والإنشاء عند العرب: تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني مثلما أكد كثير من الدارسين المحدثين، فتقابل ما اصطلح عليه بمبثي "الخبر والإنشاء" يقول الباحث مسعود صحراوي: «وتندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديداً ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ "الخبر والإنشاء"، وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، لذلك تعدّ نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية»⁽²⁾.

ويمكن تقديم مخطط لأهم مباحث الخبر والإنشاء في التراث العربي بعامة أصول ونحو وبلاغة يبين أهم ما تحويه ثنائية الخبر والإنشاء كالتالي:

*- راجع موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين لرفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1998م، ط1، 83/1.

1- ينظر: نصيرة محمد غماري: النظرية التداولية عند الأصوليين دراسة في تفسير الرازي (544هـ-606هـ)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014م، ط1، ص ص 41-42.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 49.



يشكل مفهوم الخبر والإنشاء في التراث العربي بعامة سواء أكان عند اللغويين، أما البلاغيين أم الأصوليين بابا مهما يقف على قدم المساواة مع ما تعرضه نظرية أفعال الكلام لأوستين (Austin) والتي طورها من بعده جون سيرل (J. Searle)، فالخبر ما قبل الحكم عليه بالصدق أو الكذب انطلاقا من مطابقته للخارج أو عدم مطابقته، والإنشاء ما لا يقبل ذلك الحكم، وتتميز بأن مجرد النطق به هو تحقيق له وإنجاز على أرض الواقع (1).

ذلك أنّ البلاغيين مثلا، تناولوا في باب المعاني (الخبر والإنشاء) وعلاقتها بالخارج، وأهل اللغة «لا يقولون في الخبر أكثر من إعلام (...) والخبر هو العلم، وأهل النظر يقولون الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه» (2).

وهي الأفكار ذاتها التي جعلت أوستين يبني نظريته للفعل الكلامي من خلال الثورة على آراء الفلاسفة الوضعيين يتميز بين الأفعال التقريرية والأفعال الإنجازية على أساس

1- باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)، مرجع سابق، ص 122.

2- أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مرجع سابق، ص 179.

تحققها في الخارج، وموقف المتكلم منها، يقول أحمد المتوكل: «من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر والإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف/ الإنجاز) كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء، فالجملة الخبرية عندهم هي الجملة التي تحتل الصدق أو الكذب في حين أن الجملة الإنشائية هي الجملة المتوافرة فيها خاصيتان: (أ) أنها لا تحتل الصدق أو الكذب، و(ب) أن مدلولها يتحقق بمجرد النطق بها»⁽¹⁾.

2-5 متضمنات القول:

يعد هذا المفهوم التداولي الإجرائي من أهم المفاهيم التداولية التي تهتم بالجوانب الضمنية والخفية من الخطابات، فالتكلم أحيانا يلجؤ إلى عدم التصريح بكلامه مباشرة وذلك لخضوعه إلى ظروف معينة تحكمه، فيحمل على التضمين والتلميح إلى أشياء لم يلفظها ويصرح بها، ولكنها موجودة في مضامين القول.

وقد يمنع هذا التصريح للمتلفظ وجود عدد من المحضورات التي يكون مصدرها المجتمع لما يحتويه من عادات وتقاليد ودين وسياسة وأخلاق، يحكم هذا الأخير وينعكس ذلك على اللغة باعتبارها وليدة المجتمع، بالإضافة إلى ذلك قد يضطر المتكلم إلى عدم استخدام الكلام المباشر الصريح مراعاة لظروف المتخاطبين ومقاماتهم وأحوالهم وأن لا تخرق العادات الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه.

والقصد والتلميح يزيد من إنجاح عملية التواصل وخاصة إذا كان أطراف التخاطب على علاقة تفاهم وانسجام من قبل، فالتلميح أبلغ صورة من التصريح المباشر، وقد يكون التلميح مقصودا وغير مقصود، والكلام لا يعني دائما التصريح بل يعني أحيانا حمل

1- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط (د.ط)، 1989، ص 37.

السامع على التفكير في شيء غير مصرّح به، وهو كلام متضمن في القول الصريح⁽¹⁾.
ومن أهم أشكال متضمنات القول نجد:

5-2-1 الافتراض المسبق (Pré - supposition)^(*):

مفهوم تداولي، ذو طبيعة لسانية يتم إدراكه من خلال العلامات اللغوية التي
يحتويها القول⁽²⁾، ففي الملفوظ (01) مثلا:

1- أغلق النافذة، وفي الملفوظ (02) - (02) لا تغلق النافذة في الملفوظين كليهما خافية
"افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة"، حيث يعنى الافتراض المسبق بالمعلومات
المشتركة بين المتكلم والمتلقي والمعروفة سابقا، حيث يوجه المتكلم حديثه للمتلقي على
أساس أنه معلوم لديه سابقا، وكل ذلك مربوط بسياق الحال والمقام وقائم على علاقة
المتكلم بالمتلقي.

ويميّز الدارسون بين نوعين من الافتراضات المسبقة، افتراضات مسبقة دلالية
منطقية وأخرى افتراضات مسبقة تداولية، فالأولى مشروطة بصدق بين قضيتين، فإذا
كانت القضية في الجملة (أ) صادقة، لزم أن تصدق القضية المعبر عنها بالجملة (ب)
نحو: إن المرأة التي تروجها عامر كانت أرملة، وكان القول مطابقا للواقع (صادقا)، لزم
عن ذلك أن يكون القول (ب) عامر تزوج، أرملة، صادقا كذلك لكونه مفترض مسبقا، أما
الافتراض المسبق التداولي فلا علاقة له بالصدق أو الكذب، لأن القضية المعبر عنها فيها
يمكن أن تنفي دون أن يتأثر الافتراض المسبق وذلك نحو قولنا فريقكم يقدم كرة نظيفة، ثم

1- Dominique maingueneau : pragmatique pour le discours litteraire, Dumond, 1997, P 81.

*- من الباحثين المعاصرين من يطلق على الافتراضات المسبقة "مصطلح الإضمارات التداولية" ينظر: طه عبد
الرحمن: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص 113.

2- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ط01،
ص 113.

قولنا فريقكم لا يقدم كرة نظيفة، فبالرغم من وجود التناقض والاختلاف بين القولين فإن الافتراض المسبق لهما واحد ولا يزال قائماً وهو كون الفريق يمارس كرة القدم⁽¹⁾.

فالمعرفة المشتركة هي الأرضية التي يعتمد عليه طرق الخطاب في إنجاز التواصل، إذ ينطق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله وذلك حتى يتمكن من الإفهام والفهم⁽²⁾.

أمّا إذا كان ما لدى المرسل من معلومات ورصيد مسبق لا يشكل أساساً ينطلق منه في مخاطبة المتلقي، وكان هذا الأخير خالي الذهن حاله كحال المرسل، أدى ذلك إلى ما يعرف بـ "سوء التفاهم" الناتج عن ضعف أساس الافتراضات المسبقة، الضرورية لنجاح كل تواصل كلامي⁽³⁾.

5-2-2 الأفعال المضمرّة: (Les sous entendus):

هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية⁽⁴⁾، وترى الباحث "أوكيوني" (Orecchioni) أنه «كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات السياق الحديث»⁽⁵⁾، فلو قال أحدهم: أهذا بنك؟ فالسياق الذي ألقى فيه هذا السؤال لا يدع مجالاً للشك في أن هذا تشير إلى شيء محدد "بنك" وأن الضمير "الكاف" يشير إليك، فلا مشكلة في فهم دلالية الكلام، ومعناه، لكنك قد لا تصل إلى المعنى الكامن خلف هذا السؤال المرتبط بمقام الحديث، فهل المتكلم يريد

1- ينظر: باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)، مرجع سابق، ص 124.

2- صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 32.

3- المرجع نفسه، ص 32.

4- المرجع نفسه، ص 32.

5- المرجع نفسه، ص 32.

إجابة عن السؤال بنعم أو لا؟ أو أنه يخرج عن هذا المعنى إلى مقصود آخر، هو التعبير عن اللوم لأن ابنك ارتكب خطأ؟ أو إعجابا به؟ فالجملة السابقة "أهذا ابنك؟" تحمل في طياتها العديد من المعاني المختلفة باختلاف الملابس السياقية التي تقترن بها لحظة التلفظ، وقد تشكل هذه الملابس نتيجة عدم إعطاء المفردات المكونة لأجزاء التركيب دلالة واضحة ومحددة⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق يقترح (ليتشن) التمييز بين السياق المعطى والسياق المستنبط أو السياق الداخلي، طرح الأسئلة التالية:

- 1- من هم المشاركون؟ من هو الكاتب؟ لمن وجهت الرسالة؟
 - 2- ما موضوع التواصل؟ ما هي الموضوعات "الأشياء" المشار إليها في مجرى الرسالة؟
 - 3- ما الوساطة التي تم بها التواصل (هل الرسالة مكتوبة أو منطوقة؟ ما هي وسيلة نقلها؟).
 - 4- ما وظيفة التواصل؟ (الإخبار، التعليم، الإقناع؟)⁽²⁾.
- ولقد وضع مصطلح "الإضمار" للتعبير عن معنى عدم التصريح فقول "معنى مضمّر" وقضية مضمرة" مثال:

- هذا النبيذ مسكر، فكان حراما.

فقد أضمرت فيه المقدمة التالية: المسكر حرام.

1- أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط01، 2015، ص 21.

2- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1991، ط01، نقلا عن: جيوفري ليتشن، مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا شرق، المغرب، 2013م، ص 187.

لكن العادة جرت باستعمال ألفاظ أخرى للدلالة على نفس الغرض وأكثرها تداولاً "الحذف" في مقابل "التقدير" والترك في مقابل "الذكر" و"الاستتار" في مقابل الظهور فيتعين عليها النظر فيما يختص به الإضمار من دون هذه الألفاظ المتداولة⁽¹⁾.

3-5 الاستلزام الحواري:

إن وجود جمل عديدة تدل في كثير من السياقات والمقامات على معنى غير ذلك الذي يوحي إليه المعنى الحرفي للجمل، فإن الدلالات الموحية في العبارات اللغوية يمكن أن نصنفها إلى صنفين: دلالة صريحة وهي تلك التي تدل على صيغة العبارة نفسها بشكلها الحرفي، أمّا الدلالة الثانية دلالة ضمنية وهي التي توحي إليها تلك الجمل والعبارات طبقاً للمقامات والأحوال والظروف المناسبة للخطاب المتحدث به، وبالتالي من خلال فعل القصد والتضمين تتولد عنه معاني أخرى، أي نستعمل جملة معينة ونقصد به معنى آخر لهذه الجملة، ومن ثم يكون الانتقال من معنى مباشر صريح وظاهر إلى معنى مستلزم وغير صريح وهو ما يسمى بالاستلزام والاقتضاء الحواري، ومن ذلك تنتج عنه بعض التساؤلات ما هو الاستلزام الحواري؟ كيف يتم التواصل الفعلي والتحاور بين المتخاطبين لإدراك ومعرفة المعنى المستلزم، سنجيب عن هذه الأسئلة في هذا الجزء .

يعدّ الاستلزام الحواري (Conversational implicature) من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية (Pragmatics) وأول من دعا وأتى بهذا المفهوم هو "هوبرت بول غرايس" (H.P. Grice) في مقاله الشهير "المنطق والتحاور" وحاول من خلال طرحه التمييز بين مقول القول من جهة والمستلزم من القول من جهة أخرى؛ أي ما يمكن أن تعنيه الجملة إضافة إلى معناها الحرفي.

1- ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص 146.

ففي بعض الأحيان لا يخدم المعنى التواصفي للكلمات المستعملة تحديد ما قيل فقط وإنما يكون مستلزماً أيضاً⁽¹⁾.

وللتمثيل نورد مثلاً نوضح به ما قدمناه سابقاً وهو حوار دار بين شخصين نرسم لهما بـ (أ) و(ب):

أ- هل سافر محمد أمس؟

ب- لا تزال سيارته أمام البيت.

فالشخص (أ) يسأل عن سفر محمد بالأمس، فيجيب الشخص (ب) بجملة مفادها الحرفي أن سيارة محمد لا تزال تركز أمام بيته، ولكنها من الناحية الاستلزامية فقد تعنى أيضاً أن محمداً لا يزال في بيته أي أنه لم يسافر بعد، إن مثل هذه العمليات التي تجري في التحوارات هي ما أسماه "غرايس" بالاستلزام التخاطبي (L'implicitation)⁽²⁾.

ويختلف الاستلزام الحوارية عن الأقوال المضمرّة، في كون الأول يعتمد على المعنى المعطى، والمرتبطة بدلالة سياقية خاصة بالوضع المقامي، فإذا كان المعنى المقصود من العبارة مبني على الاستنتاج، وإذا كان المستنتج معاوناً للمتكلم، والمخاطب فإن هذا الاستنتاج يدخل في إطار الافتراض المسبق، أما إذا كان المعنى المستنتج غير معروف للمخاطب مسبقاً، فإن الاستنتاج يدخل في إطار تضمين المحادثة "الاستلزام الحوارية"⁽³⁾.

1-H. Paul grice, logique et conversation traduction française de Frédérie Berthet et Michel Bozon, revue communication n 30, 1979, P 60.

2- محمود طلحة، مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص 114.

3- الحسن شاهر: علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001م، ص ص 168-169.

كما يشدد غرايس في دراساته للاستلزام الحواري على القصد والنية من وراء خطاب المتكلم (المخاطب) في فهم المخاطب المتلقي حواراه وخطابه.

وقد نظر غرايس إلى أن الاستلزام نوعان: استلزام عرفي (Conventional implicature) واستلزام حواري (Conversational implicature)، أما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، ومن ذلك مثلا في الإنجليزية (But) ونظيرتها في اللغة العربية (لكن) هي هنا، وهناك تستلزم دائما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع مثل: My friend is poor, but honest ومثل: صديقي فقير، لكنه صادق، وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها⁽¹⁾. لقد كان ما يشغل (غرايس) هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون (Cooperative principle) بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ (Mascims) فرعية هي:⁽²⁾

أ- مبدأ الكم (Quantity): اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

ب- مبدأ الكيف (Quality): لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

ج- مبدأ المناسبة (relevance): اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

1-Thomas, Jenny: meaning in interaction an introduction to pragmatique longman London and new york 1996, P 183.

2-Lyons J : linguistic semantics, an introduction, combridge university press, 1996, P 277.

وانظر أيضا: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة الإمام حسان، عالم الكتب، 1998، ص 495.

د- مبدأ الطريقة (Manner): كن واضحاً ومحدداً، و تجنب الغموض (Obscurity) وتجنب اللبس (Ambiguity) وأوجز، ورتب كلامك.

هذه هي المبادئ التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوار مثمر وينبغي هنا اللفت إلى أمرين:

أحدهما: أن بعض الباحثين رأى في مبدأ التعاون تعبيراً عن فردوس الفلاسفة (Philosopher) الذي لا يمت إلى الواقع بصلة فهو يرى الناس جميعاً متعاونين صادقين، مخلصين، واضحين، وليس من الممكن ولا المشاهد أن يتحدث الناس على هذا النحو كل حين، بل إن أغلب أنواع الحوار الذي يدور بين البشر يخالف هذا المبدأ والحق أن الرجل لم يقصد بمبدأ التعاون الحوار ما عجل هؤلاء إلى فهمه، بل كان يقصد أن الحوار بين البشر يجري على ضوابط تحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم⁽¹⁾.

فوصل إلى وضع أربعة قواعد جعلها ضابطة لكل حوار لغوي ويحكمها مبدأ التعاون، فالممارسة اللغوية بحسب غرايس نشاط عقلائي يهدف إلى التعاون بين المتخاطبين، لذلك لا بد من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة من اعتبارات فعلية تدبر السلوك التخاطبي وتجعله ناجحاً⁽²⁾.

وتقوم القواعد السابقة بترسيم ما يجب على المشاركين القيام به، لكي يتم التخاطب والتواصل بالطريقة المثلى (تعاون، عقلانية، فعالية)، فإذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة مع احترام مبدأ التعاون حصلت ظاهرة الاستلزام الحوارية.

1-Levinson, stephen : Pragmatics, combidge university press, 1983, P 01.

2- عادل فاخوري: الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر (الألسنية)، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، ع03، 1989، ص 146.

ويقترح غرايس تنميطة للعبارات اللغوية:⁽¹⁾

يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة ومعان ضمنية:

1- فالمعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

أ- **المحتوى القضوي:** وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد⁽²⁾.

ب- **القوة الإنجازية الحرفية:** وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر والنهي والتوكيد، والنداء والإثبات والنفي....

2- المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

أ- **معاني عرفية:** يقصد بها الدلالات المرتبطة بالجملة ارتباطا وثيقا، وهي لا تتغير بتغير السياقات والمقام مثل: الاقتضاء، والمعنى الثاني.

ب- **معاني حوارية:** وهي التي تتولد طبقا للسياقات والظروف التي تنجز فيها العبارات والجمل، مثل الدلالات الاستلزامية، ويمكن التمثيل لذلك بجملة ألا تراجع دروس الفيزياء الصعبة؟

فالمعنى الصريح لهذه الجملة يتشكل من:

أ- محتوى قضوي ناتج عن عملية ضم مفردات الجمل وإعطاء معنى معين، وهو: مراجعة دروس الفيزياء صعبة.

1-H.P. Grice, logique et conversation in l'information grammaticale traduit par, frederick berthet et micheal bozen, (paris), n 66, 1995, PP 51-71.

2- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق ص 34.

ب- قوة إنجازية حرفية، وهي الاستفهام المؤشر عليها بهمزة "ألا" والتنغيم المراد في الجملة.

وقد درست هذه الظاهرة (الاستلزام الحوارية) بعد بول غرايس (P. Grice) ضمن نظرية الأفعال الكلامية، على أساس أن المحتوى القضوي للجملة يواكب فعلا لغويا واحدا فإن لتلك الجملة فعلين لغويين أحدهما مباشر مدلول عليها حرفيا بصيغة الجملة ذاتها والآخر غير مباشر يستفاد من مقام وورود الجملة⁽¹⁾.

فإذا قال لي صديقي: لنذهب إلى الحفلة هذا المساء وأجبتة قائلة: علي أن أنجز أطروحتي للدكتوراه، أكون قد أنجزت فعلين لغويين، الأول: فعل لغوي مباشر هو الإخبار بكوني أنجز أطروحة الدكتوراه والثاني فعل لغوي غير مباشر ممثل في رفض دعوة صديقتي بالذهاب إلى الحفلة في المساء.

ووفق هذا الطرح الذي قدم سابقا يمكن القول أن أهم ضابط أساسي تميزت به هذه النظرية هو مبدأ المناسبة ليكن إسهامك في الحديث متناسيا مع إطار الموضوع القائم حيث يعدّ جوهر ركيزة المبادئ والمسلمات الأخرى، حتى أنه من العلماء والباحثين من اختصر كل المبادئ التي نتجت عن نظرية الاستلزام الحوارية في هذا المبدأ.

4-5 الإشارات:

توجد في كل اللغات كلمات وتعبيرات لا يتحدد مدلولها، ولا يمكن تغييرها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، والمرجع الذي يحيل إليه وتسمى بالإشارات (Deictics) وتشمل الضمائر وأسماء الإشارة وزمان الفعل، وبعض ظروف الزمان والمكان (أنا، أنت، هو، هي، هنا، هناك، الآن، أمس، غدا)⁽²⁾، فهذه الإشارات «من العلامات اللغوية

1- ينظر: باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، مرجع سابق، ص ص 32-33.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت»⁽¹⁾. وهذا ما جعل النحاة العرب يصفونها بالمبهمات لأنها لا تفيد معنى في ذاتها إلا إذا وضعت في جملة معينة ووردت في سياق معين، والإشارات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة⁽²⁾.

والمتلطف يعتمد بخطابه إلى استعمال ما يحتاج منها في كلامه كي يضمن نجاعة خطابه وعدم إبهامه، وقد ميز الباحثون في هذه الإشارات خمسة أنواع: شخصية وزمانية، ومكانية وخطابية واجتماعية.

أ- الإشارات الشخصية (Personal Deictics): وهي الإشارات الدالة بصفة عامة على ضمائر المتكلم والغائب والمخاطب، وأوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص (Person) هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية على المخاطب المفرد والمثنى والمذكر والمؤنث، وتعد الجمل من قبيل الإشارات الشخصية، وفي حياتنا اليومية وجدنا ولاحظنا وسمعنا الكثير من المحادثات المتنوعة لا نفهمها إلا بالتعرف على نوع الحدث والخطاب ومعرفة أطراف الخطاب على ضرب المثال كما يلي:

- اقرأ الكتاب في قسمي - أريدك أن تراجع دروسك الآن - التقيت بهم في الحفلة بالأمس.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ط01، ص 80.

2- دايك فان: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م، ص 266.

حيث نلاحظ في الجملة الأولى خطاباً ولم نفهم لمن وجه هذا الخطاب ولا نفهم فهما جيداً مرجع كل الضمائر الموجودة في الجملة، حيث نتساءل من المتكلم؟ ومن المخاطب؟ ومن الغائب؟ إلا بملاحظة أحوال وسياقات هذا الخطاب وكذلك جرى الحديث مع الجملة 02-03 فهذه هي صيغ الإشارات الشخصية⁽¹⁾.

ب- الإشارات الزمانية (Temporal Deictics): وتشمل ظروف الزمان بصفة عامة فإذا لم يعرف الوقت والزمن التباس الأمر والموضوع على المتلقين وأصبح مبهماً والإشارات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة (Deictic center) الزمانية في الكلام⁽²⁾.

وذلك حول قول القائل: سنلتقي بعد ساعة، فلا يمكن التكهن ومعرفة الوقت إلا بالنظر إلى زمن التلفظ كقولنا: لنسافر الآن، فإن الكلمتين "الساعة" و"الآن" يمثلان إشارتين زمانيتين يتحدد على أساسهما الزمن من خلال زمن التلفظ، وإلا سوف يبقى ذلك الزمن مبهماً، ومن هنا فإن منتج الإعلان التجاري على سبيل المثال يستثمر تداولية هذه الإشارة في خطابه الإعلاني، وذلك من خلال نقل المركز الإشاري إلى الإطار الزمني والمكاني الذي يطلع فيه السامع أو القارئ على النص⁽³⁾.

ج- الإشارات المكانية (Spatial Deictics): وهي عناصر تشير إلى الأماكن ويعتمد في استعمالها على معرفة مكان المتكلم ووقت التكلم⁽⁴⁾، وحتى على مكان السامع أو المتلقي للخطاب، ولذلك نجد المتكلم يضمن في كلامه الكثير من العناصر الإشارية التي تدل على المكان مثل: هنا، هناك، أمام، فوق، تحت، يمين، يسار، وغيرها من ظروف

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 17-26.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

3-frans H. Van Eemeren and rob grootendorst, Analysing argumentative discourse, In robert trapp and janice sechetz (ed) perspectives on argumentation, PP 86-106.

نقلا عن: عبد القادر بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية، مرجع سابق، ص 84.

4- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 21.

المكان، وعند تحديد المكان ستؤثر فيه اختيار العناصر التي تشير إليه من ناحية القرب أو البعد أو الوجة المتبعة، ولا يمكن معرفة أو تغيير العناصر الإشارية المكانية إلا بالنظر والقياس إلى مكان التكلم وموقعه⁽¹⁾.

د- الإشارات الخطابية (Discour deictics): تعدّ من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، فقد يتخير المتكلم في ترجيح رأي على آخر، فيقول: «ومهما يكن، وقد يستدرك فيدرج "لكن" وقد يضيف فيقول: "فضلا عن ذلك"»⁽²⁾.

وقد تلتبس إشارات الخطاب بالإحالة^(*) إلى سابق Anaphora أو لاحق Cataphora، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشارات.

هـ- الإشارات الاجتماعية: وهي عناصر لغوية تستعمل للدلالة على العلاقة الاجتماعية القائمة بين المتكلمين والمتخاطبين من حين كونها علاقة رسمية (Formal) أو علاقة ألفة ومودة (Intimacy) والعلاقة الرسمية تدخل فيها صيغ التبجيل والاحترام والتقدير وذلك في مخاطبة من هم أكبر منك سنا ومقاما من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية والطبقات، أو حفظ للحوار في إطار رسمي، وهي تشمل أيضا الألقاب مثل: فخامة الرئيس، الإمام الكبير، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ، كما تشمل أيضا

1- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 21-22.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

*- يميز بعض الباحثين بين الإحالة والإشارات الخطابية، حيث يروا أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: زيد كريم وهو ابن كرام أيضا، فالمرجع الذي يعود إليه زيد هو واحد، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع، فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرت قصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلا، لكن تلك قصة أخرى، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد، ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 24.

السيدالسيدة، الأنسة، ويدخل فيها أيضا: حضرتك وسيادتك وسعادتك إلى غير ذلك من الألفاظ والعبارات، التي تلقى احتراما للمقامات⁽¹⁾.

والظاهر أن الإشارات الاجتماعية تشكل نقطة وصل بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي، إضافة إلى هذه المفاهيم الإجرائية التداولية توجد مفاهيم أخرى تثري التداولية وذلك نحو:

5-5 القصدية (Intentionnalité): يندرج مبحث القصدية في الأصل ضمن فلسفة العقل⁽²⁾. وتعد مفهوم إجرائي يلقي اهتماما بالغا في النظرية التداولية المعاصرة والقصدية «هي ذلك الملمح من العقل الذي بواسطته يمثل الأشياء وحالات الواقع في العالم تمثيلا جوهريا»⁽³⁾.

والمقاصد في اللغة، جمع مفرد (مقصد) مشتق من الفعل (قصد) يقصد، قصدا وأصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتَّوجُّهُ والنُّهُوضُ نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جَوْرٍ، هذا أصله في الحقيقة، والقصد يطلق ويراد به عدة معاني: منها إتيان الشيء، استقامة الطريق، الاعتماد والعدل...⁽⁴⁾.

ونجد أنّ الدكتور "طه عبد الرحمن" قد ذكر مبدأ القصدية⁽⁵⁾، ومقتضاه أنّه لا كلام

-
- 1- محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 25.
 - 2- جون سيرل: العقل، مدخل موجز، تر: ميشيل ضامبيستاس، عالم المعرفة، ع343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 2007، ص 141.
 - 3- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط01، 2011، ص 151.
 - 4- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1391هـ-1971م، ج09، ص 35.
 - 5- إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظري النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007، ص 357.

الإامع وجود القصد، صنيعته هي: الأصل في الكلام القصد⁽¹⁾.

فالقصدية في معناها العام تضم ظواهر عقلية عديدة نحو: الإدراك والاعتقاد والقصد، والرغبة والحب والأمل و الخوف وكل ما يمكن أن يمثل أشياء وحوادث أو مواقف في العالم الخارجي وتكون هذه الحالات والمواقف مرتبطة دائماً بشيء ما⁽²⁾.

ولقد قامت العديد من النظريات والمذاهب الفلسفية على النظرية القصدية وذلك راجع إلى المسائل المعقدة وصعوبة البحث فيها، وقد وصفها جون سيرل الفيلسوف الأمريكي بالمشكلة لشدة تعقيدها وهي بساطة ذلك الملمح للحالات العقلية الذي عن طريقه تتجه وتدور حول أشياء وحالات للواقع خلاف ذاتها⁽³⁾.

ونجد أنّ التهانوي ينصّ على أنّ أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإنّ الدلالة عندهم فهم المعنى مطلقاً سواء أَراده المتكلم أولاً، فظهر أنّ الدلالة تتوقف على الإرادة مطلقاً مطابقة كانت أم تضمناً⁽⁴⁾.

كما نلاحظ اهتمام الطاهر بن عاشور في كتابه (التحرير والتتوير) ببحث القصد التداولي، أي القصد المركب من قصد المتكلم منشئ الخطاب وقصد السامع المتلقي للخطاب، قصد المتكلم إلى إيراد الكلام على نحو مخصوص لإفادة معان ودلالات مقصودة عند المتكلم ما نجده على سبيل المثال حال حديثه عن تنوع أشكال ورود القصة الواحدة في القرآن بما قد يحمل على استشكال تكرارها، يقول: «ومنها أن يكون بعض

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط01، 1998، ص 103، وطه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 39.

2- ينظر: جون سيرل: العقل، مدخل موجز، مرجع سابق، ص 151.

3- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص 134.

4- التهانوي(محمد علي): كشف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1963، ج02، ص 291.

القصة المذكور في موضع مناسباً للحالة المقصودة من سامعيها ومن أجل ذلك نجد ذكرنا لبعض القصة في موضع ونجد ذكرنا لبعض آخر في موضع آخر، لأن فيها ذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له فإنها تارة تساق إلى المشاركين وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين وتارة إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة ثم تساق إليها في حالة أخرى، وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات، ألا ترى قصة بعث موسى كيف بسطت في سورة طه وسورة الشعراء، وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْرتَهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٧﴾﴾⁽¹⁾. ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة وتارة لا يقصد ذلك⁽²⁾. والملاحظ مما سبق أن رؤية ابن عاشور للقصدية من هذا المنظور كان تداولياً محضاً وذلك راجع إلى اهتمامه ورعايته للقرآن الكريم وتأويله وتفسيره مراعاة لأحوال المتخاطبين النفسية وأوضاعهم ومواقفهم.

ومقابل اهتمام العرب بهذا المبدأ نجد أنه هناك العديد من الدراسات اللسانية والفلسفية في الممارسات الغربية وخصوصاً الأمريكية قد اهتمت بموضوع القصد والقصدية في إنجاز الخطاب وتأويله، وذلك راجع إلى نشوء المدرسة التداولية أول أمرها في أمريكا من ذلك دراسة الفيلسوف جون سورل عن القصدية من وجهة نظر فلسفة اللغة وفلسفة العقل وغيرها من الدراسات الأخرى⁽³⁾، ونجد تنامياً وتطوراً واضحاً لدراسة

1- سورة الفرقان، الآية 35-36.

2- ملكاوي فتحي حسن(محرراً): الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، هرنند، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2011، ص 371.

3- John R. Searle (1983) intentionality, on essay in the philosophy of mind, combridge university press on the pragmatics of intentionality

نقلاً عن: إدريس مقبول: في تداوليات القصد on the pragmatics of intentionality، مجلة النجاح للابحاث (العلوم الإنسانية)، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مج28، مكناس، المغرب، 2014، ص 02.

المقصدية في الدراسات العربية المعاصرة بالجامعات العربية مع جهود عدد من الباحثين في المقارنة بين التراثين العربي والغربي في مجال المعنى والدلالة، أمثال طه عبد الرحمن، وابن عيسى أزابيط، وصالح إسماعيل عبد الحق وإدريس سرحان وأحمد المتوكل وحسان الباهي، وعبد الهادي الشهيري وسيد الطبطبائي ومحمد العارضي وغيرهم، حيث تناولوا موضوع القصد من زوايا مختلفة⁽¹⁾.

ويبدو أنّ الاهتمام بمبدأ القصد وربطه بمفهوم التلفظ واضحا وجليا أكثر في تعريف ابن جني (ت 392هـ) للغة، إذ يقول: «حد اللغة أصوات يعتبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽²⁾. فاللغة في منظوره أصوات مجردة يريد المتكلم أن يعتبر من خلالها عن مقصد (غرض) معين ويتقاطع ويتلاقى ابن جني في هذه النقطة مع التداولية المعاصرة التي تهتم بالمقصدية، ومن هنا وردت نصوص الشرع الإسلامي تخدم مقاصد متنوعة للبشر وتزيح الستار عن ما يعلق في حياة البشر من ملابسات.

5-6 النظرية الحجاجية (L'argumentation)

تعد اللغة مدخلا أساسيا لنظرية الحجاج بوصفنا نتكلم عامة قصد التأثير وأن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية⁽³⁾، واللغة يعبر بها الفرد عن مكنوناته وأغراضه واحتياجاته وإدراكاته، شريطة أن يتواجد طرفي الخطاب ألا وهما المتكلم والمتلقي مع إقناع المتلقي بالحجج والبراهين والأدلة التي تساعد على الفهم والتأثير فيه.

1- ينظر: إدريس مقبول، في تداوليات القصد on the pragmatics of intentionality، ص 03.

2- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، 1381هـ- ط 02، 1952م، 1/ 33.

3- أبو بكر العزاوي: سلطة الكلام وقوة الكلمات، وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، ع 63/62، ص ص 142-143.

يكتسي الحجاج أهميته وزخمه من الخطاب الذي يرد فيه بقوة وفعالية باعتبار أن الخطاب نسق من المستويات والعناصر الصوتية والصرفية والتركيبية، بالإضافة إلى العناصر المقامية الخارجية المرافقة للخطاب والحجاج واقع في صلب نظريات تحليل الخطاب، وبالحجاج يزداد الخطاب قوة وتأثيرا وإقناعا، وقد غدا من الموضوعات المهمة التي حظيت باهتمام بالغ في الدراسات العربية الحديثة، وذلك بالبحث في أطره وإشكالاته من قبل الدارسين الغربيين، كما أن التواصل الإنساني يقوم أساسا على الحجاج والجدال حتى قيل أنه لا يوجد تواصل من دون حجاج، فكل تواصل تحتاج وكل تحتاج تواصل.

5-6-1 الدلالة اللغوية والاصطلاح لمصطلح الحجاج:

يعرف الزمخشري الحجاج في كتابه أساس البلاغة بقوله: حجج: احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب وحاج خصمه وحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة، وسلم المحجة⁽¹⁾، ويعرفه ابن منظور بقوله: «الحجة: البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل، والتجاج التخاصم وجمع الحجة حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة وحجه يحجه حجا غلبه على حجته، وفي الحديث فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة [...]»⁽²⁾ أما في المعجم الوسيط (حاجه محاجة وحجاجا: جادله وفي التنزيل العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ﴾» (تجاجوا) تجادلوا⁽³⁾ احتج عليه: أقام الحجة، لكن ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: تنبه إلى أن هناك فرقا دقيقا بين المعنيين اللفظيين (الحجاج والجدال) فعنده نجد معنى حاج بمعنى خاصم، والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول

1- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1395هـ-1979م، ص 113.

2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1410هـ-1990م، ط01، 2/ 228.

3- إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الأحمد: المعجم الوسيط، ط02، (د.ت)، 1/ 157-156.

لإقناع الغير برأيك⁽¹⁾، وفعلاً أنه يوجد فرق كبير وواضح بين اللفظين، حيث لا يوجد في اللغة العربية موضوع اسمه الترادف وإنما هو من باب استعمال لغوي لكل قبيلة عربية والفرق واضح في القرآن الكريم، والجامع بين اللفظين (الحجاج والجدل) هو المخاصمة، لكنّها في الحجاج كما يرى ابن عاشور قائمة على الباطل معتمداً على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رِيهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾⁽²⁾.

في حين أنّ الجدل منه ما هو حق كقوله: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽³⁾، ومنها ما هو باطل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ سَخَطَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾⁽³⁾.

أمّا ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة فيعرف الحجاج على النحو الآتي: «يقال حاجبت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، و الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج، والمصدر حجاج»⁽⁴⁾.

ويظهر لنا من خلال التعريفات السابقة أنّ اللغويين العرب القدامى يشتركون في نقطة واحدة وهي أنّ الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين طرفين، ولذلك اعتبروا الحجة وسيلة يستعملها المتكلم لإقناع خصمه وإقامة الحجّة عليه بالدليل والبرهان ليس بالمخالفة والمُلاجّة

5-6-2 المعنى الاصطلاحي للحجاج:

1- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 194.

2- البقرة، الآية 258.

3- النساء، الآية 107.

4- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط01، 1411هـ-1991م، 2/ 30.

نجد العديد من التعريفات لمصطلح الحجاج، فقد ورد تارة مرادف للجدل، وهناك من ربطه بالخطابة، وهناك من درسه بناء على تقسيمه إلى شقين وهما ضمني وصريح وربطه بنظرية المساءلة، وفيما يلي لمحة عن أهم التعريفات.

أ- الحجاج في الثقافة العربية:

- عند القدامى: لقد ورد في كتاب الزركشي "البرهان في علوم القرآن" وذلك في الفصل المعنون "في معرفة "جدله" مصطلحا البرهان والاستدلال: ولم يتحدث عن الحجاج والجدل وذلك لقوله: «اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به»⁽¹⁾.

أمّا الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتبيين" يعطي أهمية بالغة للخطاب الإقناعي في حديثه عن البلاغة بقوله: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل الحظ، متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك، بكلام السوق»⁽²⁾. ونجده أيضا في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي في الفصل المعنون "جدل القرآن"، حيث قصد بالجدل البرهان ومعه الحجاج وربط هذه المصطلحات بالمذهب الكلامي، وأراد بذلك احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة⁽³⁾، ومن ذلك فإن السيوطي قد جمع بين المصطلحات الثلاثة الحجاج والجدل والبرهان يأتي كآخر إثبات لما يحتج به ويُجادل لإسكات الآخر.

1- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مج02، ص 24.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط02، 2003م، ج01، ص 74.

3- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: "الإتقان في علوم القرآن"، دار ابن كثير، دمشق، ج02، ص 1055.

ونجده أيضا عند ابن خلدون في كتابه "المقدمة" إذ يلح على استعمال الحجاج في حديثه عن أصول الفقه وذلك بوصفه آلية الإقناع المثلى معتبرا أنه معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم⁽¹⁾.

وهكذا نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن أغلبهم جمع بين الحجاج والجدل والبرهان، وأن الحجاج له رابط بالجدل والإقناع، فالخطاب لا يمكن أن يؤثر في المتلقي إلا بالحجاج والذي يؤدي إلى الإقناع والتأثير في نفسية المتلقي.

ب- عند المحدثين العرب:

أمّا فيما يخص المحدثين من العرب، فقد تناولوا موضوع الحجاج من جهات متعددة، ومنهم من انطلق في مفهومه للحجاج بالمزج بين العربي القديم والغربي الحديث ومن أبرز هذه الأعمال نجد الدكتور "طه عبد الرحمن" في كثير من دراساته وكتبه مثل: كتاب أصول الحوار وتجديد علم الكلام؛ حيث تحدث عن المنهج الاستدلالي والذي أطلق عليه بالحجاج، بقوله: «إذا جاز أن "المحاورة" تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي جاز معه أنها تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع من بنيات البرهان الضيقة كأن يعتمد "المحاور" في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع... وكل سبيل استدلالي يكون هذا وضعه، فهو سبيل احتجاجي لا برهاني يقيد فيه المقام التراكيبي ويرجح فيه العمل على النظر»⁽²⁾. ويقول أيضا: «حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيا لا برهانيا صناعيا، وحد الحجاج: أنه فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأنّ طابعه فكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا لأن هدفه إقناعي قائم على بلوغه على التزام صور استدلالية أغنى وأوسع من البنيات البرهانية الضيقة»⁽³⁾.

1- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005، (د.ط)، ص 14.

2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 46.

3- المرجع نفسه، ص 65.

ويذهب طه عبد الرحمن في ذلك عند مقارنة الحجاج بالبرهان بإعطاء صنفين رئيسيين للحجاج، فالأول: «تداولي لأن طابعه فكري اجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال... وأمّا الصنف الثاني فهو كونه جدلياً لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»¹.

ومن خلال هذه الأصناف نجد الحجاج أوسع من البرهان وأنه يكتسي طابعاً جدلياً لأنه يأخذ في الحسبان المقامات والسياقات المختلفة، وكذا المعارف والخبرات المتعارف عليها والمشاركة بين المتخاطبين بهدف إرساء الانسجام الحوارية والتخاطبي بين الطرفين، وبالتالي يكون هناك التأثير والتأثر.

كما أسهم أبو بكر العزاوي في هذا المضمار بعدد من المقالات التي توزعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية، ومن هذه المقالات ما جاء بعنوان "نحو مقارنة حجاجية للاستعارة"⁽²⁾. إذ طبق فيه مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة في هذا المقال مستنتجاً أن الاستعارة تفضل الحقيقة من ناحية قوتها الحجاجية، إذ يبدو [...] أن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجياً، من الأقوال العادية⁽³⁾، ومن جهة أخرى، لم تقتصر أعماله على دراسة الخطاب النثري فقط، بل تجاوزته إلى تحليل الخطاب الشعري، فقسّمه من وجهة النظر الحجاجية إلى شعر حجاجي وشعر غير حجاجي⁽⁴⁾. كما يؤمن بأن الحجاج يوجد حيث ما وجدت اللغة.

1 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 65.

2- أبو بكر العزاوي: "نحو مقارنة حجاجية للاستعارة"، مجلة المناظرة، المغرب، العدد الرابع، السنة الثانية، شوال 1411هـ/ مايو 1991م، ص ص 78-84.

3- المرجع نفسه، ص 80.

4- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت/ لبنان، ط 01، 2004، ص ص 475-476.

لقد سلك عبد الهادي بن ظافر الشهري مسلك طه عبد الرحمن في كونه الحجاج هو هدف إقناعي، حيث ركز على أن أهمية الحجاج تكمن فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه الذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللغة، والمحدثون أمثال طه عبد الرحمن وأن كان معتدلاً، إلا أنه يميل كثيراً إلى معطيات العرب ولاسيما عن طريق الترجمة، فهم لا يصبون ألفاظ الحجاج والمجادلة والبرهان مثلما يفهمه علماء الإسلام وإنما يعطونه العطاء الفلسفي البراغماتي فقط. ومن هنا يتضح أن استراتيجية الحجاج هي الاستراتيجية الأصلح في خضم الصراعات والمناقشات وكثير من المجالات الأخرى⁽¹⁾. فأى خطاب ينتجه المرسل له غاية وهدف معين يريد إيصاله إلى المسامح لاستمالتهم والتأثير فيهم وذلك عن طريق آليات الحجج المختلفة سواء كانت لغوية أو غير لغوية.

ج- الحجاج عند الغرب:

أما دراسة الحجاج في التقاليد الغربية المعاصرة، فقد نالت نصيباً وافراً من الاهتمام مثل دراسة (بيرلمان وزميله) في كتابهما "البلاغة الجديدة بحث في الحجاج" وما تعرض له (ديكرو) عند حديثه عن الدلالة المدمجة⁽²⁾. ويعد عمل (ميشال ميار) عن نظرية المساءلة⁽³⁾. من الأعمال الغربية التي تناولت الحجاج، والذي يعطي لمفهوم الحجاج بعداً مختلفاً، فهو ينطلق من فكرة التجديد الحالي للبلاغة والتي تعتبر أنّ البلاغة لا تختلف في شيء عن الحجاج، كما يلتقي مع أرسطو في تعريفه الشهير الذي يعطيه للبلاغة بأنها «القدرة على إعطاء كل مسألة ما هو مناسب للإقناع بها على هذا الأساس

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص ص 458-459.

2- ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري: المرجع نفسه، ص 454.

3- وقد تضمنت هذه الأعمال كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، بإشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس.

يقترح تعريفاً للبلاغة لتكون التفاوض حول المسألة الفاصلة بين الناس فيما يتعلق بمسألة أو مشكلة»⁽¹⁾.

أمّا أندري لالاند (André lalande) فيعرّف الحجاج"على أنه سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها (...). والحجاج طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها"⁽²⁾.

ويعرّف شايم بيرلمان (chaim perlman) الحجاج بقوله: «هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم الإقناع»⁽³⁾. ومن ذلك فبيرلمان يركز على مدى التأثير في المتلقي وإقناعه بالحجة والدليل.

أمّا بالنسبة "لميشال مايير" (michel meyer) فهو يرى أنه: «دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمانيه، وقد ربط الحجاج بنظرية المساءلة، فالحجة عنده ليست إلا جواباً أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتج المتلقي ضمناً عن ذلك الجواب فيقول: «وما السؤال إلا عرقل أو مشكلة تتطلب حلاً وحلها إنما يكمن في الإجابة عنها، إجابة يفهم منها ضمناً أن تلك المشكلة موجودة، بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلا طارحاً أسئلة يستنتجها ضمناً من

1- ينظر: سعاد لكحل: بنية الخطاب الحجاجي في الأعمدة الصحفية -دراسة تداولية لعمود نقطة نظام- بجريدة الخبر اليومي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، إشراف العربي بوعمامة، كلية العلوم الاجتماعية، مستغانم، 2016-2017، ص 93.

2- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، تعريب خليل أحمد خليل، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 93.

3- بيرلمان وتيتكا (Chaim pereleman et tyteka) مصنف في الحجاج الخطابية الجديدة، المطابع الجامعية بليون 1981م، ج01، ص 13، نقلًا عن: سامية دريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أريد-الأردن، ط02، 2011، 1432هـ، ص 21.

خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص مستعينا بالمعطيات التي يوفرها المقام»⁽¹⁾. ومن خلال هذا التعريف نلاحظ أن الحجاج لدى "مايبر" قائم على المساءلة أي سؤال وجواب يفهمه المتلقي للخطاب ضمنيا انطلاقا من الإجابات المطروحة في سياق معين.

ونشير أيضا إلى مفهوم أساسي في نظرية (ديكرو) الحجاجية وهو «التوجيه (L'orientation) إذ يرى أن غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمط من النتائج باعتباره الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيه»⁽²⁾. والمقصود بذلك أن الغاية القصوى من الحجاج هو توجيه المتلقي وإيصاله إلى فكرة معينة وإغرائه بهذه الفكرة ليحدث في نهاية الأمر أثرا واضحا في المتلقي.

ولقد أبرز لنا كل من "أنسكومبر وديكرو مفهوم الحجاج من خلال مؤلفهما "الحجاج في اللغة" وبيننا أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية"⁽³⁾. وأن الحجاج يكمن في اللغة وليس فيما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري، ويؤكدان أن أي خطاب له وظيفة حجاجية، فالحجاج عندهما يتمثل في تحقيق عمليتين اثنتين هما فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى سواء أكانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من طرف قضية "1"⁽⁴⁾.

فالحجاج عند أنسكومبر وديكرو يكتسي طابعا تداوليا تساؤليا (سؤال وجواب) وأن النتيجة تظهر ضمنيا من خلال الجواب الذي يصرح به المتلقي فتظهر بذلك القضية الثانية.

1- محسن بن عامر: البعد الحجاجي في مرزبان نامة لابن عرب شاه، جامعة صفاقس، تونس، جانفي، 2012، ص 292.

2- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص 23.

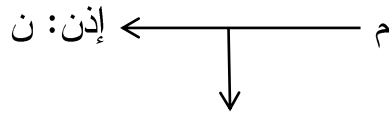
3-Ruth Amossy : L'argumentation sans le discours edition, Nathan, 2000, P 17.

4-J.C. anscombe et oswald duerot : l'argumentation dans la langue, Belgique, mardage, 3eme édition, P 11.

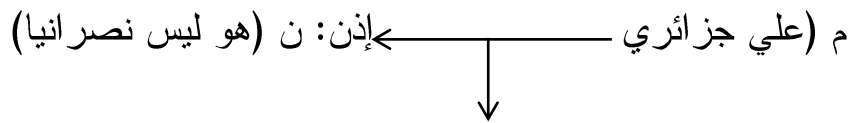
فمن خلال التعريفات السابقة والمختلفة للحجاج في الحضارتين العربية والغربية يتضح لنا أن الحجاج فاعلية حوارية تخاطبية تقوم على طرفين أو أكثر، قائم على مجموعة حجج تتحقق ضمن سياقات مقامية مختلفة داخل بوظقة اللغة، تهدف إلى التأثير والإقناع في الطرف الآخر.

أمّا الحجاج عند "س.إ. تولمين" (S.E. Toulmin) أتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في (1958) بعنوان (The uses of argument) الذي يهدف إلى دراسة الأدوار الحجاجية في الاستخدام العادي للغة، و عوض ذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاث مراحل ترجمها، وهي: (1)

الأول: يمثل حجاجيا ذا ثلاثة أركان أساسية هي: المعطى أو المصرح به (م) والنتيجة (ن) والضمان يكون ضمنيا (ض) ويصاغ على النحو التالي: (2)



نظر إلى أن



نظرا إلى أن: ض (أغلبية الجزائريين ليسوا نصرانيين).

1- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، تونس، ط02، 2007م، ص 25.

2-S.E toulmin : Les usages de l'argumentation, P 122-128 et 137.

نقلا عن: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط01، 2009م، ص 87-88-89.

الثاني: يمثل حجاجيا أدق من السابق بإضافة الموجه (ج) والاستثناء (س) الذي يحمل عناصر رفض القضية.

م () ← إذن: (ج، ن)
↓

نظر إلى أن: ض (اللهم إلا إذا: س).

مثال:

م (علي جزائري) ← إذن ج (من شبه المؤكد) ن (أنه ليس نصرانيا)

نظر إلى أن: اللهم إلا إذا (س)

ض (أغلبية الجزائريين) (اعتنق المسيحية عند دراسته

المطلقة ليسوا نصرانيين) بإحدى الجامعات (

الثالث: يمثل حجاجا أكثر دقة، بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يبني عليه الضمان (ض) فيكون على النحو "

م () ← إذن: (ج)، (ن)

نظر إلى أن: (ض) اللهم إلا إذا (س)

بحكم أن: (أ)

فيصبح المثال السابق:

م (علي جزائري) ← إذن (ج) من شبه المؤكد (ن) أنه ليس نصرانيا

نظر إلى أن (ض) أغلبية الجزائريين ← اللهم من شبه المؤكد اعتنق

المسيحية في إحدى الجامعات

ليسوا نصرانيين

والملاحظ أن أركان تولمين الثلاثة السابقة (م و ن وض) عددها ونهجها الاستدلالي شبيه بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على طريقة (صغرى، كبرى نتيجة)، وهو بناء يشير تولمين إليه صراحة ملاحظا بساطته وعدم قدرته على استيعاب كافة الحجج⁽¹⁾.

واللافت للانتباه في نموذج تولمين الحجاجي السابق أنه غير حجاجي باعتبار الحجاج يرمي إلى إقناع الغير، وإنما كان أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق، حيث يقصد بالبرهان "إثبات الحق"⁽²⁾، لا لإقناع الغير وإنما لإقناع المرء نفسه، ويلاحظ أيضا غياب الجمهور أو المتلقي الذي يعدّ الطرف الأساس الذي يقوم عليه الحجاج، مع إهمال المقام كعنصر هام في الحجاج، ولكن "تولمين" فسر نموذجه على أن المتلقي المحتمل قد يكون المتكلم ذاته يُخاطب نفسه ويحاول إقناعها، فهو حوار داخلي وليس مناجاة⁽³⁾.

وما نستخلصه من نموذج "تولمين" وتفكيره أن المنطق والحجاج ليسا في حالة تضاد وتصادم فهو لم يلق بالحجاج خارج المنطق وإنما قام بتلخيص المنطق من تشكيله الصوري الرياضي ودفعه باتجاه الحجاج، أي أنه أعاد الصياغة للمنطق ومحاولة تجديده من علم صوري إلى علم ممارسة⁽⁴⁾.

ونظرية الحجاج في اللغة انبثقت من داخل نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها "أوستين وسيرل" وقد قام "ديكرو" بتطوير أفكار وآراء "أوستين وسيرل" بالخصوص، واقترح إضافة فعلين لغويين هما فعل (الاقتضاء) وفعل (الحجاج)، وقام

1- ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 25.

2- السيد صادق الحسيني الشيرازي: الموجز في المنطق، تح: مازن شاكر التميمي، ط01، 1433هـ-2012م، ص 102-103.

3- ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 26-27.

4- ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط01، 1432هـ-2011م، ص 60.

بإعادة تعريف لمفهوم الإنجاز (L'ilocutoire) بأنه: فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتبار الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميته واستمراره⁽¹⁾.

مما سبق يتضح لنا أن الحجاج أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة قد انصب اهتمامه حول الخطاب وعناصر العملية التخاطبية، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد كل من "بيرلمان وتينكا" و"ديكرو وأنسكومبر" اهتموا بنظرية الحجاج، ولكل وجهات مختلفة، فكلا الفريقين له هيكلته الحجاجية الخاصة به، مقارنة مع بيرلمان الذي ركز على الحجاج العادي وتقنيات الخطاب الحجاجية التي تجعل المتلقي في حالة إزعاج وتأثر بالخطاب مع تركيزه أيضا على الحجج العائدة إلى التقنيات البلاغية، دون غيرها وقيام الحجاج على مبدئين أساسيين في البلاغة وهما القصد والمقام.

لكن مفهوم ديكرو وأنسكومبر للحجاج كان أشمل وأوسع، حيث اعتبر أن الوظيفة الرئيسية للكلام هي الحجاج وأن كل خطاب سواء أكان شفويا أم كتابيا يحمل طاقة حجاجية، ومع ذلك وقف "عبد الله صولة" موقفا وسطيا بين هاتين النظريتين في الحجاج فاعتبر ما كل حجاج بفصل أو وصل كما أنه ما كل قول بحجاج⁽²⁾.

6- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

التداولية كونها تبحث عن المعنى، وكل ما صادر من اللغة من مضامين مختلفة ترتبط بظروف ومواقف مستعملي هذه اللغة، فهي بلا شك ستكون ملتقى الدراسات

1- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1426هـ-2006م، ص 15-16.

2- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 34.

والعلوم المختلفة، حيث تتداخل وترتبط مع علوم شتى، فهي بذلك تمثل حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية متعددة ودراسات عربية وغربية منها: علم النفس المعرفي، وعلوم التواصل، وعلم الدلالة والبلاغة، وعلم الأسلوبية واللسانيات وغيرها من العلوم التي سنتطرق إليها في هذا المبحث.

6-1 علاقة التداولية باللسانيات: ترتبط التداوليات ارتباطاً وثيقاً باللسانيات، ومرد هذا الارتباط اهتمامها بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق كفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة⁽¹⁾. وهناك من الباحثين⁽²⁾ من يتحدث عن التداولية اللسانية، ويؤكد على أنها تيار أتى بعد سورل، وتطور بأوروبا، والتداولية ليست مكوناً من مكونات اللسانيات البنوية، وليست مرحلة أخيرة للتحليل اللساني⁽³⁾، لقد درست التداولية جوانب عجزت البنيوية عن دراستها، ولم يكن عجزها هذا لخلل فيها، بل لأن أهدافها وروافدها وطرف معالجتها ودراستها للغة تناسبت مع بعض المستويات اللغوية دون غيرها⁽⁴⁾، ويسجل الباحث "إدريس مقبول" أن اهتمام التداولية بالبعد الاستعمالي للكلام ليس منسجماً وموحداً ذلك أن مجالات التداولية مختلفة وموزعة إلى ثلاثة انشغالات أساسية متجاورة⁽⁵⁾.

- 1- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 05.
- 2- آن روبرول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2003، ص 48.
- 3- مسعود صحراوي: الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مجلة الآداب واللغات، جامعة عمار تليجي، الأغواط، الجزائر، ط01، 2005م، ص 111.
- 4- خديجة محفوظ محمد الشنقيطي: المنحى التداولي في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2016، ص 36.
- 5- إدريس مقبول: الأسس الأبنستمولوجية والتداولية للظن النحوي عند سيويوه، مرجع سابق، ص 263.

أ- **التداولية التلفظية** (Enonciative pragmatique): أو لسانيات التلفظ مع شارل موريس التي تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ وبعض خصائص الجهاز التلفظي (énonciatif dispositif) (مرسل، متلقي، وضعية التلفظ) التي يندرج ضمنها الملفوظ.

ب- **التداولية التحاورية** (Conversationnelle pragmatique): التي نتج تطورها الحديث جدا عن استيراد الحقل اللساني للأفكار المؤسسة أصلا من لدن الإثنولوجيين وإثنوميتودولوجي التواصل (...). والتي تهتم بدراسة انشغال هذا النمط الخاص من التفاعلات التواصلية الذي هو "الحوارات" (وهي تبادلات كلامية تقتضي خصوصيتها أن تنجز بمساعدة دوال لفظية ولفظية موازية).

6-2 التداولية والحجاج: ينخرط الحجاج إضافة إلى دلالاته النظرية بوصفه بذل الجهد لغاية الإقناع⁽¹⁾ في فضاءات الاستعمال الواسعة والمتنوعة، ومن ثم اكتسب صفته التداولية، حيث ينتمي النص الحجاجي إلى مجال التداولية، وإنّ الخطاب الحجاجي ينطوي على البعد التداولي بمستوياته المختلفة على مستوى أفعال اللغة المتداولة في الحجاج هناك الأفعال العرضية، والتي تستعمل حسب أوستين لعرض مفاهيم وبسط موضوع وتوضيح استعمال كلمات مثل: أكد، أنكر، اعترض، وهي... الخ⁽²⁾، على مستوى السياق: هناك أدوات تضيفي السمة الحجاجية على تخاطب ما مثل: استنبط.

وعلى المستوى الحوارية: إنّ أساس الحجاج هو الحوارية، ولقد ذهب الأستاذ طه عبد الرحمن إلى الاعتقاد بأن الحوارية تنقسم إلى: الحوار والمحاورة والتحاور، وكل منها

1- ميشيل ماير: اللغة والمنطق والحجاج، تر: محمد أسيداه، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2010، ج01، ص 45.

2- ينظر: حفاوي بعلي: التداولية، البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006، ص 63.

تخضع لمنهج حجاجي وآلية تخاطبية⁽¹⁾، وأما عن خوض الحجاج في دروب الفكر وإنشاء المعارف الإنسانية، فيرجع إلى كونه يحد على أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجهها بقدر الحاجة⁽²⁾، وبالتالي فالتداولية والحجاج تربطهما علاقة وثيقة وضمنية في العديد من المستويات والآليات التطبيقية في عملية التخاطب والتواصل وآلية الإقناع والتأثير.

6-3 علاقة التداولية بعلم الدلالة:

- علم الدلالة (Semantics): وهو علم يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها وتعرف أيضا بأنها «العلم الذي يدرس المعنى»⁽³⁾، وما نلاحظه من خلال التعريف فإن علم الدلالة يعنى بقضية المعنى المتولد من اتحاد التراكيب النحوية بعضها مع بعض، والتي تولد بذلك المعنى الحرفي فالتداخل الحاصل بين التداولية وعلم الدلالة مردّه إلى أن كلا منهما يتناول المعنى وهو زبدة التواصل، حيث إنّ علم الدلالة كالتداولية يسعى إلى تبين معنى الكلمة أو عبارة أو جملة ومراعاة مقاصد المتكلم والسامع ومواقفه وظروفه المحيطة بكلا الطرفين.

6-4 التداولية وعلم الأسلوب: الأسلوبية تحلل النصوص الأدبية، وتتطلب إجراءات مختلفة للتحليل اللغوي للوصول إلى المعنى، حيث تعتمد على مجموعة من القواعد اللغوية، والتداولية تعتمد على سياقات وملابسات تتعلق بتحليل اللغة من خلال الاستعمال

1- ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط01، 2008، ص 16.

2- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 65.

3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، ط05، 1998، ص 11.

الخارجي⁽¹⁾، وربما كان الحديث عن هذين المنهجين السابقين أمراً ضرورياً من حيث كون التداولية والأسلوبية تبحثن وتغوصان دائماً في المعنى، كما أنه على المحلل الأسلوبي معرفة الخصائص الصوتية في اللغة العادية فيعرف الحروف الشديدة والحروف الرخوة والحروف المتوسطة، وحروف التفخيم والترقيق... كما عليه أن يدرس التراكيب اللغوية من حيث الطول والقصر وروابط التركيب وترتيب عناصر التركيب اللغوي، والصيغ الفعلية، كما يعي دور الألفاظ في خدمة المعنى فيدرس الكلمات والصيغ الاشتقاقية⁽²⁾.

5-6 التداولية وعلم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics): وهو العلم الذي يدرس اللغة في ضوء المجتمع الذي يستعملها وهذا من خلال الإجابة على: من يقول؟ ماذا يقول؟ أين متى، كيف، لماذا؟ وأدرج الوظائف والسياقات الاجتماعية والثقافية في دراسة اللغة حتى قيل: «إنّ اللسانيات الاجتماعية هي اللسانيات»⁽³⁾، و«إميل بنفنست» (émile benveniste) يعدّ اللسان هو الوجه الدال في المجتمع، فلا يوجد مجتمع دون لغة، ولا وجود للغة دون وجود مجتمع، ولقد أخذ كل من (بنفنست وياكسن) الوظيفة التتبئية التي تضمن الاتصال⁽⁴⁾، وعلم اللغة الاجتماعي يشارك التداولية في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث ويراعي ظروف ومواقف المتخاطب والسامع المحيطة به داخل بوتقة المجتمع، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، وتهتم بمرتبة كل

1- ينظر: أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 01، 2015م، ص 30.

2- ينظر: عبده الراجحي: علم اللغة والنقد الأدبي، علم الأسلوب، مجلة النقد الأدبي (فصول) // ع02، 1981، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، صلاح عبد الصبور، مج01، ص 121-131.

3- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشنة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، ط02، 2007، ص 96.

4- المرجع نفسه، ص 49.

من المتكلم والسامع وجنسه وأثر السياق وغير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها⁽¹⁾.

وبالتالي فالتداولية ومختلف آلياتها نلاحظها بقوة في تصرفات أفراد المجتمع سواء في التصرفات أو في التخاطبات اليومية أو المواقف المحيط بكل فرد من أفراد هذا المجتمع.

6-6 التداولية وعلم اللغة النفسي (Psycholinguistics): ترتبط التداولية بعلم اللغة النفسي ونظرية إلى السياق ودوره الكبير في تذكر الكلمات وتوضيح قدرة الذهن الإنساني على معرفة المعاني الرفيعة في سياقاتها، فالارتباط بين السياق والذهن الإنساني هو الذي يفسر لنا سهولة تذكر الكثير من الأمثال أو الأبيات الشعرية أو العبارات الشائعة، لأننا نعرف سياقاتها جيدا⁽²⁾. كما أن علم النفس يشترك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه والذاكرة، والشخصية⁽³⁾.

6-7 التداولية وتحليل الخطاب (Discours analysis): أسهمت التداولية بكل نظرياتها المعروفة في إثراء مفاهيم تحليل الخطاب ومن بين فروعها الأساسية "نظرية أفعال الكلام" ومنها أيضا الدراسات التي قدمها مجموعة من اللسانيين في أبحاث التلفظ مثل: "إميل بنفيست" و"أنطوان كولبولي" والتلفظ الأدبي عند "ميخائيل باختين"، كما تعد أبحاث "ب. غرايس" (P Grice) وديكرو (D. Ducrot) في قوانين الخطاب من أهم الأدوات التي قدمتها التداولية لتحليل الخطاب⁽⁴⁾.

1- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 10-11.

2- ينظر: اللهيبي فهد مسعود محمد: المفاهيم التداولية وأثرها في اللسانيين العرب، تمام حسان نموذجاً، جامعة جازان (بحث مقبول للنشر)، ص 04.

3- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 11.

4- محمود طلحة: مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ط01، ص 22.

ويقوم التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب على أساس مجموعة من النقاط نجملها في ما يلي:

1- الاهتمام بدراسة السياق بشكله العام أي المقام التواصلية والمعارف المشتركة بين المتخاطبين.

2- النظر في الخطاب أو النص باعتباره تواملاً إنسانياً وإن كانت التداولية قد اهتمت في أول أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ فإن هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات فدخلت مفاهيم التداولية في تحليل الخطاب واللسانيات النصية، وعملت على إثراء دراسة هذه الوحدة الجديدة بمزيد من المفاهيم الوصفية والتحليلية.

النظر في وظيفة الكلام مثل ما تنجزه اللغة عبر الأفعال الكلامية وهي النظرية الأثرية في التداولية، ومن خلال تحميل الحمولة الإيديولوجية للغة أو الحجاج من وجه آخر في تحليل الخطاب⁽¹⁾.

وما نستنتجه من هذه العلاقة الوطيدة والمتداخلة أنهما يهتمان أساساً بتحليل الحوار وإجراءات الخطاب المتعددة ويقنسان عدداً من المفاهيم الفلسفية واللغوية كالطريقة التي توزع بها المعلومات داخل الجمل والنصوص.

6-8 التداولية والبلاغة: يرتبط مصطلح البلاغة عند أهل اللغة بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته وأدائه للغاية المرادة منه (القصد).

فالبليغ من الناس من يصنع من كلامه تعبيراً عما في صدره فيبلغ به غايته من متلقيه بأيسر طريق، وأحسن تعبير⁽²⁾. وأول ما تتصرف إليه البلاغة وتهدف إليه هو

1- محمود طلحة: مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، مرجع سابق، ص 24.

2- ينظر: عبد المالك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ع28، مج11، 2009، ص 217.

(الإبلاغ) فهي بذلك تعالج كيفية التأثير في الآخر وإقناعه واستمالاته وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، وهذا ما يعد من صميم البحث التداولي، حيث تعالج درجة التفاعل والتواصل بين المخاطب والمخاطب، وما ينتج عنهما من شدة التأثير وقوته التي تتم بواسطة (الأفعال الكلامية) المتضمنة داخل الخطاب وأدواته المختلفة (أدوات التوكيد النفي، التعريف، التنعيم، الفصل والوصل...)، وكذا تحديد سمات الخطاب النابع (الكلام البليغ)⁽¹⁾. فالبلاغة إذن تنطلق من المتكلم وما ينتج عنه في عملية الخطاب من مقاصد ومضامين وتأثيرات على السامع وشروط ذلك الخطاب مادام له علاقة بالبلاغة أن يكون بليغا تاركا أثرا قويا لدى السامع مع مراعاة مقتضى الحال.

فللمتكلم دور فعال سواء أكان ذلك في البلاغة العربية أم في اللسانيات التداولية باعتباره منهج الخطاب والمتلفظ به⁽²⁾. فالمتكلم بذلك هو أساس العملية التخاطبية فهو الذي ينتج الكلام والألفاظ مع مراعاة مقتضى الظاهر والمواقف المحيطة بالعملية التخاطبية وإنتاج مقاصد والعمل على إيصال المعنى وإفهامه إلى السامع بطريقة بليغة وواضحة.

إنّ البلاغة العربية واللسانيات البنوية يشتركان ويتفقان كما هو واضح في الاعتماد على اللغة بعدها أداة لممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة، ويتضح من ذلك أنها تتداخل معها في كثير من المهام والقضايا الأساسية للغة وعملية الإقناع والإبلاغ والتأثير، وكيفية رصد المعنى إلى المتلقي، لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة، ولا بدّ من أن يتمكن من فك شفرة هذه الرسالة ولا يكون ذلك إلا بإعادة تحليلها وفق الفهم⁽³⁾، ونفهم مما سبق أن كل هذا يرجع إلى المعنى فهو الذي يربط بين العلمين ولا يتم هذا إلا من خلال تحديد السياق.

1- ينظر: باديس لهويل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، مرجع سابق، ص 42-43.

2- ينظر: عبد المالك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة، مرجع سابق، ص 232.

3- ينظر: سليمان بن سمعون: البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، ع17، 2012، ص 46-52.

7- مظاهر التداولية في الدراسات العربية القديمة:

تمهيد:

لقد تمركز البحث قديماً عند العرب، على مقومات اللغة والغوص فيها لأنها تعدّ المفتاح الذي يلج به الإنسان إلى باب العالم الخارجي بل قد تكون هي المفتاح الأمثل والوحيد الذي يتوصل به الإنسان إلى اقتحام آفاق العالم بأجمعه وهو المعبر الذي من خلاله يتحاور ويتفاعل مع الوجود، لذلك حاول المفكرون العرب والباحثون في ما تتيحه اللغة للفرد من حرية التعبير والتواصل والتفاعل.

وما يدلّ على أنّ للغة دوراً بارزاً في حياة الفرد وتواصله مع الغير ولأهميتها القصوى لدى العلماء العرب وحتى الغرب، نجد امتدادها يصل إلى العصر الحديث مع اللسانيات التداولية الحديثة التي تعنى باللغة واستعمالاتها، وكيفية استخدام العلاقات اللغوية ضمن سياقات ومقامات مختلفة، والتداولية طريقة تفكير كانت موجودة في تراثنا العربي ولكنها لم تظهر كمنهج قائم بذاته له قواعده الخاصة به إلا من طرف علماء الغرب، وفي هذا الجانب سنتطرق لجملة من المفاهيم والقضايا التي تناولها العرب وتطرق لها الغرب حديث وعمقوا لها بالدراسة والبحث مع ذكر مجموعة من البلاغيين والنحويين والأصوليين الذين كان لهم الفضل الأسبق لدراسة مفاهيم التداولية قديماً والحديث عن هذا الموضوع ليس تأصيلاً وإنما هو ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديماً.

7-1 القصدية:

لو انطلقنا من مبدأ القصدية، الذي يعد الكشف عنه غاية الأدوات الإجرائية في التداولية، لوجدنا أثراً بينا عند (سيبويه) وسنكتفي بمجرد الإشارة إلى بعض المواضع، لأن تقصي ذلك كفيل بأن يفرد يبحث مستقل، ففي معرض حديثه عن الأفعال التي تقتضي

مفعولين، يكتشف عن التأليف النحوي، أو كما يسمى عند الغربيين بتداولية الدرجة الأولى، أو مستوى التعبير لتعبير، تخضع في المقام الأول لمراد المتكلم، فأصل (ظننت) على سبيل المثال، أن يتعدى إلى مفعولين صريحين، نحو: ظننت الجو صحواً، أو غير صريحين يتقصدان صورة الجملة المصدرية نحو: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾. وذلك متى كان قصد

المتكلم ومراده أن يبين ما عنده من حال المفعول الأول يقينا كان أو شكاً، فذكر الأول كما في المعمولين الصريحين ليضيف إليه ما استقر عنده⁽²⁾.

وعند البحث عن المقاصد عند (عبد القاهر الجرجاني) اهتمامه بالخطاب باعتباره محاوراً ومتحدياً ومطالباً بالحجة، والجرجاني كان متكلماً ومرسلاً لخطاب معين، فإن الاطلاع على قصده باعتباره متكلماً أمر مرتبط بمعرفة ظروف النص الموضوعية ووضعيتي المتكلم ومكانته ووضعيتي المخاطبين ففهم الخلفيات المعرفية والظروف التي شكلت النص (أو الكلام) مفاتيح هامة لإدراك المعاني التي يكتنفها النص⁽³⁾.

والظاهر من هذا القول أن الجرجاني يربط بين الخطاب وسياق إنتاجه ويؤكد على ضرورة معرفة الخلفية المعرفية للخطاب، قصد الوصول إلى التأويل المناسب له، كما تلقى الجرجاني في بعض الآراء البلاغية التي ترفع من شأن نسبة التطابق/ التلاؤم بين الكلام والمقاصد التي يسعى المتكلم للوصول إليها في خطاباته وتواصله، حيث يقول: «اعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التي تثبت لها هذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدعي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها

1-سورة البقرة، الآية 249.

2- أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، 40/1.

3- محمد مفتاح: المقصد والاستراتيجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ومناظرات، الدار البيضاء، 1993م، ص 58.

بخبره»⁽¹⁾. ولا ضير في القول أن العملية التخاطبية السليمة التي تسمو بالكلام نحو الإفهام والتفاعل هو إنزاله للفظ في موضعها الأصلي -مما ينجر عنه ظهور تعددية في المعنى- كما نفهم أيضا من هذا الكلام أن الألفاظ ليست بمعزل عن المقصدية (L'intentionnalité) وهذا ما يظهر جليا في قوله: «بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤوم»⁽²⁾.

ومن المسائل التي شغلت بال عبد القاهر الجرجاني تلقي مسألة التقديم والتأخير حيث يعتبره «باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه، ويلطفُ لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سببَ أن راقك ولطفُ عندك، أنْ قُدم فيه شيء وحولَّ اللفظ من مكان إلى مكان»⁽³⁾.

أما بالنسبة للطريقة والكيفية التي تحدث فيها ظاهرة لتقديم والتأخير فهي مرتبطة بحصول خرق (انتهاكات) لقواعد النظام التركيبي، الذي يكون مقننا من الدرس النحوي وتكون من بين النتائج المتوخاة والمترتبة عن هذا الانتهاك الصريح ورود إفرزات دلالية أخرة تنقل المعنى (المقصد) من مستوى إلى مستوى آخر⁽⁴⁾.

ونلفي في هذا الصدد (ابن سنان الخفاجي) الذي يعمد إلى تحسس الحقائق الملائمة لتميز فكرة المواضعة من فكرة القصد على المستند النظري، فينتهي إلى تخلص الرابط الجدلي بينهما مشتقا إياه من كيانه التجريدي ليسوقه مساق الانفصال المادي المحسوس فالكلام لا يستقيم بناؤه إلا إذا طابق سنن المواضعة، ولكنه لا فائدة ما يفيد، إلا إذا استند إلى مبدأ القصد، غير أن القصد نفسه لا يفعل فعله في الكلام إلا إذا كان ممثلا لإملاءات

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2005، ص 71.

2- المرجع نفسه، ص 74.

3- المرجع نفسه، ص 106.

4- ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1994م، ص 331.

سنن المواضعة، وفي مفترق هذا التفاعل العضوي الدائري يقرر (الخفاجي) متحدثاً عن الكلام «وهو يعد وقوع التواصل يحتاج إلى قصد المتكلم به واستعماله فيما قررته المواضعة، ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها، لأن فائدة المواضعة تمييز الصبغة التي متى أردنا مثلاً أن تأمر قصدناها، وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور وتؤثر في كونه أمراً له، فالمواضعة تجري مجرى شذ السكين وتقويم الآلات والقصد يجري مجرى استعمال الآلات بحسب ذلك الاعتداد»⁽¹⁾.

وما نستشفه من هذا القول أن فكرة القصد متعددة المشارب إذ تتجاذبها أطراف مختلفة كلها تنزل منزلة مادة القصد وموضعه:

- فهو قصد للمواضعة حيث تعد مبدأ عام للظاهرة اللغوية.
- وهو قصد لمواضعه مخصوصة بعدها مجموعة من القواعد التي تحدد مقاما معيناً.
- وهو قصد للمخاطبة والفائدة وذلك لإيصال القصد من الخطاب لتحقيق عملية الإخبار بين طرفي الحوار.

وهو قصد للمستقبل الذي يستقبل الحوار إما بالقبول أو الرفض وذلك حسب نية القصد⁽²⁾.

كما نجد قضية القصد عند (الجاحظ) في قالب التععيد لآلة البلاغة، لما نقله أبو الأشعثين الهنود، جاعلاً من شروط التواصل الناجح أن يراعي المتكلم مخاطبه فلا «يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الكلام بكلام السوقة...»⁽³⁾. أي لكل طبقة الخطاب المناسب لها.

1- أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت 466هـ): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 01، 1402هـ-1982م، ص 37.

2- ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 02، 1986م، ص 147.

3- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تق وتب وشرح علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 01، 1408هـ-1988م، ج1، ص 95.

كما نهل (الجاحظ) في هذا السياق من كلام (بشر بن المعتمر) الذي صارت صحيفته وثيقة مشهورة في البلاغة، ومعتمدا لكل من جاء بعده، قال فيما ينقله عنه في البيان والتبيين: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار السامعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما»⁽¹⁾.

فلا عبرة أن يعمد المتكلم إلى انتقاء الألفاظ وتنظيمها بحسب ما يقتضيه المقصد، ثم ينتج عنه عدم إقامة وزن للسامع، وكذلك لا يمكن فهم ما يصدر منه من كلام أوزان يخالطه في فنون القول، حيث إن السامع لا يراعى في مستوى التركيب بل يتعدها إلى اختيار الأصوات المفردة، إذ لا بد للمتكلم أن يختار الألفاظ السهلة البعيدة عن الحوشي والتعقيد لكي يستطيع التواصل والإفهام وهذا ما نص عليه الجاحظ والجرجاني.

ومتى اجتمعت هذه الألفاظ وكونت معنى واضحا منظما بعيدا عن أي شذوذ كان له التأثير الكبير على السامع، وقد شبه (الجاحظ) هذه الحالة بفعل الغيث في التربة الكريمة الصالحة، بل إن الكلام إذا كان في هذه الحالة، رفع صاحبه وعظمه في أعين الملوك وكان له فعل كالسحر⁽²⁾.

إن هذه النتيجة الحاصلة من عقد التواصل بين طرفي التداول أي التأثير والإفهام تعد الغاية في كل موقف تواصل، كما يمكن التماس فطنة (أبي الفتح) إلى تحري دلائل المقصدية في العناصر التالية وهي التواصل الذي تنتج عنه عملية الإفهام، فقد لمح (ابن جني) من خلال هذه اللغة إلى «أننا يمكننا إزالة كل غموض عن سلوكنا اللغوي والاجتماعي، وأن نجعل من تواصلنا مع بعضنا أكثر إقبالا وحضورا، وأهدافنا أبلغ

1- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين ، ص 131.

2- المصدر نفسه، ص 87.

استرسالا وشمولا إذا ما جعلنا خطابنا أكثر دقة وضمن سياقاته المعتمدة عند ذلك يكون كلامنا بعيدا عن العناء والاشتباه من طرف المتلقي»⁽¹⁾.

ما نستشفه من هذا القول أن الخطاب لا بد وأن يكون مسترسلا واضحا بعيدا عن كل غموض يتضمن سياقات معينة لكي يكون أقرب إلى الدقة والفهم من طرف المتلقي.

ومما أوردته في باب (أنّ العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسيناه إليه وحملناه عليها)، نجده يتحرى الإمام بجميع مكونات الإبلاغ والإخبار، فيقول: «أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يا فلان، أين أنت أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه فإذا أقبل عليه وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه، لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»⁽²⁾ وهذا ما يؤكد جزء من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- " حدّث النَّاسَ ما حدجوك بأبصارهم، وأدّنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترةً فأمسك" فمن خلال هذا النص يلح الجاحظ إلى أنّ المتكلم لن يبلغ مقصده إلاّ بحسن انتباه السامع له، وهنا تأكيد على أهمية الاتصال البصري الذي يفوق الاتصال السّمعي، فالعلماء العرب جمعوا اللغة وشواهدا وأخذوها من أفواه الأعراب وجها لوجه وتصفح ملامحه، وهذا ما أسماه (الحاج صالح) بالسماع اللغوي العلمي (من حيث النبرات الصوتية وصفات كل صوت والأداء الذي يؤديه كل فرد وهي ظروف المتكلم ومقاماته وهو ما أنتجته اللسانيات العصرية إذ أنّ منظّمها استلهموا رأي العرب

1- هيثم محمد مصطفى: ملامح من النظرية الوظيفية التواصلية عند ابن جني في كتابه الخصائص، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج08، ع02، 1435هـ-2014م، ص 783.

2- ابن جني (أبو الفتح عثمان) (ت392هـ): الخصائص: تح: محمد النجار، دار الكتب المصرية، 1952م، 1/ 246-247.

وأفكارهم وأخرجوها في حلتها الراهنة، وهذه هي اللسانيات التداولية في استعمالها الآني للتبليغ والتواصل.

وهنا تكتمل الرؤية في أن ابن جني يوضح لنا فكرة اكتمال مقومات الاتصال اللفظي وغير اللفظي بالإضافة إلى الملامح الصوتية المصاحبة للكلام، كذلك المسافات الاجتماعية الفاصلة بين الأجساد البشرية، وبهذا يقف على أهمية الوسائل جميعها في دفع وتقوية التجربة الاتصالية، وعدم ترك الفجوة والثغرة التي تؤدي إلى إرباك وفشل الاتصال⁽¹⁾.

أما العنصر الثاني وهو الهدف من هذا الخطاب وهو الإبلاغية (الإفادة التمام) حيث يعد مبدأ الإفادة مبدأ تداولي يهدف إلى الوصول بالعملية الإبلاغية التخاطبية إلى أسمى درجات التمام، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ: «يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»⁽²⁾. ومما لا ريب فيه أن اللغة قد أنشأت للإفادة والإفهام، فهي آلة للتبليغ، ويقول أبو الفتح أيضا: «وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تجنى من الجمل، ومدارج القول»⁽³⁾.

وفي المقابل لا يمكن إغفال جهود المفسرين، حيث قدموا وقفات أمام آيات قرآنية عكست تصوراتهم اللغوية⁽⁴⁾. والتي ما إن جمعت مع أفكار البلاغيين واللغويين وغيرهم تقترب بوضوح من رؤية اللسانيات التداولية الحديثة إلى اللغة بعدها نشاطا تداوليا، ومن وقفاتهم تلك يذكر تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ

1- ينظر: محمد عديل عبد العزيز علي: الفكر اللساني التداولي (نداءات في التراث والحداثة)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2016، ص ص 83-84.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، 1/ 87.

3- ابن جني: الخصائص، 2/ 331.

4- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص 144.

أَحْسَنَةُ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾⁽¹⁾ حيث يقول (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (الموعظة الحسنة) وهي التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها؟.... (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعسف...»⁽²⁾.

فقد قدم وصفة شارحة لأحوال التواصل وتوضيحات مقام الدعوة بالحكمة والموعظة، وفق أغراض الحديث ومقاصده، وذلك هو مجال اللسانيات التداولية الحديثة.

2-7 السياق والمقام: إن عمل البلاغيين في التراث العربي كان مختلفا تماما عن عمل النحاة واللغويين، ذلك أن النحويين واللغويين حين كانوا يهتمون باللغة وجمعها كان البلاغيون من الجهة الأخرى يفتحون على القضايا المغلقة للغة ودأبوا يبحثون عن أسرار الإعجاز في الخطاب القرآني والخطابات الأخرى، فتأسس عندهم مصطلح (مقتضى الحال) وكمثال لهذا نأخذ (الجاحظ) الذي أسس لمصطلح البيان متحدثا عن بعض البلاغاء في وصف اللسان فيقول: «اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر به الضمير وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق، ومغز ينفى به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشية وواعظ ينهى عن القبيح، ومزين يدعو إلى الحسن، وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة، وملهم يوقف الأسماع»⁽³⁾.

فمفهوم اللسان عند الجاحظ يشمل على إجراءات وأدوات هذه الأخيرة بدورها تحقق حسن البيان والذي يحتوي السياقات المختلفة الاجتماعية والتاريخية والنصية والتقنية

1-سورة النحل، الآية 125.

2- الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، 2 / 435.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، 2 / 270.

وكل ما ذكره الجاحظ في مفهومه السابق إنما هدفه الأساس هو التبليغ والاتصال، فبذلك على المتكلم مراعاة حق المتلقي وحق الموضوع أيضا.

لقد دعا (الجاحظ) في مؤلفه البيان والتبيين إلى ضرورة إقامة الوثام (التناسب/ المطابقة) أي بين الكلام والمقام، حيث أكد على أن «مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام ومقال»⁽¹⁾. فالمعنى ومكانته لا يرتبط بكون المعنى من المعاني الخاصة أو أن المعنى يعد وضيعا لا قيمة له إذا كان معنى المعاني العامة، بل الأساس يتمثل في إحراز الفائدة والمنفعة من هذا الكلام، وهذه الفائدة لا تتحقق إلا باستيفاء شرط المقام وموافقة مقتضى الحال وفي هذا المنحنى يتحدث بشر بن المعمر في موضع آخر عن المعنى، ولكن في إطار يوحى من خلاله الخطيب (المتكلم/ البليغ) إلى استخدام الألفاظ والعبارات التي تناسب الأقوال والمقامات وذلك بقوله: «وينبغي على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات يجعل من كل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»⁽²⁾. ومن ذلك تتركب البلاغة على أهم ثلاث أركان وهي: اللفظ والمعنى والمقام أو مقتضى الحال فعند معرفة أحوال المستمعين وظروفهم، يتم اختيار الألفاظ للمعاني المناسبة مع تلك الأحوال والظروف لنجاح العملية التخاطبية.

فالكلام البليغ هو الذي يكون مناسباً لما جاء لأجله، حيث يقول السكاكي في "مفتاح العلوم": «لا تخفي عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكائية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يباين

1- الجاحظ: البيان والتبيين، 2/ 136.

2- المرجع نفسه، ص ص 138-139.

مقام البناء على الإنكار، و جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»⁽¹⁾. ولقد عنى السكاكي في مؤلفه المفتاح عناية فائقة بظاهرة السياق فجعل من فكرة "مقتضى الحال هي الأساس لمعرفة مقاصد المتكلم من الخطاب" ولذلك عد الباحث "عبد الملك مرتاض" مصطلح "مقتضى الحال" عند السكاكي يكافئ دلاليا في اللسانيات الحديثة مصطلح "تداولية اللغة" يقول: «ونلاحظ أن مفهوم السياق البلاغي تتنازعه نزعتان اثنتان إحداهما "المرجع" وإحداهما الأخرى "تداولية اللغة" أو ما في حكمه أو ما يطلق عليه "السكاكي" (ت 626هـ) مقتضى الحال»⁽²⁾. فيتوجب على المتكلم أثناء تعبيره مراعاة مقامات الكلام والأحوال قصد وصول الفائدة وتحقيقها لدى السامع.

وتتضح عناية السكاكي بفكرة مقتضى الحال أو المقام⁽³⁾ عنده في باب الحسن والقبول: «فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإذا كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نقله على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها»⁽⁴⁾.

1- السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط02، 1978م، ص 168.

2- عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط02، 2010م، ص 166.

3- إن مفهوم المقام ومفهوم الحال لا يختلفان وكلاهما يشملان "مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي وتؤثر فيه بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها"، محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1991، مج03، ص 547.

4- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 256-257.

وما نستشفه من حديث السكاكي هو اختلاف مقتضيات نظم الكلام، فالمتكلم له الحرية التامة في انتقاء الألفاظ والجمل المناسبة لخطاباته شريطة أن يخضع لمقام السامع بغية تحقيق الفائدة مستعينا بالبلاغة وفنياتها وأساليبها، فالبلّغ هو الذي يتقن الكلام والتصرف في جميع المقامات، ومن هنا نلقي التعلق الشديد البيّن الذي اعترى تخريجات السكاكي البلاغية فيما يتعلق بـ "مقتضى الحال" أو "لكل مقام مقال" لدرجة أنها غدت تجسد أساس البلاغة⁽¹⁾. وعليه تغدو هذه "الاستعمالات" وهذه المقامات من اهتمامات التداولية واستثماراتها فلقد وفرّ "مقتضى الحال" و"لكلّ مقام مقال" عن المهتمين بالتداولية الشيء الكبير حيث إنهم باشرُوا الموضوع بما تضمنته أنساق البلاغيين المضمرة في نصوصهم المستتيرة الواضحة فأضأوا الطريق وأناروا الدروب لمن جاء بعدهم جيلا بعد جيل، فهي المادة الخام التي استثمر فيها هؤلاء، وما كان من هؤلاء المحدثين إلاّ التعامل معها بأساليب تتماشى مع العصرنة والأنساق المتباينة بين آراء هؤلاء؛ لأنّ القدمات من أرضية العربية الصلبة بأسرارها من النبع الصافي فلا قرينة تجمع بين مفاهيم أولئك ومفاهيم هؤلاء إلاّ بالتخمين والحدس والتي تظهر كما هو ملاحظ سابقا عند السكاكي في بلاغته ويكشف عن أوضاع لسانية مرتبطة بالصياغة اللغوية، وأخرى غير لسانية وذلك ما يرتبط بالمتكلم والسامع والقصد والفائدة التي سيجنيها من الخطاب.

ونجد أيضا عبد القاهر الجرجاني الذي يولي اهتماما بمراعاة السياق اللغوي وسياق المقام فيقول: «ومما يجب ضبطه هنا أيضا أن الكلام إذا امتنع حمّله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور، كان على وجهين أحدهما أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم، والوجه الثاني أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه لا من حيث غرض المتكلم

1- ينظر: جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 33.

به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة»⁽¹⁾. فالجرجاني يدعو إلى ربط جميع القرائن النحوية بمختلف المقامات والسياقات المطابقة لها ومراعاة أحوال المتكلمين وظروفهم الخارجية.

أمّا مصطلح (مقتضى الحال) فقد اهتم به علماء المعاني، يقول (التهانوي): «والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ماهية المسماة بمقتضى الحال، مثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... وعلى هذا النحو قولهم (علم المعاني) علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم، حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال»⁽²⁾.

وما هو جليّ واضح من هذا القول أن أهل علم المعاني قد اهتموا بكل ما يتعلق بالمتكلم والسامع وما يقتضيه الخطاب من أحوال ومقامات ومراعاتها كالحذف والتقديم والتأخير والوصل والفصل وغيرها لتحقيق الفائدة المرجوة من هذا الخطاب.

3-7 الحجاج: يعتمد المتكلم دائما في خطابه على الحجة والبرهان ليدعم به خطابه ويقويه، فالحجة تساعد على الإقناع لهذا فهو بحاجة شديدة إلى البرهان في خطابه لما له من أهمية بالغة في الخطابات الحجاجية، حيث يظهر الحجاج كمبحث مهم في المباحث التداولية باشتراكه وتداخله مع علوم أخرى حيث اهتم علماء العرب قديما بهذا الأخير في مؤلفاتهم وبحوثهم ودراساتهم، وحتى في خطاباتهم باعتباره مسلكا للإقناع والتأثير.

1- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 421.

2- محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، تح: علي حروج، مكتبة ناشرون، لبنان، بيروت، 1/ 616-617.

ومن الممارسات الاستدلالية الحجاجية نجد (سيبويه) الذي سلك مسلكا حجاجيا في مواضع عديدة تضمن تمرير مقولاته وآرائه، كما وصل خطابه بشروط الاستدلال ومقتضياته، واستثمر عددا من المسالك المنطقية والأدوات المناسبة لسحب اتجاه الخصم وحل أقيسته، ثم تقديم آراء معتبرة تملك وجهة موضوعية لحسم الخلاف وفق رؤيته⁽¹⁾ وفي هذا السياق يؤكد د. مقبول: «وسيبويه هنا في هذه المرتبة الحوارية العالية الذي يظهر فيها التأثير أشد ما يكون بأساليب علماء الكلام في إيرادهم أقوال الخصوم (الاستشكالات) أو ما يمكن أن يعترض عليهم به ولو افتراضا، والجواب عنده برده ليزداد دليل العارض الأصلي متانة، ويتقوى رأيه بما يدفعه من شبه واعتراضات ترد عليه، إذ أن الدليل لا يقوى على غيره بنفسه فقط، بل مما يقتدر معه على دفع ودحض ما يعترض به عليه، حتى تصير ساحته خالية من أدنى شك يتطرق إلى قوته بما يرد عليه»⁽²⁾.

ومن أبرز مظاهر الحجاج عند (سيبويه) هو تدرج مراتب الاستدلال داخل كتابه (الكتاب) بدءا بالمنهج البرهاني بالإضافة إلى استخدامه القياس المنطقي حيث يقول: «ولا يجوز أن يكون مقدما مثله مؤخرا، كما أنه لا يجوز أن نقول: إن أخوك عبد الله على حد قولك: إن عبد الله أخوك، لأنها ليست بفعل، وإنما جعلت بمنزلته، فكما لم تتصرف إن كالفعل كذلك لم يجز فيها كل ما يجوز فيه، ولم تقو قوته»، «وإنما كان المخاطب أولى بأن يبدأ به من قبل أن المخاطب أقرب إلى المتكلم من الغائب فكما كان المتكلم أولى بأن يبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يبدأ به من الغائب»⁽³⁾. زيادة على هذا معالجته المدعمة والمؤيدة بالحجج والأدلة واعتماده استراتيجيات خطابية متنوعة هدفها الأساس التغلب على الخصم بمجموعة من الأدلة داخل

1- محمد عدیل عبد العزیز علی: الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، مرجع سابق، ص 38.

2- إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007م، ص ص 94-95.

3- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت 180هـ): الكتاب، 2/364.

المقام بغية تحصيل نتائج ثابتة منتظمة متبعا في ذلك الأدوات اللغوية والإجراءات الذهنية التي تضبط أهدافه وغاياته⁽¹⁾.

كما نلني النظر على علمي البيان والبديع، حيث يعتبران من الآليات البلاغية التي تقوي دعائم الحجاج والبرهان، فقد اهتم بها الكثير من العلماء والبلاغيين من أمثال الجرجاني والسكاكي، فالاستدلال عند السكاكي له علاقة وطيدة بعلم البيان، حيث يرى أن الاستدلال مكافئ لعلم البيان من حيث آليات التحليل واشترائهما في فكرة "اللزوم"، فركز السكاكي في مبحث الاستدلال على فكرة اللزوم من أجل إثبات دعواه بأن «من أتقن أصلا واحدا من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، ووقف على كيفية مسافة لتحصيل المطلوب به، اطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل»⁽²⁾. ومفاد هذا القول أن صاحب التشبيه والاستعارة والكناية يأخذ مسارا لتحقيق مقصده، كما يسلكه صاحب الاستدلال.

وملخص ما جاء به السكاكي وكشف عنه في حديثه عن البلاغة والاستدلال أنه لابد لصاحب العمل البلاغي أن يسلك مسار صاحب الاستدلال وبخاصة عند آلية "اللزوم" فعمل صاحب الاستدلال وعمل صاحب البيان يشتركان في وظيفتهما الخاصة وفي آليات التحليل وينتهيان عند فكرة واحدة هي اللزوم، فإذا كان الاستدلال عند السكاكي هو «اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بوساطة تركيب جمل»، أي عملية استنتاج واستلزام على مجهول انطلاقا من قولين، فإن البيان لا ينفصل عنه ما دام «إلزام شيء تستلزم شيئا آخر، فيتوصل بذلك إلى الإثبات أو يعاند شيئا فيتوصل بذلك إلى النفي»⁽³⁾.

ولا شك أن الاستعارة تعتبر من الآليات الفنية البلاغية التي تحمل في طياتها بعدا استراتيجيا يغذي الكلام ويقويه بومضات تداولية حاجية بالدرجة الأولى، ولهذا حظيت

1- ينظر: محمد عديل عبد العزيز علي: الفكر اللساني التداولي لقراءات في التراث والحداثة، ص ص 38-39.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 544.

3- المرجع نفسه، ص 608.

بالرعاية والاهتمام من لدن الكثير من البلاغيين، حيث يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد: «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنبي من الغض الواحد أنواع الثمر [...] فإنك لتري بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً، والألسن الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلياً، وإذا نظرت في أمر المقاييس وحدتها ولا نصر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجمية ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتالها إلا الظنون»⁽¹⁾. ذلك يعني أن الدور الذي تؤديه الاستعارة بالانتقال من المعاني التجريدية (التخليقية) إلى معاني مجسمة (تجريبية) بغرض استمالة نفس المتلقي والتأثير فيه.

والمتطوع على دلائل الإعجاز للجرجاني يلحظ أنه يستعين بالجمال القصيرة والمختصرة، وهو الأمر الذي جعله يخوض غمار أحد العلوم ويفصل فيها وهذا العلم هو علم البيان فيقول: «..... ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأعلى مبنى وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إياها، لبقيت كأمنة مستورة، ولما استنبت لها يد الدهر صورة، ولا سمر السرار بأهلتها واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء»⁽²⁾.

1- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2001م، ص 40.

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ص 05-06.

فالغاية الموجودة عند الجرجاني من النص السابق هو الإخبار عن أهمية علم البيان ودوره الذي يؤديه لإيصال الفائدة والمعنى إلى ذهن المتلقي.

وتنتقل إلى أبي هلال العسكري (ت 395هـ) الذي أسهم إسهامات تنظيرية بلاغية تحمل في ثناياها ومضات تداولية حديثه عن الاستعارة حيث يعرفها بأنها: «نقل العبارة من موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض»⁽¹⁾. فهو ينتقل من هذا التعريف بالاستعارة من المعنى التجريدي والمجال الوضعي الذي تعارف الناس عليه واتفقوا إلى معنى ومقصد وغرض آخر يصل إليه المتلقي.

كما نجده يتحدث عن الإطناب والإيجاز فيورد مجموعة من الأقوال، إذ يقول: «الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة، فهو فضل داخل في باب الهدر والخلل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة»⁽²⁾، ويقول في موضع آخر: «عليكم بالإيجاز فإن له إفهاما، والإطالة استيهاما»⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن استعمال المتكلم لآلية الإيجاز مرتبط بالسامع ومدى استيعابه للفكرة بمسألة الإيجاز نأخذ المرسل في اعتباره أن للمتلقي قدرة على الاستيعاب وكذلك تراعي قدرته على تحديد الفترة الزمنية. وبالتالي هي ترجع بالدرجة الأولى إلى درجة تحمل واستيعاب المتلقي للأفكار الواردة من المتكلم ومن هنا يظهر البعد التداولي لهذه الآلية.

1- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط01، 2006م، ص 240.

2- المرجع نفسه، ص 157.

3- المرجع نفسه، ص 157.

ووفق هذا الطرح التراثي الذي قدمه العسكري حول أسلوب الإيجاز يمكن القول: أن الإيجاز يعد أسلوباً فنياً يحمل بعداً تداولياً ويظهر هذا الأسلوب بشكل واضح في قواعد المحادثة (Régles conversation) التي طرحها "غرايس" واعتبرها من القواعد الهامة التي يجب أن يتقيد بها المشاركون خلال محادثاتهم وبالتحديد في قاعدة الكيف (Moxime de manière) والتي توجب على المتكلم أن يتحدث بإيجاز لاستيعاب المتلقي للفكرة المراد طرحها.

وبالرغم من أن أسلوب الإيجاز مهم للفهم وإيصال الفائدة إلا أنه لا يمكن اعتبار الإطناب حاملاً لبعد سلبي، ولا يقدم فائدة بل هناك مواضع تستوجب هذا الأسلوب البلاغي، وفي هذا الصدد يقول العسكري: «فأما ما يكتبه العمال إلى الأمراء ومن فوقهم فإن سبيل ما كان واقعا منها في إنهاء الأخبار وتقرير صور ما يلونه من الأعمال ويجري على أيديهم من صنوف الأموال أن يمد القول فيه حتى يبلغ غاية الشفاء والإقناع وتام الشرح والاستقاء إذ ليس الإيجاز والاقتصار عليه موضعاً، ويكون ذلك بالألفاظ السهلة القريبة المأخذ، السريعة إلى الفهم، دون ما يقع فيه استكراه وتعقيد»⁽¹⁾.

فالمسألة ليست مسألة إيجاز وإطناب فقط، بل المسألة تكمن في موضوع العلاقة الوظيفية بين المرؤوسين والمرؤوس وغيرها فعلى إثرها يجب مراعاة الحديث حسب ما تقتضيه الضرورة والسياق الوارد فيه.

فالإطناب والإيجاز يحملان بعداً تداولياً حاجباً بالدرجة الأولى لما له من غاية الإقناع والتأثير.

أمّا بالنسبة للإيجاز عند عبد القاهر الجرجاني فنظرته مخالفة تماماً للرأي السابق ذلك أن الإيجاز يتأتى بتكثير المعنى وتقليل اللفظ، أما هو فيرى بأن الإيجاز من محاسن

1- أبو هلال العسكري: الصناعتين، مرجع سابق، ص 142.

النظم وأحد مقتضياته يحصل بفعل حسن استغلال مواقع الألفاظ في سلسلة التركيب، أي أن إفادة معان زائدة على المعنى الأصلي يتحقق بإدخال تغيير في تشكيل بنية الكلام⁽¹⁾. ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾⁽²⁾، حيث بين أن هذه الآية الكريمة تتضمن معنيين، أولهما: أنهم جعلوا الجن شركاء لله وعبودهم معه، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، كأن تقول: وجعلوا الجن شركاء لله، وثانيهما: أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيره، وهذا لا يتحقق إلا بآلية التقديم والتأخير بين الوحدات وهو ما جاءت به الآية الكريمة على شاكلته⁽³⁾.

4-7 الاستلزام الحواري: سبقت الإشارة إلى أن الاستلزام الحواري (Conversation implicateur) أحد أهم المفاهيم التداولية التي اهتم بها "بول غرايس" (P. Grice) انطلاقاً من فكرة أن الناس في خطاباتهم وحواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وهذا راجع إلى السياق والمقام الوارد فيه الحوار، وهذا المفهوم لم تقتصر الدراسة الحديثة على الاهتمام به بل اهتم به العرب القدامى في دراساتهم وحتى في حواراتهم قبل غيرهم.

وقد تنبّه السكاكي في مفتاحه لهذه الظاهرة، وقام بوصفها وتحليلها تحت مصطلحات عدة تيسر في نفس المضمون⁽⁴⁾، حيث يعتبر مفتاح العلوم البادرة المهمة

1- ينظر: عبد القادر حمراني: الحجاج في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة حسبية بن بوعلين الشلف، (د.ع)، ص 220.

2- سورة الأنعام، الآية 100.

3- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 85.

4- من ذلك على سبيل الذكر: المعاني الثواني، والأغراض التي يخرج إليها الأساليب، ودلالة المفهوم، والمعنى المقامي وإخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، والدلالات العقلية، ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 259-263-416-437، وأحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986، ص 93.

لظاهرة الاستلزام الحواري في التراث البلاغي العربي، فتناول السكاكي لهذه الظاهرة لم يكن حكرا على علم دون آخر، وإنما كان شاملا لكل مستويات اللغة منطلقا من مبدأ الاستعمال والسياق، ودورهما في تحديد الدلالة المستفادة من الخروج عن أصل الاستعمال، إلى معان توازن تستفاد من السياق⁽¹⁾.

كما ينطلق السكاكي في حديثه عن المعنى من افتراض التمييز بين ثلاثة مستويات من الدلالة، دلالة بالوضع أو المطابقة ودلالة بالعقل أو التضمن، ودلالة بالعقل أو الالتزام مؤكدا وجود علاقات يتم بوساطتها الانتقال من الواحدة إلى الأخرى عن طريق أعمال العقل، يقول: «لا يخفى أن طريق الانتقال من الملزوم إلى اللازم طريق واضح بنفسه ووضوح طريق الانتقال من اللازم إلى الملزوم، إنما هو بالغير وهو العلم يكون اللازم مساويا للملزوم وأخص منه»⁽²⁾.

وهي ملازمات يتم الانتقال فيها من التعبير اللغوي الصريح المباشر إلى معاني مستلزمة ضمنية من المعاني الأولى، وقد وضع السكاكي أن المعاني المستلزمة لا تكون على مستوى الدلالات الوضعية المباشرة بل على مستوى الدلالات العقلية والتي تحمل في ثناياها معنيين هما: معنى أولي مباشر والذي سماه بالدلالة الوضعية، والمعنى الثاني فهي ما يستلزمه الخطاب من معاني انطلقا من مستوى أصل المعنى فيفيد دلالات عقلية مستلزمة من المقام يدركها العقل، حيث يقول السكاكي: «ومتى كان لمفهوما ذاك، [يقصد مفهوم الدلالة الوضعية] ولنسمه أصليا تعلق بمفهوم آخر أمكن أن تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل، سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الأصلي كالسقف مثلا

1- باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ)، ص 186.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 183.

في مفهوم البيت ويسمى هذا دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضا، أو خارجا عنه كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضا»⁽¹⁾.

ويشكل مبدأ "الملازمات بين المعاني" عند السكاكي مقياسا لتحديد درجة الخرق الدلالي للمعنى، وانتقاله من دلالاته الوضغية إلى الدلالة العقلية، وقد جعل له السكاكي صورتين هما: الانتقال من ملزوم إلى لازم (المجاز)، ومن لازم إلى ملزوم (الكناية) وفي إطار هذه البنية اللزومية التي يتحدث عنها السكاكي، يكشف عن مظاهر تداولية قيمة مرتبطة بالاستلزام الحوارى والقصد والسياق ومدى حجية الصور المستخدمة في هذه العلاقات اللزومية⁽²⁾.

يتضح من خلال المقارنة بين الاستلزام الحوارى وما جاء به السكاكي في علم البيان من صور بيانية (التشبيه والكناية والمجاز)، أنها تقوم على الانتقال من المعنى الأصلي المباشر إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، وهو ما «لا يتم في مستوى بنية الفعل الإنجازى بل في مستوى البنية الدلالية إلى المحتوى القضوي، ومن ثم تكون وظيفة العبارات البيانية المختلفة إنجاز الأفعال غير المباشرة»⁽³⁾. أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد برع في علوم اللغة، فهو «يمثل خلاصة ما أنتجه الفكر العربى»⁽⁴⁾. فمنظومته الفكرية لا تقف عند التركيب، بل تتخطاها إلى فحص مختلف جوانب الظاهرة اللغوية فحفا

1- المرجع نفسه، ص 437.

2- باديس لهويميل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 199.

3- الصراف (علي محمود حجي): في البرغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 01، 2010، ص 144.

4- خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: سلسلة اللسانيات، مج15، جامعة منوبة، كلية الآداب والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط01، 1421هـ-2001م، ص 531.

دقيقاً، لما يتميز به من شمول للعمليات الدلالية والمقامية الراجعة إلى اختيارات المتكلم وظروف إبلاغه»⁽¹⁾.

فالجرجاني يميز بين المعنى الأصلي للعبارة ومعناها المجازي إذ يمكن أن تدل على غير معناها الصريح.

فالكلام عند الجرجاني على ضربين:⁽²⁾ أحدهما يدل على معناه بظاهر لفظه، وثانيهما يحتاج إلى إعمال الفكر، لأن معناه مستفاد من المعنى الأول.

كما أدرج (سيبويه) على سبب الأبعاد التلميحية داخل الخطابات، وهي الأبعاد التي تفرزها بنيته اللغوية، وكأن الحوار مؤسس على ما يقتضيه سياق التركيب، وما دام الخطاب لا يسري وقف نمط الإرسال المعتاد فمرد الأمر إلى نية المتحدث وفطنة المستمع⁽³⁾.

وذلك قولك [أتميمًا مرة وقيسيًا أخرى]، وإنما هذا أنك رأيت رجلا في حال تلون وتنقل فقلت: أتميميا مرة وقيسيًا أخرى، كأنك قلت: أتحول تميميًا مرة وقيسيًا أخرى، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبخه بذلك⁽⁴⁾.

أما الأصوليون فقد اهتموا بالبحث في الدلالة، فقسموها إلى دلالة مطابقة، ودلالة تضمن ودلالة التزام: «لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلى

1- ينظر: منصف عاشور: ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، ط02، 2004، ص 324.

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد عبده ومحمد محمود الزركشي الشنقيطي، تع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، 1415هـ-1994م، ص 177.

3- محمد عديل عبد العزيز علي: الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، مرجع سابق، ص 35.

4- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، مرجع سابق، 1/ 343.

جزئه بالتضمن وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام كالإنسان، فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام»⁽¹⁾.

والتمييز عند الأصوليين غالباً ما يكون بين المعنى والمراد، فمراد المخاطب يفهم من خلال حديثه في العملية التواصلية ووفقاً للسياق، في حين أن المعنى الأصلي والوضعي ليس كافياً لفهم المراد من كلام المتكلم.

ويرى الأصوليون أن الافتراضات التي يكونها المخاطب عن مصداقية المخاطب لها تأثير في فهمه للكلام، فالضابط العام أن الجملة إذا كانت لا تطابق الواقع فمحمل الكلام على الكذب ويحمل على المجاز بافتراض صدق المتكلم وافترض الصحة العقلية للمتكلم وافترض الصحة الشرعية للكلام⁽²⁾.

والمسألة هنا قريبة إلى ما جاء به (بول غرايس) في نظرية الاستلزام الحوارية من مبدأ سماه بمبدأ التعاون، ذلك المبدأ الذي تقوم عليه عملية التواصل وبواسطتها تتم العملية بنجاح.

ويفرق (ابن القيم) بين الدلالة الحرفية والدلالة المستلزمة انطلاقاً من التفريق بين المعنى المقيد والمعنى المطلق⁽³⁾. حيث يرى أن اللفظ إذا كان معناه المطلق يختلف عن

1- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح ودراسة: مجمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ص 183.

2- ينظر: محمد محمد يونس علي: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 2006م، ص 90-91.

3- كادة ليلي: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي، الوادي، الجزائر، ع01، 2009م، ص 111.

معناه المقيد عد مجازاً، ومنه قولنا: رأيت أسداً يخطب على المنبر، فالقوة المستلزمة هنا هي رأيت خطيباً شجاعاً قوياً يخطب على المنبر (1).

وما نستشفه ممّا سبق أنّ العرب قديماً انتبهت إلى ما يسمى بظاهرة الاستلزام الحواري، وذلك جليّاً في المصطلحات التي وضعوها، والتي اختلفت باختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم، كدلالة المفهوم، والمعنى المقامي، ومعنى المعنى، والأغراض التي تخرج إليها الأساليب (2).

ومن ذلك نلاحظ أنّ (ابن جنّي) أورد نصاً ناصعاً في خروج الأقوال عن معهود خطابها إلى معانٍ أخرى مستلزمة عنها وفقاً لسياقات إرسالها، فتراه يقدم السياقات التي تكفل خروج الأسلوب عن مقتضى إبلاغه وشروط أدائه (3). ومنه ما أورده بصدد تفسيره قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (4)، قالوا معناه: [قد امتلأت]، وهذا أيضاً تفسير على المعنى دون اللفظ، و[هل] مبقاة على استفهامها، وذلك كقولك للرجل لا تشك في ضعفه عن الأمر: [هل ضعفت عنه؟] وللإنسان يحب الحياة: [هل يحب الحياة؟] أي: فكما تجدها فليكن حفظك لنفسك لها، وكما ضعفت عن عذا الأمر فلا تتعرض لمثله مما تضعف عنه، وكأن الاستفهام إنما دخل هذا الموضع ليتبع الجواب عنه بأن يقال: [نعم]، فإن كان كذلك فيحتج عليه باعترافه به، فيجعل ذلك طريقاً إلى وعظه أو تبكيته، ولو لم يعترف في ظاهر الأمر به لم يقو توقيفه عليه وتحذيره من مثله قوته إذا اعترف به، لأن الاحتجاج على المعترف أقوى منه على المنكر أو المتوقف فكذلك قوله سبحانه: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ فكأنها قال ﴿لا﴾ فقل لها: بالغي في إحراق المنكر

1- ينظر: محمد محمد يونس علي: علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمنهج علماء الأصول في فهم النص، مرجع سابق، ص 161-163.

2- ينظر: كادة ليلي: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 112.

3- محمد عديل عبد العزيز علي: الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، مرجع سابق، ص 95.

4- سورة ق، الآية 30.

لك، فيكون هذا خطاباً في اللفظ لجهم، وفي المعنى للكفار، وكذلك جوانب هذا من قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾، أي: أتعلم يا ربنا أن عندي مزيداً؟ فجواب هذا منه -عز اسمه- [لا]، فكما تعلم أن لا مزيد فحسبي ما عندي، فعليه قالوا في تفسيره ﴿قد امتلأت﴾ فتقول: ﴿ما من مزيد﴾⁽¹⁾.

ويعتبر هذا النص «بنية سياقية تداولية واضحة من ابن جني، وهو ينبه إلى الخطوات الضرورية التي ينتجها المتكلم في إيلاغ مقاصده، والسبل التي في إفهام ما يريد إيصاله، والنص القرآني المذكور الذي استعان به في هذا المقام، حدو هذا التخيير التداولي من خلال مفهوم الاستلزام ليدلنا على أثر مراعاة هذا الأسلوب في نفسية المتقبل وتحقيق الهدف التواصلية المرجو منه»⁽²⁾.

1- ابن جني (أبو الفتح عثمان ت 392هـ): الخصائص، مرجع سابق، 3/ 263-264.

2- هيثم محمد مصطفى: ملامح من النظرية الوظيفية التواصلية عند ابن جني في كتابه الخصائص، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج08، ع02، ص 15.

وما نخلص إليه أن اللغويين العرب القدامى قد قاموا بتقديم إنجاز لغوي نحوي بلاغي غير مسبوق له، وحاولوا ربط اللغة وما يندرج تحته من مضامين ومقاصد ودلالات، كما أن العلماء العرب قد قفزوا قفزة نوعية واضحة في مجال البلاغة والنحو والصرف، فبلغ نتائجهم من النضج مبلغه جعلت العلماء العرب والغرب المحدثين يستنبطون ويأخذون من دراساتهم وأبحاثهم لماله من أهمية عظيمة وعلم زاهر منير في مختلف المجالات، فأنثروا بها طريقهم من جديد وأضافوا لها فأصبحت في حلة جديدة نذكر منها اللسانيات التداولية التي تعنى باللغة واستعمالاتها المختلفة، وما تطرقنا في هذا الفصل جعلنا ندرك الصلة القوية التي تربط بين الدراسات العربية القديمة والفلسفة التحليلية مع اللسانيات التداولية الحديثة، التي تتداخل مع مختلف العلوم التي تجعلها صلة وصل مهمة للكثير من الدراسات.

الفصل الثاني:

عناصر الشرايط عند ابن ربيعه

سنقدم في هذا الفصل نبذة مختصرة عن حياة ابن رشيق القيرواني، مع التركيز على أهم نقاط المكانة العلمية والنقدية التي حظي بها، كما سنسلط الضوء على عناصر العملية التواصلية والأهمية لدى ابن رشيق في كتابه العمدة وعلاقتها بالنظرية التداولية (عناصر التداول).

1- نبذة عن حياة ابن رشيق القيرواني:

هو أبو علي، الحسن بن رشيق، صاحب كتاب "العمدة" في النقد ولد في المحمدية أو المسيلة في سنة 390هـ، وانتقل إلى القيروان سنة 406هـ، وغادرها إلى المهديّة بعد سنة 449هـ، وغادر المهديّة ثم رجع إليها ثم غادرها من غير رجعة إلى صقلية في سنة 454هـ أو بعدها بقليل، حيث توفي بمازر بعد سنة 456 والغالب في سنة 463هـ⁽¹⁾. حيث يعد أحد البلغاء الأفاضل الشعراء.

وقد كانت القيروان أيام ابن رشيق قبلة الطلاب، والتقى فيها الشوامخ من العلماء والأئمة الفصحاء، وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد وكانت صنعة أبيه في بلدة المحمدية الصياغة، قرأ الأدب في المحمدية، وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزديد منه وملاقة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها ولم يزل بها إلى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل إلى صقلية وأقام بماز إلى أن مات⁽²⁾.

2- من أهم مؤلفاته:

- قراضة الذهب في صناعة الأدب.
- الشذوذ في اللغة⁽³⁾.

1- عبد الرحمن باغي: ديوان ابن رشيق القيرواني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1409هـ-1989م، ص 09.

2- أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، 1287هـ، ط01، ص ص 100-101.

3- الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج01، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط01، 1406هـ-1986م، ص 333-334.

- في الرفض والضرورات.
- كتاب "الرياحين".
- كتاب "صدق المدائح".
- كتاب "الأسماء المعربة".
- كتاب إثبات المنازعة.
- معالم التاريخ.
- التوسع في مضايق القول.
- الحيلة والاحتراس⁽¹⁾.
- رسالة ساجور الكلب.
- رسالة قطع الأنفاس ورسالة نجح الطلب.
- رسالة رفع الأشكال ودفع المحال.
- كتاب فسخ الملح ونسخ اللحم.
- نقض الرسالة الشعوزية والقصيدة الدعية.

وقد توج حركة النقد الأدبي التي ظهرت في المغرب بكتابه "العمدة" فقد نقل به صاحبنا في النقد - كما يقول الأستاذ أحمد أمين - من نقد شاعر خاص أو شعراء معينين، وقد قال فيه ابن خلدون: «وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطائها حقها ولم يفها قبله ولا بعده مثله»⁽²⁾.

1- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، المجلد 02، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت)، ص 88-89.

2- عبد الرحمن باغي، ديوان ابن رشيق القيرواني، ص 11-10-09.

ولنا عناية بما جاء في أبواب هذا الكتاب لما يسهم به ابن رشيق في تحديد مظاهر التداولية؛ لأنَّ البلاغة والسياق وعناصر الخطاب هي المحور الرئيس الذي تدور حوله اللسانيات التداولية.

ونظرا للاهتمام البالغ الذي حظي به الشعر والشعراء من طرف ابن رشيق سنتطرق بذلك إلى مفهوم الشعر في التراث العربي.

3- الشعر في التراث العربي:

عرف ابن منظور الشعر في "لسان العرب" حيث قال: شعر به وشعر يشعر وشعرة وشعورا وشعورة، وشعري ومشعوراء وكله بمعنى: "علم" وليت شعري أي ليت علمي أو ليتي علمت، وليت شعرتي من ذلك، أي شعرت، وأشعره الأمر وأشعره به، أعلمه إياه⁽¹⁾.

وقد وردت لفظة الشعر في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾.

أي: ما يدريكم، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر لحكمة فإذا التمس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي»⁽³⁾. ومعنى ذلك أنه إذا استصعب عليكم فهم بعض المفردات في القرآن الكريم، فارجعوا في تفسيرها إلى الشعر العربي لأن لغته اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم.

أمَّا اصطلاحًا، فيقول حازم القرطاجني في منهاج البلاغ: «الشعر كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهوته، أو بمجموع

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، مادة (شعر)، 2/ 125.

2- سورة الأنعام، الآية 109.

3- بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العتبي: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار الفكر، 15/ 279.

ذلك وكلّ ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس، إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها»⁽¹⁾.

والأمر في تعريف الغربيين للشعر على خلاف هذا، ولنلم بطرف من تعاريفهم لعلّه يلقي على الموضوع أشعة توضحه، يقول "بلوك": «إنه لا يمكن تعريف الشعر بشيء سوى السحر، وكان أجدر به أن يعدل في كلامه فيقول إنه لا يمكن تشبيه الشعر بشيء سوى السحر»، وقال "تيفر": «إن كلمة الشعر ككلمة الجمال من الكلمات المبهمة التي تشمل مجموعة من الأشياء المختلفة تمام الاختلاف بالنسبة لاختلاف المنتجين»⁽²⁾.

ويبدو أنّ المدارس اللغوية لما أخذت تعلم الشعر وتقننه فهمت أن الوزن والقافية هما كل شيء فيه واستن لها لسنة الخليل بن أحمد أستاذ المدرسة البصرية، فقد قال: «الشعر هو ما وافق أوزان العرب "فمادام الكلام قد ارتدى برداء الوزن فهو شعر لو لم يكن فيه روح تنبض ولا حياة تحقق»⁽³⁾.

كما نلاحظ أن ابن رشيق قد خصص بابا في كتاب العمدة عنونه بـ "حد الشعر وبنيته"⁽⁴⁾. وللظة حد ولفظة بنية أهمية، فبيان حد الشعر يعني التصدي الدقيق لهذا الشيء بالتعريف والتحديد، ولفظة بنية أهميتها، فهي تدل على نظرة الناقد للشعر على أنه نوع من البناء، ولو كان ابن رشيق معاصرا واستخدم هذه العبارة لعددناه متأثرا بالمذهب البنيوي ولكنه سابق، فالنقد العربي إذا يؤمن بالبنية، وابن رشيق في تعرضه للشعر يتناول

1- حازم القرطاجني (أبو الحسن): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 03، 1986، ص 71.

2- شوقي ضيف: في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، القاهرة، (د.ط.)، ص 89.

3- المرجع نفسه، ص 88.

4- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (390-456هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، حققه وفصله: محمد محي الدين عبد الحميد، ط05، 1401هـ-1981م، 1/199.

عناصر تتاولا بنيوية أو قريبا من ذلك⁽¹⁾. وفي رأيه أن الشعر يقوم بعد النية على أربعة أشياء هي: اللفظ، الوزن، المعنى، القافية⁽²⁾.

لأنّ من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما يطلق عليه أنه شعر والمتزن: ما عرض على الوزن قبله، فكأن الفعل صار له⁽³⁾.

ولقد جمع ابن رشيق بين هذه الأمور وأكد على لب لباب الشعر وهو الشعور والعاطفة، فالشعر في مفهومه قوامه الألفاظ المتظرفة، والمعاني المخترعة أو المولدة التي تهز النفوس، وهذا دليل على التطرق للجانب العاطفي⁽⁴⁾، يقول: «وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له ويبنى عليه إلا ما سواه»⁽⁵⁾.

4- في البلاغة العربية والاتصال:

تعد البلاغة من أهم العلوم التي يركز عليها الدرس العربي القديم، فهي تتناول بالدرجة الأولى اللغة، وما يرتبط بها من الاستعمال مراعية الأغراض والأحوال النفسية للسامع والمتكلم معا، فهي بذلك تمثل علما للاتصال بين عناصر التخاطب، فالبلاغة في مفهومها اللغوي تعني بلوغ الشيء والوصول إليه، يقال: بلغ المكان بلوغا: وصل إليه أو شارف عليه... البليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره... والاسم من الإبلاغ والتبليغ وهما الإيصال⁽⁶⁾ فهي تعني عملية الإيصال والتبليغ، فالبلاغة في نظر ابن رشيق هي

1- مفقودة صالح: رأي ابن رشيق المسيلي القيرواني في الشعر ومكانته النقدية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب

الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة ع03، 2006، ص 02.

2- القيرواني: العمدة في محاسب الشعر وآدابه ونقده، 1/ 99-103.

3- المصدر نفسه، 1/ 120.

4- مفقودة صالح: رأي ابن رشيق المسيلي القيرواني في الشعر ومكانته النقدية، ص 02.

5- القيرواني، العمدة في محاسب الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، 1/ 107.

6- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817هـ): القاموس المحيط، قدم عليه وعلق حواشيه: الشيخ أبو

الوفاء نصر الهوريني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2007، ص 796-797.

الإيجاز، حيث يبدأ حديثه في كتابه العمدة عن الحديث الذي دار بين الرجل والنبي، حيث يقول: رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي، وأسناني، فقال له: إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنصر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم، فيم الجمال؟ فقال في اللسان يريد البيان»⁽¹⁾. ويقصد بهذا الحديث أن البلاغة تكمن في الإيجاز والاقتصار بكلام بليغ فصيح مفيد.

وقد أورد ابن رشيق في حده للبلاغة والبلغاء العديد من التعاريف التي سنتعرض للبعض منها، قالوا: الروح عماد الجسم والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم، وسئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم، وكثير لا يسأم، وقال آخر: البلاغة إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى، وسئل آخر فقال: معان كثيرة في ألفاظ كثيرة، وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إيلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ولذلك سميت بلاغة⁽²⁾.

وسئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطيا، ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة⁽³⁾.

فابن المقفع قد جعل البلاغة في السكوت بغية الإيجاز، ومن هذا المنطلق نفهم بأن ابن رشيق أورد هذه الأمثلة المتعددة، والتي بالرغم من ذلك فهي تصب في وعاء واحد ألا وهي أن البلاغة إيجاز في اللفظ وإيلاغ وإيضاح للمعنى وإفهام للسامع، فهو بذلك يراعي حال المتلقي بأن يبلغه الخطاب بإيجاز دون إطالة والإكثار عليه بالكلام دون فائدة

1- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) (ت 817هـ): القاموس المحيط، 1/ 424.

2- المرجع نفسه، 1/ 242.

3- المرجع نفسه، 1/ 243.

مع التأثير فيه وإفهامه، فالبلاغة حسب وجهة نظر ابن رشيق يجب أن تراعي كيفية التأثير في الآخر وإقناعه وبيان المقصد من الخطاب، وهذا يعد من صميم البحث التداولي حيث يعالج درجات التفاعل الخطابي بين عناصر الخطاب وطرفيه (المخاطب والمخاطب)، والغرض من إبلاغه وإفهامه وشدة التأثير فيه، والتي تتم بتحديد سمات الخطاب الناجح وهو (الكلام البليغ والموجز).

ويعود ابن رشيق مرة أخرى في تقديم تعريفات أخرى للبلاغة والبلغاء في كتابه العمدة، ولكنه استدل بها بغرض التوضيح والإفهام لمفهوم البلاغة، حيث قيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد إلى الحجية، فابن رشيق يوافق هذا القول: حيث إنّ البلاغة تنطلق من المتكلم لتحديد المعنى وقصده من الكلام بالحجة والدليل.

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال بعضهم: البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة، وقال: «خير الكلام ما قلّ ودلّ، وجلّ ولم يملّ» وقال: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وقلّ مجازه، وكثر إيجازه وتناسبت صدوره وأعجازه قال: وقيل: البليغ من يجتني من الألفاظ نوارها، ومن المعاني ثمارها⁽¹⁾.

فلقد أوجز ابن رشيق هذه الأمثلة وأخرى منها لم تذكرها لكثرتها ولكن جلتها تدل على الإيجاز، إلا أنه أراد بذلك التنوع في تعاريف البلاغة والبلغاء لأنه يوافق هذه التعريفات فهو في آخر جزء من باب البلاغة يقول: مدار هذا الباب كله على أن البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز، مع حسن العبارة، ومن جيد ما حفظته قول بعضهم: «البلاغة شد الكلام معانيه وإن قصر أو حسن التأليف وإن طال»⁽²⁾.

وقد استعان ابن رشيق بهذه التعريفات لكي يبين أن البلاغة في معناها العام والموجز هي: بلوغ المتكلم مقاصد الكلام ومعانيه مع إيجاز واختصار في اللفظ لكي لا

1- القبرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقد، مصدر سابق، 1/ 246.

2- المصدر نفسه، 1/ 249-250.

يشعر السامع بالملل والضجر ولو طال الكلام لا بد وأن يكون متضمنا للمعنى بالفائدة والإفهام.

وحديثه عن البلغاء يشترط في ذلك أن يكون الخطيب أو الشاعر بليغا ناجحا يختلف عن غيره من الخطايا أو الشعراء.

فواضح أن للبلاغة وشائج وعلاقات قربي مع نظرية الاتصال واللسانيات التداولية فإذا كانت هذه الأخيرة تُعنى بدراسة مناحي الكلام ودراسة اللغة أثناء الاستعمال، مراعية المقاصد ومقتضى الحال، فإن البلاغة تعني المعرفة باللغة أثناء الاستعمال ومن خلال التعريفات السابقة نجد أنها تقوم على جملة من العناصر تتضمن مظاهر وسمات تؤكد البعد التداولي في البلاغة العربية:

أولاً: أنّ البليغ أو المتكلم يجب أن يبلغ في استعماله للكلام الحد الذي يمكنه من توفيه تراكيب الكلام حقها⁽¹⁾.

فبالتالي يكون بليغا فصيحاً، متتبعا لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف ودلالة ومعجم مع انتقاء الألفاظ الفصيحة التي لا يشوبها الغموض، محددًا المعنى المقصود من هذه الألفاظ والعبارات، وعدم اللبس والتعقيد في أداء المعاني، وكل هذه الجوانب تهتم بها الدراسات الحديثة في اللسانيات التداولية، وذلك بدراسة اللغة في سياقات مختلفة مراعيًا الأحوال النفسية والاجتماعية للمخاطب بعيدا عن التعقيد في الألفاظ والمعاني جالبا للسامع بإقناعه والتأثير فيه.

فالمتكلم إذا هو اللبنة الأولى والركيزة الأساسية التي تقوم عليها كل من البلاغة العربية واللسانيات التداولية، لما له من دور بارز في عملية التواصل وإحداث الإقناع والتأثير في المتلقي وإنجاح العملية التخاطبية.

1- ينظر: عبد الملك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها، مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ع28، ، 2009، 11/ 232.

ثانياً: وجوب الالتزام بتوظيف الأدوات البلاغية والتي ذكرها ابن رشيق في كتابه العمدة وأوردها في تعريفات البلاغة وهي: «أول عنصر ركزّ عليه وهو الإيجاز، الكناية التشبيه، المجاز، الاستعارة بأنواعها، وذلك ليكون الخطاب بليغاً فصيحاً ذا ذوق، بحيث تقنع وتلفت انتباه المتلقي فيجعل خطابه في أحسن صورة جمالية وفنية باحتوائه على أدوات البلاغة المذكورة سابقاً، وهذه الأدوات المذكورة تعد من مؤشرات التداولية، وهي تعنى بها التداولية في دراستها عناية كبيرة، حيث نجدتها في مفاهيم التداولية وهي الإشارات والأفعال الكلامية والحجاج وحتى الاستلزام التخاطبي وذلك لما تتضمنه هذه المؤشرات من بلاغة قوية تكشف عن مقاصد المتكلم وتجعله متمكناً في خطابه موجهاً إياه نحو سامعه.

ثالثاً: بما أنّ البلاغة هي الإيجاز، وأنّ لكل مقام مقالاً فهي تراعي إذن أحوال السامع ومقاماته، فلا بدّ لها أن تشمل المؤشرات وأدواتها البلاغية المذكورة سابقاً وهي (التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية)، بهدف جلب المتلقي والتأثير فيه وزيادة رونق الخطاب وجماله حتى تصل بالعملية التواصلية إلى النجاح.

فالبلاغة بشكل عام تدرس الجملة وما يعترئها من معان ومقاصد وسياقات وأدوات تعين المبدع على التعبير البليغ وكشف مواطن الإبداع، تجعلنا ندرك ارتباطها الوثيق بالمتكلم وهي: (1)

- أن يكون المتكلم بليغاً ويقصد أمراً، فيورده على وجه حقيقي أن يقبله المقول له وأن يكون بذاته أيضاً بليغاً ويجمع ثلاثة أوصاف: صواباً في موضع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود وصدقاً في نفسه.
- صحة اللغة وصوابها، ويعني ذلك خلو ألفاظها من النقص والعيب.

1- ينظر: محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد والاصطلاح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2006، ص 16.

أن يكون المعنى المقصود للمتكلم مطابقاً ومنسجماً مع الألفاظ التي استعملها المتكلم.

بالإضافة إلى مراعاة التأثير النفسي وأقدار السامعين أثناء الخطاب.

ومما سبق نتضح لنا الرؤية في أن البلاغة العربية واللسانيات التداولية يشتركان في كثير من النقاط كما هو واضح، وذلك بدراسة اللغة أثناء الممارسة الفعلية لها وفقاً لسياقات مختلفة، وجد من المحدثين من يربط بين البلاغة والتداولية مثل: "جيفري ليتش" (J. Litch)، حيث يرى أن البلاغة: «تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع»⁽¹⁾. فهما يتفقان في دراسة الآليات والأدوات اللغوية التي يستخدمها المتكلم من أجل إجراء عملية التواصل وفق مقام معين ذات مقاصد ودلالات محددة. ويتناول هذا المبحث بعضاً من القضايا التي تشترك في تناولها البلاغة العربية القديمة مع اللسانيات التداولية.

5- تداولية المتكلم في البلاغة العربية:

للمخاطب دور بارز في التراث العربي القديم بصفته المنتج لعملية الخطاب، ولأنه الركيزة التي ينطلق منه الخطاب والمقاصد، وهو الذي يحدد الدلالات والألفاظ وهو السبب في إقناع الطرف الآخر، وهذا الأخير كان نقطة تباين وخلاف بين الدرس العربي وبين اللسانيات الحديثة بشكل عام، حيث قامت هذه الأخيرة في بادئ الأمر بإهمال هذا العنصر المهم وهو المتكلم وتمركزت دراستها حول بنية اللغة الداخلية البعيدة عن كل السياقات الخارجية والأطراف الإنسانية المحيطة بها ومن ضمنها المتكلم، وظلت على هذه الحال عقوداً طويلة حتى جاءت نظرية تشومسكي وتضمنت انتقادات حول المنهج البنيوي وعارضت فكرة انغلاقه على اللغة، كما ساندته في ذلك فلاسفة اللغة، ومن ثم انطلقت فكرة الاهتمام بالطرف الغالب في عملية التخاطب، ألا وهو المتكلم، ولكن بالنظر إلى

1-صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط01، 2004، ص 121.

الدرس العربي، وبخاصة البلاغي كان منذ بداياته يهتم ويراعي العناصر المشكلة والمسهمة في الخطاب، حيث تعددت أشكال الاهتمام به.

حيث نلاحظ في كتاب العمدة لابن رشيق أنه ينطلق من الطرف الأول في العملية التواصلية الإبداعية ألا وهو "الشاعر" فيهتم بإبداعاته وانتقائه لأحسن الألفاظ ومعانيها لجلب المتلقي وإقناعه والتأثير فيه، فالمخاطب يعتبر الذات المحورية في إنشاء الكلام لإبلاغ المتلقي مراده وإفادته.

ويحدّد ابن رشيق مجموعة من الخصائص للشاعر، إذ سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استطراف لفظ وابتداعه، وزيادته فيما أبحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما طاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التصوير⁽¹⁾. فالشاعر المرهف الحس، ذو الفكر الراجح والعقل المتزن الذي يصور لنا حقيقة الواقع النابع من صدقه، كل هذا يساعده في موهبته الفنية وإبداعه، فالتوظيف الحسن والتميز للألفاظ يجعل الشاعر -حسب ابن رشيق- يستحق هذا اللقب حقيقة ليس مجازا.

ونجد أيضا من مظاهر عناية ابن رشيق بالمتكلم وآدابه، حيث يقول: من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب سهل الناحية، وطى الأكناف فإن ذلك ما يحبه إلى الناس ويزينه في عيونهم ويقر به من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عزوف الهممة^(*)، نظيف البزة، أنفا لذهابه العامة ويدخل في جملة الخاصة فلا تهجه أبصارهم، وإلا فهو كما قال ابن أبي فنن واسمه أحمد:

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْبُخْلِ الرِّجَالَ وَيَبْخُلُ

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 204/1.

*- في المصرية والتونسية "غروب الهممة"، القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/ 196.

كما حرص ابن رشيق على وجوب إلزام الشاعر مبدأ التواضع، وأن يعرف حق من فوّه من الشعراء»⁽¹⁾.

ونلاحظ أيضا اهتمام ابن رشيق بعلم البيان، حيث جعل إفادة السامع وقصد المتكلم لب الدراسة وفحواها، يقول في كتابه العمدة: قيل لبعضهم، ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع، ولذلك سميت بلاغة، وقال آخر: البلاغة أن نفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليك»⁽²⁾.

إنّ اتخاذ ابن رشيق القصد/ النية جوهرًا للشعرية وأحد ركائزها، كما أكد على أن المقصدية تؤثر تأثيرًا بالغًا في المتلقي وتعمل على تحريك عواطفه وانفعالاته لأنّه اتّجاه النص الشعري باعتباره «الفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر، فإن وقع فيه شيء منهما فيقدر، ولا يجب أن يجعل نصب العين فيكون متكئًا واستراحة، وإنّما الشعر ما أطرب وهزّ النفوس وحركّ الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه سواه»⁽³⁾. فالشاعر بشخصيته المبدعة وإحساسه المرهف ومشاعره الجياشة وكفاءته اللغوية الشعرية يجعل المتلقي يتفاعل مع كل ما يقدمه في النص الشعري من معاني في قالب جديد ومتميز، وهو ما يعكس رغبة الشاعر في الرقي بشعره والوصول به إلى درجة الكمال، وبالتالي تتمكن العملية الإبداعية من تحقيق غايتها، وتحقيق الاستجابة المتوقعة من المتلقي، ونجد ابن رشيق معلقًا على قول أبي عثمان الجاحظ في حديثه عن جودة الشعر وتلاحم أجزائه وسهولة مخرجه فيقول: «إذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وجذب النطق به، وجلي في فهم سامعه، فإذا كان متناظرًا متباينًا عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به»⁽⁴⁾. فبالتالي ابن رشيق يشترط أن تتوفر في المتكلم الكفاءة اللغوية التي تمكنه من نظم الكلام فينتقي

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/196.

2-المصدر نفسه، 1/244.

3-المصدر نفسه، 1/223.

4- المصدر نفسه، 1/257.

الألفاظ ويقر فهمها إلى السامع، وأن لا تتنافر حتى يصعب حفظها وتثقل على اللسان فبذلك يكون مدركا للإمكانات اللغوية من تقديم وتأخير وحذف وذكر وغيرها من جهة الجمالية للنص، فجمالية النص وبلاغته الشعرية عند ابن رشيق ترتبط بالمتكلم (الشاعر/ أو البدع) ومدى براعته وامتلاكه للإمكانات اللغوية ولآداب الكلام.

يتجلى إذا بوضوح وعي ابن رشيق بأهمية المتكلم/ المبدع وبآدابه وإحساسه وانتقائه للألفاظ ومعانيها ومراعاة القصدية والنية في الكلام لإفادة السامع والتأثير فيه وهذا ما يتقاطع ويتشارك فيه ابن رشيق مع علماء اللسانيات التداولية في عنايتهم بالمتلف بعدّه محور العملية التخاطبية وذاتا مركزية، ومع الدراسات النقدية الحديثة في نظرية المتلقي والشعرية الباحثة عن جماليات النص الأدبي التي يصنعها المتكلم.

وقد أورد ابن رشيق تعريفا آخر في كتابه العمدة بقوله: قال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث: البلاغة: الفهم والإفهام وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب والاتساع في اللفظ والسداد في النظم والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء وصواب الإشارة وإيضاح الدلالة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار وإمضاء العزم على حكومة الاختيار⁽¹⁾.

وابن رشيق استند بهذه التعريفات من أجل التأكيد على أن البلاغة هي الإفهام وإبلاغ القصد، حيث يكتسب القصد مكانة بارزة في الدرس البلاغي، فهو الأساس الذي تبنى عليه العملية التواصلية، حيث يقول القاضي عبد الجبار: «إن المتكلم لغيره إنما يحصل مكفا له بأن يقصده بالكلام دون غيره، ويكون أمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه المأمورية»⁽²⁾. فالمتكلم إذا لم يؤد في كلامه مقتصدا لا يعد متكلمًا.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 1/ 247.

2- القاضي عبد الجبار: المغني، ص 72، نقلا عن: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 146.

كما ركز ابن رشيق في كتابه على الإيجاز والفصاحة والإبلاغ والإفهام حيث يقول في المجاز: "هو دليل الفصاحة ورأس البلاغة"، ويقول أيضا في باب المجاز هو: «في كثير أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا من القلوب والأسماع»⁽¹⁾.

وكذلك في حديثه عن الالتفات، الذي هو مرتبط بالمتكلم وهو يستخدم هذا الأسلوب لجلب انتباه السامع مراعيًا حالته النفسية والاجتماعية أيضا، وهو مجال حي من مجالات اللسانيات التداولية.

كما نجد أيضا أسلوبه الاستطراد الذي أورده ابن رشيق في العمدة، حيث يقول: هو الذي أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه، فذلك استطراد وإن تمادى فذلك خروج، أو أكثر للناس يسمى الجميع استطرادا. فأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول:⁽²⁾ من الطويل:

ونحنُ أناسٌ لا نرى القتلَ سبباً
إذا ما رأتهُ عامراً وسلولاً
يقربُ حبُّ الموتِ آجاننا لنا
وتكرهه آجالهم فتطولُ

فالاستطراد من المصطلحات البديعية التي توضح وتكشف براعة الخطاب ودقة المعنى وهذا الأسلوب يستخدمه الشاعر الفصيح البليغ المتمكن من شعره.

وقد يسمى أيضا لفظة الخروج وهي الانتقال من غرض إلى آخر، وطلب فيه التلطف لأبعاد نفسية وفنية، ذلك أن اللطافة ومراعاة الحالة النفسية للسامع تشعره بالارتياح، وهو ما يصب في وعاء اللسانيات التداولية، وهو مراعاة أحوال وظروف المتلقي، لذلك نجد ابن رشيق ينوع في ذكر الأساليب البلاغية التي على الشاعر أي (المتكلم) أن يستعملها ويراعي فيها نفسية السامع.

وفي حديثه أيضا عن مقاصد الكلام، فقد ذكر أن أول ما يحتاج إليه الشاعر -بعد الجد هو الغاية، وفيه حده الكافية- حسن التأتى والسياسة وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل

1- القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 266/1.

2- ديوان السموأل، تح وشرح: واضح السمد، دار الجيل، بيروت، ط01، 1416هـ-1996م، ص 70.

وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، وبدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي تفاوت الناس وبه تفاضلوا⁽¹⁾. فالقصد والغاية والغرض هو الأساس المهم لنجاح العملية الإبداعية التواصلية، كما أنه على المخاطب الالتزام ببعض الآداب والاعتبارات التي تجعل السامع في حالة تأثر وإفهام وبالتالي نجاح العملية التخاطبية.

5-1 التآدب في الكلام واعتبار السامع:

لقد ركز ابن رشيق على خصائص المتكلم وصفاته؛ أي الشاعر التي يجب أن يتصف بها سواء في ذاته أو في خطابه مع السامع، وهذا ما عني به الدرس البلاغي بأساليب التآدب في الكلام.

ونرى ابن رشيق يأتي في كتابه "العمدة" بباب كامل لآداب الشاعر والصفات التي يجب أن يتحلى بها فيقول: «من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وملئ الأكناف، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس، ويزينه في عيونهم، ويقربهم من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس، عزوف الهمة، نظيف البزّة، أنفا، لتهابه العامة ويدخل في جملة الخاصة فلا تمجه أبصارهم سمح اليدين، وإلا فهو كما قال الطائي بقوله:

أَلُومٌ مِّنْ بَخَلَّتْ يَدَاهُ وَأَعْتَدِي
لِلْبُخْلِ تَرْبًا؟ سَاءَ ذَاكَ صَنِيعًا!!

ويقول ابن رشيق في حاجة الشاعر إلى المعرفة والثقافة.

«والشاعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة، لاتساع الشعر احتماله كل ما حمل، من نحو، ولغة وفقه وخبر، وحساب وفريضة واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكثف بذاته مستغن عما سواه، ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار»⁽²⁾.

1- القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 199.

2- المصدر نفسه، 1/ 196.

كما طلب ابن رشيق من الشاعر أن ينصف بالتواضع فيقول:

«يجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه، ويعرف حق من فوقه من الشعراء، فإن امرأ القيس - وكان شديد الظنة في شعره كثير المنازعة لأهله، مدلا فيه بنفسه، واثقا بقدرته - لقي التوأم الشكري، واسمه الحارث بن قتادة، فقال له: «إن كنت شاعرا كما تقول فملط لي أنصاف ما أقول فأخبرها، قال نعم، فقال امرئ القيس: (1)

أحار ترى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنًا

فقال التوأم:

كِنَارِ مَجُوسٍ تَشْعُرُ اسْتِعَارًا

فقال امرئ القيس:

أرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحٍ

فقال التوأم:

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ هَدَأَ اسْتِطَارًا

فقال امرئ القيس:

كَأَنَّ هَزِيمَةَ بَوْرَاءٍ غَيْبٍ

فقال التوأم:

عِشَارُ حَالِهَا لَقَتْ عِشَارًا

فقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنَفِي أَضَاخَ

فقال التوأم:

وَهتَ أَعْجَازُ رِيْقِهِ فَحَارًا

فقال امرؤ القيس:

فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظَبِيًّا

وقال التوأم:

وَلَمْ يَتْرُكْ بِجِلْهَتِهَا حِمَارًا»

فلما رآه امرئ القيس قدماته، ولم يكن في ذلك الخرس أي: العصر - من يماتته -

أي: يقاومه ويطاوله، آلى ألا ينازع الشعر أحدا آخر الدهر.

فمن ذلك على المتكلم (الشاعر) أن يتأدب ويتواضع في كلامه حتى لا ينفرد منه السامع، بل عليه أن يشعره بالقبول وأن ترتاح له نفسه وأن يراعي حالته، حيث يخالف مبدأ التعاون ليصل إلى مبدأ التأدب الذي يفترضه (غرايس) حديثا في اللسانيات التداولية حيث «يضطر المشارك في الحدث الكلامي أن يخالف مبدأ التعاون، إيثارا لمبدأ التأدب،

1- القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 202.

وكما ذكر ابن رشيق سابقا على الشاعر/ المتكلم أن يبتعد عن الاستعلاء ويتصف بالتواضع ليتم مبدأ التأدب.

وهنا تتلاقى البلاغة العربية مع اللسانيات التداولية في مبدأ التأدب الذي يجب أن يلتزم به المتكلم في خطابه مراعاة للسامع وأحواله المختلفة.

والمتكلم البليغ هو: «من ينظر في أحوال المتخاطبين»⁽¹⁾.

ويأخذها بعين الاعتبار في بناء خطاباته ومراعاة أحوال المخاطب في خطابه «ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه»⁽²⁾.

ويتوجب على المخاطب أن يراعي أحوال سامعيه من جوانب عديدة سواء منها النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية... الخ.

ويوجه ابن رشيق الشاعر توجيهات عديدة لمراعاة السامع فيها نصنفها حسب الحال إلى ثلاثة أحوال أساس:

5-1-1 مراعاة الحال السوسولوجوي:

يقول ابن رشيق في كتابه العمدة: «وكلام العرب نوعان: منظوم، ومنثور ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة ومتوسطة وردئية، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ألا ترى أن الدر - وهو أخذ اللفظ ونسيبه، وإليه يقاس وبه يشبه - إذا كان منثورا لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب...، وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع، وتدحرج عن الطباع ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أحمله»⁽³⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 223.

2- المصدر نفسه، 1/ 199.

3- المصدر نفسه، 1/ 199.

ومعنى هذا أن الخطاب الإنساني طبقات، ومن ذلك تترتب عليه طبقات المجتمع لأن المخاطبين يختلفون في الطبقات، ولكل طبقة اللغة الخاصة بها والتي تحدد هويتها السوسiolغوية، فيتوجب على المتكلم أن لا يخاطب جميع هاته الطبقات باللغة، والخطاب نفسه لأن لكل طبقة منها اللغة الخاصة بها والواقع الذي تعيشه، ومن ذلك عليه أن يتخير اللفظ الذي تستقر له الأنفس، ونلاحظ أيضا أن ابن رشيق يتحدث بكثرة عن لغة العرب لغة الفصحاء والبلغاء فيقول فيهم: روي أن ابن عائشة يرفعه -أي الشعر- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها وتسلُّ به الضعَّان من بينها»⁽¹⁾.

فابن رشيق يرفع من شأن كلام العرب، فهو أطال الحديث عن كلام وأشعار العرب الفصحاء والبلغاء في العديد من أبواب هذا الكتاب بمألته لا نظير للغة العربي وجزالة ألفاظهم، وجمال عباراتهم ما يجعلها تستحوذ وتجلب السامع لها، حيث ترتاح لها نفسه وتميل لها ميلا تشبع فيه الأذواق وتذوب لها القلوب، وخاصة عند سماع شعرها، فلقد أورد في باب (احتماء القبائل بشعرائها) «أن القبيلة من العرب كانت إذا نبغ فيها شاعر أنت القبائل فهنأتها وصنفت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس ويتباشرون الولدان، لأنه حماية لأغراضهم ودب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم»⁽²⁾.

وما نفهمه من هذا القول أن العرب كانت تقدر الشاعر الذي ينشأ فيهم، ومن ذلك تقدر وتحافظ على لغتهم العربية التي يؤلفون بها الشعر، كما أورد قائل في كتابه: «وقيل لكثير -أو لنصيب- من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 28.

2- المصدر نفسه، 1/ 65.

رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا شرب»، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابعة ويقول: «هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا»⁽¹⁾.

ومن هذا القول نتيقن أن ابن رشيق تستميله وتستهوئه شعراء العرب الأقحاح الذين لا تشوب لغتهم شائبة نفر منها النفس وتنفّر منها الأسماع، ذلك أن العربي «حيوان فصيح، فبالفصاحة وليس بمجرد العقل تتحدد ماهيته»⁽²⁾.

ويدلّ هذا على أنّ ابن رشيق كان شاعرا يؤلف الشعر ويدافع عنه، فاستدلّ على الكثير من الحجج التي ترفع من شأن الشعر وتجعله في أرقى المراتب وجعله في كتابه "العمدة" يتخير أحسن وأعظم الشعراء القدامى والمحدثين سواء من الجاهلية أو الإسلام أو المخضرم، والحديث مرارا وتكرارا عن كلام العرب لعظمته وشأنه على مر العصور والأزمنة.

وللألفاظ عند ابن رشيق قيمة اجتماعية وثقافية حيث يؤكد في كلامه عن الشعر والشعراء بأنه على الشاعر أن يوظف الألفاظ التي تستهوي القارئ وتجعله أكثر إمعانا وإقناعا، فقد جعل اللفظ أخ للدر، وقد ذكر هذا سابقا، والدر لا قيمة جمالية له إلا إذا انتظم في عقد يميزه، والألفاظ كذلك لا قيمة لها إلا إذا جمعت وانتظمت في قطعة أو قصيدة شعرية قائمة على الأوزان والقوافي.

كمانبه ابن رشيق على أن يكتسي شعر المتكلم الإبانة والإيضاح وتقريب المعنى على السامع: «فإن العرب إنما فضلت بالبيان والإفصاح»⁽³⁾. مع الابتعاد عن الوحشي من الألفاظ فهو يرفض أن تكون اللغة صعبة وحشية غير بيّنة وواضحة.

ولقد أقام بابا في كتابه سماه باب الوحشي من المتكلف والركيك المستضعف فيقول: «الوحشي من الكلام ما نفز عنه السمع، والمتكلف: ما بعد عن الطبع والركيك ما ضعفت

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 95.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، 1/ 144.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 53.

بنيته، وقلت فائدته واشتقاقه من الركة وهي الضعيف، وقيل من الرك: وهو الماء القليل على وجه الأرض وأنشد النحاس:

تَهَادَى كَحَوْمِ الرَّكِّ يَقْطَعُهُ الْحَيَا بِأَبْطَحِ سَهْلٍ حِينَ تَمْشِي تَأْوَدَا

و«فلان ركيك، أي: ضعيف العقل، ويقال للوحشي أيضا: حوشي: كأنه منسوب إلى الحوش، وهي بقايا إيل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونقت عنها الإنس، لا يطؤها إنسيا إلا خبلوه»⁽¹⁾.

فمن الضروري أن يتعرف المخاطب على نفسه من خلال اللغة التي تخاطب بها أي أن يتعرف على هويته الاجتماعية من خلال الخطاب الموجه إليه، ونجاح الخطاب رهين بمخاطبة المخاطب بلغته فالملك يخاطب بلغة الملوك والقضاة تخاطب بلغة الساسة والعدل والقضاء، والسوقي يخاطب بلغة السوق⁽²⁾.

ويورد ابن رشيق مثالا آخر عن الوحشي في قول إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه: إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعا في نيل البلاغة، فإن ذلك هي العي الأكبر عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى⁽³⁾.

وما يدل على استدلال ابن رشيق وإتيانه بهذه الأقوال والأبيات والأمثلة على الوحشي من الكلام والابتعاد عنه في الشعر، أنه يؤيد هذه الفكرة، لأن الوحشي من الألفاظ يكون مناسباً لمن يستعمل الوحشي من الناس والألفاظ السوقية يستعملها السوقي، فلكل طبقة لغتها وألفاظها المناسبة لها.

وإجمالاً يمكن القول أن ابن رشيق يقودنا إلى أن الخطاب ليس نظاماً ثابتاً، فاللغة متغيرة بتغير المجتمعات والطبقات والأزمنة لذلك على المتكلم أن يراعي في ألفاظه وشعره كل هذه الاعتبارات.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 265.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، 1/ 92.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 265.

5-1-2 مراعاة الحال الذهني للسامع:

إنّ الهدف الأساس من أي خطاب هو الإقناع والإفهام، فابن رشيق أورد في كتابه تعريف البيان فيقول أبو الحسن الرماني: «هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان إبطاء.

وقال: البيان: الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة وإنما قبل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم البيان»⁽¹⁾.

وقد استهلّ "ابن رشيق" بهذا التعريف في باب البيان من كتابه ليدل على أن البيان هو أن يكشف عن المعاني ويفهم السامع ويبتعد كل البعد عن التعقيد وعدم الإيضاح وبالتالي يراعي المتكلم حال السامع الذهنية في الإفهام والإدراك لما يقوله من خطاب فالخطاب يستلزم الإقناع، والإقناع يقتضي بذلك الإفهام.

ويستدل ابن رشيق أيضا في هذا الموضوع يقول بعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ولذلك سميت بلاغة⁽²⁾.

ومن هنا نفهم أيضا أن البلاغة لا تقتصر على الفصاحة والإبلاغ والإيصال فقط وإنما هي أيضا إفهام السامع ومراعاة حالته الذهنية للإدراك وبلوغ عقل المخاطب وبطبيعة الحال فالبلوغ لا يتحقق إلا إذا أدى الخطاب وظيفته الإفهام وكان قد أعان السامع على عناء التكلف وأداء سمعه وذهنه من التعقيد وصعوبة الألفاظ ممّا يعني هذا أن الخطاب الموجه للملوك والقضاة والساسة والعلماء والفلاسفة ليس هو الخطاب نفسه الذي يوجه إلى عامة الناس لاختلاف ثقافتهم واختلاف معارفهم وطبقاتهم.

وقيل أيضا في البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليه، وأراد ابن رشيق أيضا عن الجاحظ في حديثه عن البلاغة فيقول: "وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم

1- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 254.

2- المصدر نفسه، 1/ 242.

بن محمد قوله: «كفى من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع، ثم قال الجاحظ أما أنا فأستحسن هذا القول جدا»⁽¹⁾.
فيستحسن في البلاغة أن تتجنب الإجهاد والعسر في الألفاظ والإفهام لأنه ببساطة سوء الفهم يؤدي دون شك إلى فشل عملية التخاطب ولكي لا يحصل من هذا الإشكال لا بد وعلى المتكلم أن يكون على دراية تامة بمعارف وكفايات السامع اللغوية والذهنية لنجاح الخطاب.

ومن التوجيهات التي يقدمها ابن رشيق للشاعر قوله: «وليلتمس له من الكلام ما سهل، ومن القصد ما عدل، ومن المعنى ما كان واضحا جليا، فقد قال بعض المتقدمين شر الشعر ما سئل عن معناه»⁽²⁾.

والخلاصة أنّ عملية الإفهام والفهم شرط أساسي ومهم للإقناع كما يشترط في البلاغة مقابل الإفهام أن يكون معنى الخطاب واضحا جليا ولفظه مقبول وشكله حسنا.
كما نجد ابن رشيق يعرض لنا فكرة التأويل في حديثه عن فنون البلاغة مشيرا إلى فن منها وهو «الاتساع» عرفه بـ: «أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى»⁽³⁾ مساعدة للسامع في استكناه مراده كما يحدث فيه الشعراء على استخدام الألفاظ القوية يتسع فيه المعنى ليتسع فيها التأويل ومن ذلك يحدث الإفهام.

5-1-3- مراعاة الحال النفسي والانفعالي:

الشعر يستلزم من الشاعر مراجعة الحالة النفسية لمستمعيه ووضعها نصب أعينه كما يتطلب من المتلقي وقفة نفسية هو الآخر لأن الشعر يعتمد على الأقاويل المتخيلة لا الأقوال المباشرة فالحالة النفسية تدرج ضمن الإدراك السيكولوجي ولقد جعل ابن رشيق الإحساس الشعري عنصرا هاما من عناصر الشعر بل أبعد من ذلك حين قرر أن «الشعر

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/246.

2-المصدر نفسه، 1/201.

3-المصدر نفسه، 2/893.

ما أطرب وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه»⁽¹⁾.

لأنّ هناك من الشعر ما نجده موزونا مقفى منظوما يتضمن معنى ولكنه خال من أي إحساس والشعور النفسي الذي يحتاجه السامع و يتشوق لسماعه في الشعر، فهو في نظر ابن رشيق ليس شعرا، فالشعر في رأيه إثارة الجوانب النفسية للمتلقى والتأثير فيه إذ «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قبل السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن»⁽²⁾.

ولا بد للشعر أن يكون نابعا من حس مرهف وصادق منفرد عن غيره، ومن الملاحظ أن ابن رشيق قد أنشأ أبوابا كثيرة تحتوي أساليب مختلفة من أسلوب الالتفات والاستطراد والتخلص والخروج وغيرها، كل هذه الأساليب حينما يوظفها الشاعر في شعره فهو يستميل بها المخاطب ويجذبه إلى شعره فهي أساليب تقوم على التنويع والانتقال بالمخاطب حسب ما يناسب حالته النفسية، ويشدد في أكثر التعريفات والآراء على الأثر النفسي للسامع لهذا لا بد له من التنويع والتتقل بين الأشكال، حيث يقول ابن رشيق «وكان الشاعر العربي يخرج بمخاطبه من نسيب إلى مدح، وقد يعود إلى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع إلى المدح، وكان يتخلص من معنى إلى معنى، ثم يعود إلى الأول، ويأخذ في غيره، ويرجع إلى ما كان فيه»⁽³⁾. ويقول أيضا «وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح، بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل، وذكر القفار»⁽⁴⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق ، 1/ 128.

2- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 10.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ، مصدر سابق، 1/ 234.

4- المصدر نفسه، 1/ 239.

«وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص في الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه»⁽¹⁾.

كل هذه التنقلات من معنى إلى معنى والعودة من بيت إلى بيت ومن غرض إلى آخر بغية استمالة نفس السامع ومراعاة حاله النفسية.

وما نخلص إليه من مراعاة الحالات الثلاث السابقة اللغوية والنفسية والذهنية وغيرها التي تدخل ضمنياً من اجتماعية وثقافية على المخاطب أن يأخذها بعين الاعتبار لأنها أساس الخطاب والركيزة التي يتأسس عليها الشعر والعنصر المهم في عملية الاقناع والتأثير.

6- تداولية المخاطب عند ابن رشيق:

يعد المخاطب (السامع) الطرف الثاني في عملية التخاطب، وعلى أساس هذا الأخير يحدد المخاطب رسالته (خطابه) فيرسم بذلك استراتيجية تتناسب قصده وتراعي حال مخاطبه ومشاعره لكي يضمن لكلامه الفائدة، ومن مظاهر عناية ابن رشيق بالسامع في كتابه (العمدة) اهتمامه بمبدأ القصد والنية ومطابقة الحال وقد قيل: «لكل مقام مقال: وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمر ذاته من مدح وغزل ومكاتبه ومجون وخمرية وما أشبه ذلك»⁽²⁾.

فهو يهتم أساساً بالمقام ومن ضمنه حال السامع فإذا تحققت المطابقة نتجت عنها الإفادة في الكلام، وبذلك فهو يشترط الإفادة والقصد، وهذا من مظاهر الدراسة التداولية عند ابن رشيق حيث يقوم على تأليف الشعر من طرف الشاعر في ضوء المقام وحسن النية والقصد والإفادة في حد ذاتها سمة تداولية تستند عليها اللسانيات التداولية في دراسة اللغة أثناء الاستعمال.

1- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 237/1.

2- المصدر نفسه، 1/199.

كما نجد عناية ابن رشيق بالسامع واهتمامه به في باب الالتفات وقد أعطى مثالا بابن المعتز في حديثه عن الالتفات بقوله «هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار»⁽¹⁾. أي مراعاة الطرف الآخر وهو السامع وإبلاغه وإخباره بمراده، بمعنى أن بناء المتكلم لكلامه هو فعل يقوم على إعطاء أهمية للسامع و التأثير فيه، وابن رشيق في إشارته هذه لا يبتعد عما جاءت به اللسانيات التداولية في عنايتها بالسامع وإفادته بالإخبار والتأثير فيه.

ولكي يصل الشاعر لمقصده عليه توخي بعض الخصائص والصفات التي تجعله يدرك التمايز بين أغراض الكلام ولتحقيق ذلك «يجب للشاعر أن يكون متصرفا في أنواع الشعر: من جد وهزل، وحلو وجزل، وأن لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ولا في المديح، أنفذ منه في الهجاء، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتا في سائرهما منه في الاعتذار، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتا في سائرهما، فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم، وحاز قصد السبق كما حازها شار وأبو نواس بعده»⁽²⁾.

فقدرة الشاعر على التنويع ووضع الأمور ما يلائمها وما يتناسب معها وبراعته وفطنته يجعل هذا من الشاعر شاعرا حقيقيا، لأنه بذلك يدرك المقامات والمناسبات فيعطي لكل ذي حق حقه، فرؤية ابن رشيق للتنويع بين أغراض الكلام (الجد والهزل) مثلا يضمن له انجذاب واستحالة المتلقي إلى النص، وبالتالي بالتنويع بين الأساليب بالنسبة إليه دافع قوي لنجاح عملية التخاطب والتفاعل بين المتكلم والمتلقي.

ونجد أيضا اندفاع ابن رشيق إلى الاهتمام بمسألة التوضيح قائلا: «سبيل الشاعر - إذا مدح ملكا- أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكر للممدوح (...). وبلغ مراده»⁽³⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 46.

2-المصدر نفسه، 1/ 169.

3-المصدر نفسه، 2/ 205.

فمراعاة مقام المتلقي وحالته النفسية تستوجب التوضيح والبيان لإفادة المتلقي فجعل بذلك الشاعر يبلغ مقصده من مدح الملوك، بترك إيقاع النصب في نفوسهم والتأثير فيهم والتفاعل معهم، فيحصل الرضا والتجاوب.

أما ما يتعلق بمدح الوزراء والكتاب، فإنه يتوجب على الشاعر أن يوظف -حسب نظرة ابن رشيق «ما يناسب حسن الرؤية وسرعة خاطر بالصواب وشدة الحزم، وقلة الغفلة وجودة النظر للخفية والنيابة عنه في المعضلات بالرأي أو بالذات... وبأنه محمود السيرة حسن السياسة، لطيف الحس، فإذا أضاف إلى ذلك البلاغة والخط والتفنن في العلم كان غاية»⁽¹⁾.

معنى ذلك أن لكل ممدوح ما يناسبه من مدح ومن انتقاء اللغة والألفاظ والصفات التي تتفق مع المقام، كل هذه التبريرات المقدمة من ابن رشيق، بغية الدفاع عن الشعراء وربما لأنه في حقيقة الأمر كان يدافع عن نفسه، لأنه كان شاعر بلاط وصاحباً لأميرين هما: المعز بن باديس الصنهاجي وابنه تميم، ولهذا ما برح ابن رشيق يدافع عن الشعراء ويبين أن هناك فرقا في من يمدح ملكا وفيمن يمدح سوقة.

الأمر نفسه ينطبق على مدح القضاة، لما يناسب مقاماتهم العلمية والدينية ومن ثم الشاعر «أن يمدح القاضي بما يناسب العدل والإنصاف وتقريب البعيد في الحق، وتباعد القريب والأخذ للضعيف من القوي والمساواة بين الفقير والغني وانبساط الوجه، وبين الجانب وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق، فإن زاد ذلك ذكر الورع والتخرج وما شاكلها، فقد بلغ النهاية»⁽²⁾.

فابن رشيق يدعو بهذا القول أن ندرك الفروقات الموجودة بين الممدوحين من حيث المنزلة والمرتبة الدينية والسياسية والاجتماعية من أجل إيصال المقاصد التي بني من أجلها النص.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق ، 2/ 212.

2- المصدر نفسه، 2/ 213.

فتناول ابن رشيق المقاصد المختلفة للأغراض الشعرية وفقا للفروقات الشخصية ووفقا لمكانة المتلقي تجعلنا ندرك نقاط التلاقي مع اللسانيات التداولية في اهتمامها بالمقصدية كمبدأ أساسي في عملية التخاطب، فالنص موئل لتقاطعات عديدة بين المتكلم (المتلفظ بالخطاب) وبنية النص أو الخطاب والسامع وما يطرأ عليه من مقاصد المتكلم حيث عد ركيزة أساسية في العملية التواصلية بواسطتها يتحقق الفهم والإفهام.

إنّ غاية ابن رشيق بعناصر الخطاب ومقاصد المتكلم والأغراض الشعرية جعلت من كتابه العمدة مجالاً خصبا وثريا لإقامة لسانيات تداولية عربية تهتم بالمعنى وتتخذ من اللغة اللبنة والركيزة الأساسية للدراسة والتحليل أثناء الاستعمال، ذلك أن الذي يهتم بالمخاطب والمخاطب والخطاب والمقام ومقتضى الحال ومقاصد الكلام والإفادة كلها مؤشرات للدراسة التداولية ومفاهيم لها، ولا بد له وأن يدرج ضمن الاهتمامات التداولية في التراث اللغوي العربي وبخاصة البلاغي منه، حيث تزخر البلاغة بآليات متنوعة وعديدة تحقق الترابط والانسجام والتضام داخل النص، ولذلك صرح فان دايك (Van dijk) بأن «البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص»⁽¹⁾.

7- المقام ومقتضى الحال:

تحدث العرب القدامى في جوانب عديدة عن مسألة المقام، واعتبروه مناسبة القول وملابساته ودعوا إلى ضرورة مراعاته والتقيد به في الخطابات، وهو من المفاهيم التي تربط بين التداولية الحديثة وبين فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية فيقول "صلاح فضل" في هذا الصدد: «ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال) وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)»⁽²⁾.

1- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 299.

2- المرجع نفسه، ص 26.

وقد أورد ابن رشيق هذه المقولة الشهيرة في كتابه فيقول: «وقد قيل: لكل مقام مقال، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمر ذاته من مدح وغزل، ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك غير شعر في قصائد الحفل التي تقوم بها بين السماطين، يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه، وما لم يتكلف له بالا، ولا ألقى به ولا يقبل منه في هذه إلا ما كان محكما، معاودا فيه النظر، جيدا لا غث فيه، ولا ساقط، ولا قلق، وشعره للأمرير والقائد غير شعر للوزير والكاتب، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع»⁽¹⁾.

والمقصود من هذا القول أن الشاعر يجب أن يراعي المقام الذي هو فيه، فإذا كان مقام مدح لا يمكن أن يدخل فيه الدم، والشعر الذي يقدمه للملوك والأمراء ليس هو نفسه الذي يقدم للقضاة والفقهاء وذلك لاختلاف مراتبهم وطبقاتهم وعلمهم وثقافتهم، فكل مقام يستوجب خطابا معينا له مع مراعاة الحالة النفسية التي يكون عليها المتلقي، وفكرة المقام تداولية أساسا، حيث نتجت من الشروط التي يكون فيها الشعر أو الخطاب مطابقا للحال التي يستخدم فيها بين المتكلم والسامع ومختلف الظروف والملابسات التي تكتنف ذلك. ومفهوم الحال لا يختلف عن مفهوم المقام «الذي يشمل مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي، وتؤثر فيه بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها»⁽²⁾. لذلك على الشاعر أن يختار الظروف والأوقات المناسبة ويتفقد أحوال المتلقي لكي ينشأ شعره فيقصد به ما يحبه ويتجنب ما يكرهه ويمدح من يريد مدحه وغيره، فلكل مقام مقال.

فجده "ابن رشيق" يخصص حسب المقامات أبوابا عدة من بينها باب النسب ويقول فيه: «حق النسب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعنى سهلها غير كز ولا

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 199/1.

2- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، مرجع سابق، ص 1623.

غامضون يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار، رطب المكسر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين»⁽¹⁾.

ويقول النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وقال الحاتمي: «من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم، متصلا به، غير منفصل عنه»⁽²⁾.

أما في باب المديح فيقول: «وسبيل الشاعر -إذا مدح ملكا- أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للمدوح وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل... ورأيت عمل البحتري -إذا مدح الخليفة- كيف يقل الأبيات ويبرز وجوه المعاني، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته، وبلغ مراده»⁽³⁾.

وفي باب الافتخار يقول أيضا: «الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار»⁽⁴⁾.

ونجده في باب الرثاء يقول: «وليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به، حيث مثل "كان" أو "عدمنا به كيت وكيت" وما يشاكل هذا، ليعلم أنه ميت»، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحرة، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا»⁽⁵⁾.

أما ما ورد في باب العتاب وذكر طرائفه، يقول ابن رشيق: «وللعتاب طرائق كثيرة، وللناس فيه ضروب مختلفة فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف، ومنه ما

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 116/2.

2-المصدر نفسه، 117/2.

3-المصدر نفسه، 128/2.

4-المصدر نفسه، 143/2.

5-المصدر نفسه، 147/2.

يدخله الاحتجاج والانتصاف، وقد يعرض فيه المن والإجفاف مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف»⁽¹⁾.

وفي باب الوعيد والإنذار، يقول: «كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء، ويحذرون من سوء الأحدثة ولا يمشون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها»⁽²⁾. وما نراه في باب الهجاء حيث يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «خير الهجاء ما تتشده العذراء في خدرها فلا يقبح مثلها»⁽³⁾.

وهو ما عفا لفظه وصدق معناه ومن كلام صاحب الوساطة «فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه وتسهل حفظه وأسر علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس، فإمّا القذف والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن»⁽⁴⁾.

يوجه ابن رشيق الشاعر في باب الاعتذار فيقول: «وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلى ذلك، وأوضعه فيه القضاة، فليذهب مذهبا لطيفا وليقصد مقصدا عجبيا، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، لاسيما مع الملوك وذوي السلطان»⁽⁵⁾.

والملاحظ ممّا سبق ذكره من المقامات المختلفة التي أوردتها واستدلّ بها ابن رشيق في كتابه العمدة والتي هي: الهجاء، المديح، الاعتذار، النسيب، والوعيد والإنذار والافتخار والعتاب فهو جاء بها، وقدمها لكي يبين للشاعر أن لكل مقام مقال ويوضح له كيف يتصرف مع كل ظرف ومقام.

1- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 160.

2- المصدر نفسه، 2/ 167.

3- المصدر نفسه، 2/ 170.

4- المصدر نفسه، 2/ 171.

5- المصدر نفسه، 2/ 176.

من هذه المقامات والتي لها طرائق وأساليب معينة يتخذها سواء من ناحية الألفاظ أو المعاني أو المقاصد، وأعطى لكل مقام منها كيف للشاعر أن يتصرف وأن يعبر وأن يشعر لاستحالة المتلقي وإذعانه وإقناعه والتأثير فيه، فالمقامات تختلف لذا على المتكلم (الشاعر) حسب ابن رشيق أن ينظر إلى ألفاظه ودلالات شعره بحسب الظروف والملابسات المحيطة به، وبحسب غرض الكلام وقصده، فقد فصل ابن رشيق وبينَ وشرح في كل باب من الأبواب السابقة الذكر كيفية الطرائق الواجب اعتمادها واتخاذها في أحوال الكلام المختلفة بحسب ما يقتضيه الظاهر والظروف الخارجية المحيطة بالخطاب أو الشعر، وفي هذا كله قيم تداولية ومفهوم أساسي تقوم عليه اللسانيات التداولية وهو "المقام"، فهو الأساس في كل خطاب تداولية لأنه يمثل «البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم بشتى أقسامها، وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات والأشخاص المعنيين بخطاب ما»⁽¹⁾. لذا فدور المقام فعال في كل خطاب بخاصة الخطابات الحجاجية.

فاهتمام ابن رشيق إذا في باب البلاغة ومضامينها بمطابقة الحال لمقتضى الحال وبالمقام، يثبت «البعد التداولي لديه، فقد ربطت البلاغة عنده بين التشكيلات الكلامية والمقام وحال "السامع" و"المتكلم" وفي هذا الجانب سنوضح أكثر كيفية اهتمام ابن رشيق بالبنى التركيبية للخطاب والسياقات الخارجية المنسوبة إليه، ومن هذه المكونات والآليات التي تدخل في تركيب الخطاب ومطابقته للمقام هي (التقديم والتأخير، الفصل والوصل الحذف، الإيجاز والإطناب) وطريقة بروزها في البعد التداولي.

7-1 التقديم والتأخير: إن الحديث عن ظاهرة التقديم والتأخير في الموروث اللساني العربي يستوجب استحضار ثلاثة بحوث مختلفة تناولت هذه الظاهرة كل من زاوية معينة وهي البحث النحوي والبحث البلاغي والبحث الأصولي، فالنحوي ينظر إليها من حيث

1- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ج28، العدد الثالث (03)، يناير مارس، 2000م، ص 83.

علاقتها بالقواعد التي تضبط التراكيب العربية مع الحفاظ على البنية الأساس وهي العلاقة النحوية والاحتفاظ أيضا بالدلالة نفسها⁽¹⁾. بينما البلاغي يسعى إلى الكشف عن أغراض ومقاصد المواقف التواصلية للتقديم والتأخير ومطابقتها لمقتضى الحال، بينما نجد الأصولي ينظر إليها من حيث الحاجة إلى التفسير سواء في الآيات القرآنية أو الأحكام الشرعية مراعيًا السياقات الواردة فيها، فكل تقديم وتأخير إذا ينضوي تحته قصد معين يريد المتكلم إيصاله من خلال الخطاب، كما أن مسألة التقديم والتأخير تحدث من الأفعال الإنجازية التي سعت اللسانيات التداولية إلى تحليلها وتحقيقها والخوض فيها، فهي من القضايا المهمة التي تعترض طريق المتكلم فيراعيها كونها ارتبطت بمقصدية وغرضه من الخطاب، فكلما فهم السامع المقصد المنشود من الخطاب كلما أدى ذلك إلى نجاح العملية التخاطبية.

ونلفي ابن رشيق في كتابه يقول في قضية التقديم والتأخير في الكلام «ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه فيكون كلامه ظاهرًا غير مشكل، وسهلاً غير متكلف ومنهم من يقدم ويؤخر: إما لضرورة وزن، أو قافية وهو أعذر، وإمّا ليدلّ على أنه يعلم تصريح الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العي عينه، وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام»⁽²⁾.

ويتابع الحديث في هذا الجانب ويقول: «ورأيت من علماء بلادنا من لا يحكم للشاعر بالنقد، ولا يفضي له بالعلم إلا أن يكون في شعره التقديم والتأخير، وأنا أشغل من جهة ما قدمت، وأكثر ما تجده في أشعار النحويين»⁽³⁾.

ونلاحظ من خلال ما سبق من حديث ابن رشيق عن قضية التقديم والتأخير في الكلام أنه يعتبر عينا وعيا للمتلقى وهو يستشغل هذه القضية ويرى أنه للضرورة القصوى

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص 141.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 260.

3- المصدر نفسه، 1/ 261.

عند الوزن والقافية، أما خلاف ذلك فيعتبره إعياء، وقد ضرب بذلك أمثلة نحو قول الخنساء: [من المتقارب]:

فَنِعَمَ الْفَتَى فِي غَدَاةِ الْهِيَاجِ إِذَا مَا الرَّمَّاحُ نَجِيعًا رَوَيْتَا⁽¹⁾.

فقدمت "نجيعا" على "روينا" مبادرة للخير بالري من أي شيء هو وكذلك يقول أبي السفاح بكير بن معدان اليربوعي: (من السريع):

نَهْنَهْتُ هُنَّكَ فَلَمْ يَنْهَهُهُ بِالسَّيْفِ إِلَّا جِلْدَاتٌ وَجَاعٌ⁽²⁾.

أراد نهنته عنك بالسيف، أو أراد فلم ينهه إلا جلدات وجاع بالسيف وكلاما فيه تقديم وتأخير.

فابن رشيق يجعل من هذه الوسيلة الأسلوبية (التقديم والتأخير) حال إساءة توظيفها في الشعر من الضرورات، باعتبار الشعر موضع اضطرار، فهو يجعل التقديم والتأخير عيبا من العيوب التي تلحق الشعر فتهجنه وتجعله بعيدا عن النظم والبيان، فهو لم يذكره كوسيلة أسلوبية تستخدم لتحسين وتنظيم الكلام وتزيينه بل ذكره كعيب في الكلام مع تدعيم ذلك بأبيات من الشعر العربي، وبالرغم من ذلك فهو في كتابه العمدة يستعذبه في بعض المواقف، نحو قول الفرزدق:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْبَحْرِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ

فخفض حاتما على الابدل من الهاء التي في "جوده" جتى رأى قوم من العلماء أن الإقواء في هذا الموضع خير من سلامة الإعراب مع الكلفة³. فابن رشيق يمدح من لا يضمن شعره سوء التركيب والنظم أي «التقديم والتأخير»، فيجعل كلامه ظاهرا غير مشكل فيمدحه بابتعاده عن الإشكال والتكلف، ومن ناحية أخرى يذكر من يستخدم هذه الوسيلة فيقول: «ومنهم من يقدم ويؤخر ما لضرورة الوزن أو قافية وهو أعذب»⁽⁴⁾. وهنا يتبين

1- ديوان الخنساء شرحه وضبطه، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ص 105.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 260.

3- المصدر نفسه، 260/1.

4- المصدر نفسه، 1/ 260.

لنا الرؤية النقدية المتناقضة ذات وجهين لمسألة واحدة فهو ينبغي على من يفعل ذلك إظهارا لمقدرته على تصريف الكلام وتعقيده ويعود فيقول: «ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقديم ولا يفضي له بالعلم إلا أن يضمن في شعره التقديم والتأخير، وأنا أستقل ذلك من جهة ما قدمت»، فهو في هذا الجانب يعتمد الذم لمن يفعل هذا أو ذاك لقوله: «وأنا أستقل ذلك»، فقد تردد في الرأي تارة بين معيار الإجابة وتارة معيار الإساءة، فهو يستحسن هذه الوسيلة لأهمية توظيفها في إثراء النظم بينما كثيرا ما يستهجن هذه الوسيلة اعتقادا منه بكونها وسيلة للتعقيد والمعاضلة، ولعل قضيتي التقديم والتأخير في الدراسات البلاغية المرتبطة بالمقامات التي تضي نجاحا لعملية الخطاب تدعونا إلى استحضار تلك التنظيرات التداولية المتعلقة بالقوة الإنجازية للعبارة والأفعال الكلامية حيث يرى التداوليون وعلى رأسهم "سورل" أن مسألة ترتيب الكلمات في التراكيب اللغوية دورا طلائعيا في تحديد مدى قوة القوة الإنجازية في هذه الصياغات⁽¹⁾.

7-2 الحذف والافتراض المسبق:

يعدّ مبحث الحذف من أهم المباحث التي لاقت اهتماما كبيرا من لدن البلاغيين العرب، فنجد عبد القاهر الجرجاني يفرده له بابا خاصا في كتابه "دلائل الإعجاز" فيقول: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسكر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين»⁽²⁾.

فالحذف كما يشير إليه الجرجاني يأتي وفقا لضوابط معينة، فالحذف في الموضع والحال الذي ينبغي أن يتوفر فيه الشروط التداولية، وبالتالي يحصل تأثير القول الذي تم فيه الحذف إلى استحالة السامع والتأثير فيه، ومن النماذج القولية التي يتم فيها الحذف نجد ابن رشيق يورد في مبحث من كتابه:

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 47.

2- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (371هـ): دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 112.

أ- حذف جواب القسم وغيره⁽¹⁾ يقول فيه: «وأن يحذف جواب القسم وغيره، نحو قوله عز وجل: ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾⁽²⁾.

فالقصد من القسم في هذه الآية الكريمة هو تحقيق وتوكيد الخبر وقيل الجواب محذوف أي: «والقرآن المجيد حيث المقسم به يحتاج إلى جواب، والعبارة المجاورة بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم لا تصلح أن تكون جوابا أو تسد مسده، وتقدير الكلام والقرآن المجيد إنك لرسول الله بالحق، أي جئت بالحق والكلام المبين، فجوابه إذا محذوف فالمخاطب لكي -يقتنع- لا بد أن يكون للمقسم به شيئا من التقدير والإجلال؛ لأن المتكلم إذا علم أن المقسم به هين عند المخاطب فإنه من العبث أن يتخذه وسيلة حجاجية، فالقرآن مجيد عند رب العالمين، لذا أقسم به وحذف جواب القسم لما في ذلك من بلاغة الإقناع والاختصار وإعمال الفكر، فقد استوفى القسم في هذا الموضع شروطه التداولية.

فالشاهد إذا هو حرف "الواو" الدال على القسم وجملة القسم في هذا الموضع شروطه التداولية، مكونة من المقسم وهو الله سبحانه وتعالى، والمقسم به وهو القرآن المجيد، فالله سبحانه وتعالى أقسم بالقرآن الكريم بأنه مجيد، فمكانة القرآن الكريم عالية وراقية، أما جواب القسم فهو محذوف في هذه الآية الكريمة بالتقدير السابق.

ويستدل ابن رشيق بأية أخرى لقوله تعالى: «والنازعات غرقا» إلى قوله: «يوم ترجف الراجفة»، فلم يأت بجواب لدلالة الكلام عليه، حيث أقسم ربنا جل جلاله بالنازعات، ولم يذكر بعدها مباشرة جواب القسم مما جعل ترك ذلك لمعرفة السامعين بالمعنى، والصواب من القول في ذلك أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغنى عنه بدلالة الكلام فترك ذكره، وتلقى ابن القيم -رحمه الله- في كتابه البيان في أقسام القرآن في عدد من المواضع يقول: لا يوجد جواب أصلا وإنما المقصود التنويه بهذه الأمور ولفت النظر إليها، ويكفي هذا عن الجواب لأنه يشعر به «وجواب القسم محذوف يدل عليه

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 277.

2- سورة ق، الآية 01.

السياق وهو البعث المستلزم لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وثبوت القرآن، أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة فيصل المعنى إلى قلب السامع فيفهمه دون أن يقدر مما يعنيه ابن القيم أيضا أن السامع حينما يسمع هذه الأقسام يصل إلى فهمه المراد من هذه الأمور التي ذكرها الله على سبيل التعيين والتخصيص في قوله تعالى: «والنازعات والناشطات» إلى آخره فيدرك السامع أن جواب القسم محذوف يدل عليه السياق، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظا، ولعل هذا مراد من قال: أنه محذوف للعلم به لكن هذا الوجه أطف مسلكا، فإن المقسم به إذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما له استغنى عن ذكر يذكره وهذا كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه فتأمله»⁽¹⁾.

كما يدرك السامع الأمور التي ذكرها الله على سبيل التعيين والتخصيص في قوله تعالى: «والنازعات والناشطات»، إلى آخره وهو قدرة وعظمة الله عز وجل ، وفي مثال آخر سنده ابن رشيق في هذا الجانب لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾. أيضا حذف جواب الشرط من هذه الآية وتقدير الكلام «لعذبكم» أو نحوه، أو يجعل لكم العذاب فجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه وهذا الحذف تتعقد عليه أغراض ودلالات مبتغاة يفهمها السامع من خلال السياق.

ب- حذف "لا" وزيادتها: يقول في هذا الصدد ابن رشيق وحذف "لا" من الكلام وأنت تريدها⁽³⁾، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾، وزيادة "لا" في

1-ينظر: حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري: التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم دراسة وتحقيق، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: أمين بن محمد باشا، المملكة العربية السعودية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1422هـ-2001م، ص 255-256.

2-سورة النور، الآية 20.

3- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، مصدر سابق، 2/ 278.

4- الحجرات، الآية 02.

الكلام كقوله سبحانه ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٢٠﴾⁽¹⁾، أي: ما منعك أن تسجد، وقال: وإنما تراد "لا" في الكلام لإباء أو جحد.

ج- حذف المنادى: لقد استدل ابن رشيق في هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ

الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾⁽²⁾. كأنه قال: «ألا يا

هؤلاء اسجدوا لله، ولقد أضمرنا إكتفاءً بدلالة "يا" عليها ويكون حذف المنادى في القول لتأدية بعض المعاني التداولية نذكر منها:

أولاً: حذف المنادى قصداً للدلالة على الأداة التي قبله عليه لتقوية المعنى وإدراك السامع للخطاب والتأثير فيه وإقناعه دون ذكر المنادى ولأن الأداة تكتفي بذاتها للدلالة على المنادى دون ذكره.

ثانياً: إثبات معنى الجواب سواء أكان قسماً أو شرطاً أو غيره بخاصة في القرآن الكريم لأن الخطاب الواقع يدل على ما يترتب عنه من نتائج وعواقب كما ذكرنا في الأمثلة الأنفة الذكر، فالمعنى واضح وجلي دون الحاجة لذكر الجواب، فالقرآن الكريم ألفاظه واضحة ومقصودة ومعلوم خطابه لمن يوجهه وأي فئة يوجهه، وما هي العواقب التي تنتج عنها.

فالحذف في هذه المواضع يزيّن المعنى ويمتعه حتى يجعله أقوى وأبلغ في التلقي وبذلك تظهر الجوانب التداولية في تحليل ابن رشيق والأمثلة التي استعان بها في هذا الباب، فالحذف يحرك نفس السامع ويجعله يعمل فكرة للوصول إلى المعنى المقصود.

كما أورد ابن رشيق في باب رخص الشعر "مسألة حذف الحرف أو حرفين" فيقول مستعينا بقول الحجاج:⁽³⁾

1-سورة الأعراف، الآية 12.

2-سورة النمل، الآية 25.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 270.

قواطناً مكةً من ورق الحمى

أراد الحمام وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون قد حذف الميم الثانية للضرورة ثم قلب الألف باء بعد كسر الميم الأولى.

وحذف حرفين كقول علقمة بن عمدة: (1)

مُقدَمَبَسَبَا الكَتَانِ مُتَوُّمٌ

يريد بذلك "سبائب الكتان" وأن يحذف من المكنى في الوصل ما يحذف منه في الوقف كقول الشاعر: (2)

سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْتَعًا

والوجه أن يقول "لنفسه" فحذف الياء، وبقي الكسرة على حالها، وإنما جاز حذف هذه الحروف، لأنها زوائد تسقط في الوقف (3).

مع ذكره للحذف القبيح فيقول وأقبح منه أن يحذف المكنى المنفصل كقول الآخر:

فبيناهُ بَشْرَى رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلَ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبٌ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث... أنشد قطرب:

أما مَا تَقُولُ به شاةٌ فيأكلها أو [أَنَّ] تَبِيعَةَ فِي بَعْضِ الأَرَاكِبِ

أراد (تبيعتها) فحذف الألف، قال: ولا يجوز استعمال هذا المحدث لشذوذه وقبحه، ثم يردف قائلاً: «يجوز له (أي للشاعر) حذف الياء والواو من المضمر المذكور لكثرتهم واطراده، وللشاعر أن يحذف اسم ليت إذا كان مضمرًا، حيث أنشد المفضل لعدي ابن زيد:

فَلَيْتَ دَفَعْتَ الهَمَّ عني سَاعَةً فَبِتْنَا عَلَى مَا خَيْلَتَ نَاعِمِيَال

1- صدره: كأن إبريقهم طبي، على شرف ابن رشيق، العمدة، ج2، ص 270.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 270.

3- أبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/ 217.

يريد لبيتك⁽¹⁾

وكذلك موضع آخر ذكره ابن رشيق في الحذف وهو حذف الفاء من جواب الجزاء، كما قال: (من الرجز)

يَا أَقْرَعِبْنَ حَابِسْ يَا أَقْرَعْ إِنَّكَ إِنْ يَصْرَعْ أَخُوكَ تَصْرَعْ

التقدير عنده: «إنك تصرع إن يصرع أخوك» وهو عند المبرد على حذف الفاء⁽²⁾.

- حذف الياء من الذي فمنهم من يسكن الذال بعد الحذف ومنهم من يدعها مكسورة على لفظها، أنشد البصريون والكوفيون جميعاً:

فَطَلَّتْ فِي شَرٍّ مِنَ اللَّذِّ كِيدًا كَمَنْ تَرَبَّى زُبِيَّةً فَاصْطِيدًا

ويروي «كالذي تُربى زبية فاصطيدا، وجمع بين اللغتين وموضع آخر في الحذف وهو حذف الموصول وترك الصلة كما قال يزيد بن مفرغ⁽³⁾.

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجُوتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

أي والذي، أي هذا الذي تحملين طليق، وقال الشيخ سراج البلقيني: يجوز أن يكون المحذوف هو الموصول على رأي الكوفيين أي، هذا الذي يملك، على أن الكوفيين يجوزون استعمال الإشارة بمعنى الاسم الموصول فيكون التقدير الذي يملك⁽⁴⁾.

والموضع هنا ذو غاية تداولية وهي اختبار السامع في الكشف عن المحذوف والتثنية عند قرائن الأحوال.

وما نلاحظ من الأمثلة التي استدلت بها ابن رشيق في كتابه لمواضع الحذف المتعددة والمختلفة أنه تارة يجوز للشاعر الحذف في مواضع معينة وتارة أخرى يستقبح الحذف

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 270/2-271.

2- أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري، النكت في تغيير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، ضبطه ونصه، يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 283.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 273 / 2.

4- جلال الدين السيوطي (ن991هـ): عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، حققه سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، 1414 هـ، 1994م، ص 378.

في مواضع أخرى ومن دواعيه أن المتكلم أو الشاعر - كما يذكر ابن رشيق - أحيانا أن ترك الذكر أفصح من الذكر وأحيانا أخرى يرى أنه لا يجوز له أن يحذف في بعض المواضع لأنها قبيحة فلا يجد فيها فائدة للسامع، بذلك تظهر الجوانب التداولية في تحليل ابن رشيق مثلا إذا ذكر الحذف في حالات معينة وهو يستقبحها إذا نتج عنه كلام غث يستنكره السامع ولا يتقبله، وفي حالات أخرى يجيز للشاعر الحذف لأنه يحرك نفس السامع وذهنه ويجعله يحاول الوصول للمعنى المقصود حيث يعمل ذهنه في البحث عن المحذوف ويقف على أسباب حذفه.

ويلتقي موضوع الحذف وارتباطه بالسامع مع مفهوم الافتراض المسبق الذي يعد أحد المفاهيم التداولية المتعلقة بجوانب ضمنية من قوانين الخطاب الذي يتم بين أطراف العملية التواصلية وهو أمر يفترضه المتكلمون ويسبق تفوهم بالكلام تيقنا منهم بأن المستمعين عارفون لتلك المعارف والمعلومات السابقة مما يدفعهم إلى التفكير في الأمور التلميحية والمضامين المندرجة تحت هذا الخطاب، فالافتراض المسبق «مفهوم براجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة المعروفة مسبقا لدى المتكلم والمخاطب»⁽¹⁾. أي أن المتكلم أثناء إنتاجه للخطاب يجب أن يكون على دراية بأن السامع له علم وافتراض مسبق لما يقوله لنجاح العملية التخاطبية وذلك وفقا للمقام الوارد فيه.

1- شاهر (الحسن): علم الدلالة السيমানتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عما، الأردن، ط ، 2001، ص 176.

7-3- الإيجاز الإطناب:

يعرف الإيجاز بأنه «الحصول على المعنى من دون الالتفات إلى أصل اللفظ أو تكراره» ويعرفه السكاكي بأنه «أداء مقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط»⁽¹⁾.

وقد سئل ابن المقفع ما البلاغة؟ فقال: «اسم لمعان تجري في وجوه فمنها ما يكون في السكون، (...) فعامية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة» وقد علق ابن رشيق على ذلك قائلاً: «فهذا ابن المقفع جعل السكون بلاغة رغبة في الإيجاز»⁽²⁾. ويعبر آخر عن ذلك قائلاً: «البلاغة إجابة اللفظ وإشباع المعنى» وقال خلف الأحمر: «البلاغة لمحة دالة»⁽³⁾.

ونجد ابن رشيق في حده للإيجاز يستدل بقول الرماني (ت 386هـ) فيقول: الإيجاز عند الرماني على ضربين مطابق لفظة لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقولك: «سل أهل القرية» ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل: «وأسأل القرية» ونوع الإيجاز هنا هو الإيجاز بالحذف، وعبر عن الإيجاز بأن قال: هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، وقد استحسّن ابن رشيق هذا التعريف لقوله: «ونعم ما قال، إلا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة»⁽⁴⁾.

وعليه فإن قضية الحذف تراعي عدة عناصر تشكل في مجموعها حدثاً كلامياً والقصد من الحذف هنا:

- قدرة المخاطب على إدراك العنصر المحذوف ومغزى الحذف.

1- السكاكي: مقتراح العلوم، ص 277.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 243.

3- المصدر نفسه، 1/ 242.

4- المصدر نفسه، 1/ 250.

- قصد المتكلم من الحذف.
- الموقف الكلامي (السياق/المقام) الذي يجيز صحة التركيب الواقع فيه الحذف.
- عناصر التركيب الذي يقع فيه الحذف والعلاقة بين العنصر المحذوف والعناصر القائمة تركيبياً ودلالياً⁽¹⁾.
- وللايجاز أضرب مختلفة نذكر منها ما ورد عند ابن رشيق في كتابه.

7-3-1- المساواة:

فيقول فيه: «فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه بالمساواة ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر: (2)

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيُّ غَيْرَ شِيمَتِهِ إِنَّ التَّخَلْفَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقًا
وَلَا يُوَاتِيكَ فِيمَا تَاتِ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ فَانظُرْ بِمَنْ تَتَّقُ

وقد علق عليه ابن رشيق بقوله: هذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ولا معناه على لفظه شيئاً»⁽³⁾.

أي أن الأخلاق تنبت أخلاقاً مثلها، ولكن لا بد من مجاهدة النفس وترويضها على التخلق الحسن.

7-3-2- اعتدال الوزن:

يأتي ابن رشيق بمثال في هذا الضرب عن مساواة اللفظ مع المعنى فيقول: وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن.

1-ممدوح عبد الرحمن، من أصول التحويل في نحو العربية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999، ص ص 146-147.

2-البيت هكذا بشعرية في النوار 485 لأبي زيد، والكامل للميرد (16/1) منسوبا إلى سالم بن وابصة، ونسب للعرجي مركبا يبين يستبين هكذا:

يا أيها المتحلي غير شيمته ومن شمائله التبديل والملق
ارجع إلى خلق المعروف ديدته إن التخلق يأتي دونه الخلق

ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، 1/387.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/250.

إِنَّمَا الذَّفَاءُ هَمِّي فَلْيَدْعَنِي مِنْ يَلُومُ
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعًا حِينَ تَمْشِي وَتَقُومُ
أَصْلُ الْحَبْلِ لَتَرْضَى وَهِيَ لِلْحَبْلِ صَرُومُ

ثم قال: عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضله عن إقامة الوزن وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم⁽¹⁾. ويرى ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) "حد المساواة المحمودة هو إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يوضحه"⁽²⁾.

وحقيقة الأمر أن الإيجاز قضية متشعبة لارتباطها بمباحث لغوية وأدبية عديدة ولأنها «لا تتعلق بالقلة والكثرة في معناها الكمي الخالص، فالقليل من اللفظ والكثير من المعنى صفتان نوعيتان ترتبطان تحديدا بخصوصية العلاقة القائمة بين مكوني العلامة اللغوية، وهي علاقة يغذيها التضاد ويراد منها تحقيق معادلة صعبة لا تتأتى إلا للبالغ الخبير بطرائق استثمار الطاقة الإيحائية للغة ولولا أهمية الإيجاز بما هو قاعدة مركزية حاضنة لعلاقة اللفظ بالمعنى في تصور العرب للبلاغة النموذج، لما اهتم به الجاحظ بالغ الاهتمام ولما جعله قرين (البلاغة) في عنوان رسالته (البلاغة والإيجاز) فكان الإيجاز لديه من أبرز مرتكزات البلاغة»⁽³⁾.

وإذا نظرنا إلى التراث اللغوي العربي كما هو الحال عند ابن رشيق لوجدنا بروز ظاهرة الإيجاز بطرق مختلفة، والذي يكسب العبارة قوة في اللفظ والمعنى ويجنبها ثقل الاستطالة كل هذا يدل على البعد التداولي للإيجاز في رغبة المتكلم لإلفاتالسامع وجلبه ومراعاة حالته وظروفه المختلفة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

7-3-3 الاكتفاء: وهو الضرب الثاني مما ذكر (الرّماني) والمقصود بالاكتفاء هو «أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما ترابط وتلازم فيكتفي بأحدهما عن الآخر، مثل الآية

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 250-251.

2- أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الجلي (466هـ)، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت، لبنان، ط 1، 1982هـ، 140هـ، ص 217-2018.

3- أحمد الودرني: قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ص 789.

الكريمة التي ذكرت آنفا قال تعالى: ﴿وَسَعَلَ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾⁽¹⁾. وهنا يسمونه الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز، ومن أسباب الإضمار والحذف القصد إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الإقناع والتأثير؛ ذلك أنه يكون الإيجاز في الدليل اللغوي أبلغ أثرا في المستمع مما لو عمد المستدل إلى بسط دليhle بسطا لأن التلميح أوقع في النفس من التصريح ذلك أن المشاركة المطلوبة من المستمع في تقدير ما حذف من الدليل، تجعله يبدو وكأنه لم يحمل على النتيجة حملا وإنما وصل إليه بمحض إرادته أو من تلقاء نفسه، كما لو كانت قد ظهرت على يد مخاطبه⁽²⁾.

ويقول ابن رشيق وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽³⁾. كأنه قال: لكان هذا القرآن، فقد قال المشركون: لا نؤمن حتى يأتينا قرآنا تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى فرد الله عز وجل بقوله: «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، وحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه، وتقديره: لكان هذا القرآن الذي نزل عليكم، ولكن القرآن لم ينزل لأجل ذلك وإنما نزل لتلى آياته آناء الله وأطراف النهار، وليعرف العبد الحلال ويفرقه عن الحرام، فهو كتاب هداية وموعظة.

وعقب ابن رشيق بعد الآية المذكورة قائلا: «وإنما كان هذا معدودا من أنواع البلاغة، لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكل معلوم فهو هين، لكونه محصورا، ومن الأمثلة المذكورة في هذا الباب في كتاب العمدة عن الحذف والإيجاز قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

1- سورة يوسف، الآية 82.

2- ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1998م، ص 150.

3- سورة النحل، الآية 123.

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾⁽¹⁾. أي فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ وما استدل به ابن

رشيق في نفس الأسلوب وهو الإيجاز قول الأعرابي في صفة الذئب:⁽²⁾

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غِبَارَهُ فِي شِدْقِهِ شَفْرَتَهُ وَنَارُهُ.

فقوله في الشفرة والنار إيجاز مليح -حسب ابن رشيق- ومن الإيجاز البديع قوله عز

وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾⁽³⁾، ويقول في ذلك ابن رشيق

فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير وهي ما ترى من الإحكام والإيجاز، فهذه الآية الكريمة احتوت إيجاز القصر، حيث جمعت فيها مكارم الأخلاق بإيجاز واختصار وإحكام.

كما نجد ابن رشيق يستدل بأحاديث من النبي صلى الله عليه وسلم في باب الإيجاز وذلك لتأثره بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولأن أحاديثه اتصفت بالإيجاز وإبلاغ المعنى المراد منها، والرسول صلى الله عليه وسلم، كان يصف الكلام الموجز بأنه ذروة البلاغة فيبتعد عن الثثرة وكثرة الكلام، لأن الزيادة والإطالة في الكلام دون فائدة تعد إخلالا بمستوى الخطاب، لذلك قال: "أعطيت جوامع الكلم".

ومن الأحاديث التي جاء بها ابن رشيق في كتابه عن الإيجاز قول الرسول صلى الله عليه وسلم «كفى بالسلامة داء»⁽⁴⁾، ومعنى هذا الحديث أن الرجل إذا طالت به الحياة وامتد به العمر كان طول حياته ضعيفا في صحته وعاجزا عن القيام بأمره، ولقد يمتد به ذلك حتى يصير عاجزا عن القيام والعودة وتناول الطعام والشراب والاستمتاع بما يقع تحت بصره من دواعي السرور والفرح وجميع ملذات الحياة ومتعها، أفليس هذا داء لا

1-سورة آل عمران، الآية 106.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 252.

3-سورة الأعراف، الآية 199.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 253.

دواء له، إلا أن يستريح الجسم الفاني من متاعب الحياة ويذهب إلى ربه⁽¹⁾. هذا وإن دل على بلاغة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في الإيجاز والاختصار في اللفظ مع ما يتضمنه القول معنى كبير وفائدة عظيمة.

وما نستشفه مما سبق أنّ الإيجاز أحد أهم الموضوعات البلاغية التي تهتم بالسامع وموقفه من الخطاب، وتراعي أيضا المقامات المختلفة له وهو بذلك يشترك مع مجالات اللسانيات التداولية التي تتناول كل ما له علاقة بالسامع وموقفه وأحواله ومقامات الخطاب وطرائق إقناعه والتأثير فيه.

أما في مفهوم (الاتساع) الذي يعني الإطالة، وهو ظاهرة من الظواهر اللغوية ومعناها قدرة الشيء على التكرار إلى ما لا نهاية، ويقول فيه ابن رشيق في باب الاتساع: «وذلك أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ واتساع المعنى»⁽²⁾.

ومن الأمثلة التي أوردها في هذا الباب قول امرئ القيس:⁽³⁾

مَكْرٌ مَقْبَلٌ مُدْبِرٌ مَعًا كَحَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ

ويعلق ابن رشيق على هذا البيت قائلا: «فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلا مدبر، ثم قال أي: جميع ذلك فيه وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر جعله السيل من أعلى الجبل، فإذا انحطّ من عال كان شديد السرعة، فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه»⁽⁴⁾.

وذهب قوم إلى أنّ معنى قوله «كجلمود صخر حطّة السيل من عل، إنّما هو الصلابة، لأنّ الصخر عندهم كلّما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب.

1- محمد عبد المنعم الخفاجي، عبد العزيز شرف: البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجبل، بيروت، ط01، 1992م، ص ص 109-110.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 93.

3- مصطفى عبد الشافي: ديوان امرئ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 119.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 93.

ويرد حديته بقوله: قال بعض من فسره من المحدثين، إنما أراد الإفراط، فزعم أنه يرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً، فمثله بالجمود المنحدر من قمة الجبل، فإن ترى ظهره في النصبه على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك، ولعلّ هذا ما مرّ قط ببال امرئ القيس ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلدّه، ولا روعه»⁽¹⁾.

ومثل قول أبي نواس⁽²⁾ (من الطويل):

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ

فرغم من فسره أنه إنما قال: «وقل لي هي الخمر» ليلتذّ السمع بذكرها كما التذت العين برؤيتها، والأنف بشمتها، واليد بلمسها، والفهم بذوقها، ويقول ابن رشيق معلقاً على قول أبو نواس: «وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المذهب، ولا سلك هذا الشعب ولا أراه أراد إلا الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة، ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت.

وَلَا تَسْقِنِي سَرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ

ويروي «فقد أمكن الجهر فذهب إلى المجاهرة، وقلة المبالاة بالناس والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا اختلاف بين المسلمين فيها»⁽³⁾.

وما نستنتج من كلاهما (الإيجاز والانتساع) أنه لا بد من حضورهما أثناء الكلام وعلى المتكلم أن يعي تماماً أهميتهما في ذلك باعتبار أن الإيجاز والانتساع يُحتاج إليهما في جميع أنواع الكلام.

وقد ذكر ابن رشيق في باب القطع والطوال مواضع التي تحسن فيها الإطالة فيقول: «حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى، قال: سئل أبو عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطبل؟ فقال: نعم، ليسمع منها، قيل: فهل كانت توجز؟

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 93.

2- الصولي: ديوان أبي نواس، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ضبي، المملكة العربية المتحدة، ط01، 1431هـ-2010م، ص 96.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 93-94.

قال: نعم ليحفظ عنها، قال: وقال الخليل بن أحمد بطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ليختصر ليحفظ، وتستحب الإطالة عند الإعذار، والإنذار والترهيب والترغيب والإصلاح بين القبائل، كما فعل زهير، والحارث بن حلزة، ومن شاكلهما وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع، والطوال للمواقف والمشهورات»⁽¹⁾.

والمقصود من هذا القول أن المتكلم في كلامه عليه أن يراعي حالة السامع فتارة يطيل في الكلام ويكثر في شرحه والانتساع فيه ليفهمه ويوصل له المعنى بصورة واضحة دون تعب أو عناء في فهمه، وتارة يختصر ويوجز لكي يسهل حفظه وتذكره ويكون أبلغ عند الإيجاز دون الإطالة لا يشعر السامع بالملل ويجعله يعمل فكره في البحث عن المعنى المراد، كما ذكر مواضع التي تستحب فيها الإطالة.

على ما تم ذكره من قبل ابن رشيق في باب الإيجاز والانتساع أو الإطالة وما يترتب عليهما وما هي فوائدهما خاصة على السامع من إقناع وتأثير وفهم وإفهام ومراعاة المقام الذي يرد فيه الخطاب، نلاحظ هنا أنه تحقق شرط البعد التداولي وهو مراعاة ظروف السامع وأحواله والعمل على إفهامه والتأثير فيه بكل الوسائل والأساليب البلاغية.

4-7 ثنائية اللفظ والمعنى:

تحتل ثنائية اللفظ والمعنى الصدارة في دراسات الباحثين والدارسين قديما وحديثا على اختلاف بيئاتهم و مشاربهم ومعارفهم، وقد تعددت حولها النظريات وتضاربت حولها الآراء واختلفت بينها الدارسين في طرق معالجتها، حيث هيمنت على تفكير اللغويين والنحاة وشغلت الفقهاء والمتكلمين واستأثرت باهتمام البلاغيين المشتغلين بالنقد، نقد الشعر ونقد النثر، دع عنك المفسرين والشراح الذي تشكل العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع اهتمامهم العلني والصريح⁽²⁾، لتصح بذلك قضية اللفظ والمعنى محط أنظار المفكرين

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق ، 1/ 186.

2- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط02، 1991، ص 41.

باختلاف الأزمنة والأمكنة وهذا راجع بالأساس إلى خدمة النص القرآني ودراسته بغية الوصول إلى معانيه وتأويلها وتفسيرها وفهمها.

ومن الباحثين من جعل قضية اللفظ والمعنى من أولى قضايا البحث اللغوي في الدراسات اللغوية العامة، وهي من القضايا المهمة التي شغلت الفكر الإنساني لما لها من صلة وطيدة بوظيفة اللغة في الاتصال الإنساني⁽¹⁾.

كما نقل السبب والدافع الرئيسي وراء اهتمام الفقهاء والمفسرين وعلماء أصول الفقه بهذه القضية (ثنائية اللفظ والمعنى) «لما لها من أثر واضح في تبين أحكام الدين وفهم روح العقيدة فهما صحيحا، ومن ثم تجد كثيرا من كتب الفقهاء، والمفسرين تبدأ بدراسة اللفظ والمعنى وقد فضلوا الأمر في ذلك تفصيلا، وهذا شأن كثير من علماء المسلمين الذين يرون أن اللغة تتصل بجميع فروع المعرفة الإنسانية»⁽²⁾. وهذه هي طبيعة اللغة فهي تتصل بجميع أنواع النشاطات العقلية للبشر لأنها الأداة والوسيلة لكل هذا النشاط.

ولقد جاء مفهوم اللفظ في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) بمعنى: «اللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك والفعل لفظ الشيء، يقال: لفظت الشيء لفاضة... ولفظ بالشيء: يلفظ لفظا، تكلم وفي التنزيل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽³⁾ ولفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به، واللفظ واحد الألفاظ وهو في الأصل مصدر»⁽⁴⁾.

أمّا في المعنى الاصطلاحي للفظ يقول أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) وما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فهو صوت وإن اشتمل ولم يقدم معنى فهو لفظ، وإن أفاد

1- محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط.)، 2002م، ص 18.

2- المرجع نفسه، ص 18.

3- سورة ق، الآية 18.

4- ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسن الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.)، ماد (لفظ)، ج45، ص 405.

معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة، أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد ذلك من ثلاثة فكلم»⁽¹⁾.

ومن الطرف الآخر نجد المعنى اللغوي (للمعنى) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ): «عنى: العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على خضوع وذل والثالث ظهور شيء وبروزه.

فالأول من عنيت بالأمر وبالحاجة، قال ابن الأعرابي: عني بحاجتي وعني وغيره، قال أيضا ذلك، ويقال مثل ذلك: تعنيت أيضا، كل ذلك يقال - عناية وعنيا فأنا معنى به وعن به، قال الأصمعي، لا يقال عني، قال الفراء: رجل عان بأمرى أي معنى به، ومن الباب: عناني هذا الأمر ويعنيني عناية، وأنا معنى (به) واعتيت به وبأمره»⁽²⁾.

ويقول الجوهري (ت 292هـ) في صحاحه عنا فيهم فلان أسيرا يعنو وعني فيهم يعني: «أقام فيهم على إيساره واحتبس»⁽³⁾.

والمعنى الاصطلاحي لكلمة المعنى: «المعاني هي الصورة الذهنية من حيث وضع بازائها الألفاظ فالصورة الذهنية هي المجسمة في الذهن.

وما يخلص إليه من التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة أن اللفظ والمعنى لا يفترقان لأنهما يجتمعان معا في قالب اللغة «فاللغة صوت ومعنى وعلى النظرية اللغوية أن ترصد المبادئ والقواعد التي تتحكم في الربط بين الأصوات والمعاني، ولهذا نفترض النظرية اللغوية أن المتكلم، حين ينتج متواليات لغته ينطلق من تمثليين، تمثيل

1- أبو البقاء الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني) ت (1094هـ-1683م)، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1413هـ-1998م، ص 562.

2- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 4/ 146.

3- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 292هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، كانون الثاني/يناير، ط04، 1990م، مادة (عنا)، 6/ 2440.

صوتيوتمثيل دلالي، ويعكس التمثيل الصوتي الكيفية التي تؤدي بها الجملة صوتيا، ويعكس التمثيل الدلالي ما تفيده من معنى؛ فبهذا المعنى تعدّ النظرية اللغوية نسقا من المبادئ والقواعد النحوية التي تربط بين الصورة الصوتية والصورة الدلالية (أو المنطقية)، وبهذا يكون المشكل هو معرفة طريقة إسقاط المعاني فيما يقابلها من صور صوتية، وبعبارة استعارية. فإن على النظرية أن ترصد كيفية (امتلاء) الأصوات بالدلالات غير أن النظرية تحتاج قبل كل هذا أن تحدد طبيعة هذا الإسقاط وأشكاله وضوابطه»⁽¹⁾.

وقضية اللفظ والمعنى والعلاقة الوطيدة بينهما عدت من أهم القضايا النقدية التي احتواها كتاب العمدة، فقد بحث ابن رشيق في مسألة ثنائية اللفظ والمعنى عن طريق التشبيه فشبه اللفظ بالجسم والمعنى بالروح، وشبه ارتباط المعنى باللفظ بارتباط الروح بالجسم، وتبرز هذه الصلة في تأثر كل منهما بالطرف الآخر قوة وضعفا، حيث يقول ابن رشيق في تعريفه للفظ والمعنى: «اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والغور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح فإن اختل المعنى كله، وفسد بقى اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقض من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة»⁽²⁾.

1- محمد حسن حسن جيل: المعنى اللغوي (دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط02، 2009م، ص 64.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 124.

فقد أخذ ابن رشيق يشخص الحالات التي تظهر من هذه الصلة القوية، ففي حال سلامة المعنى على احتلال بعض اللفظ ينقص قدر الشعر في حال ضعف المعنى يضعف اللفظ تلقائياً، ونجد ابن رشيق يتحدث في هذا الباب عن بعض الآراء حول ما يؤثر اللفظ على المعنى فيقول:

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب:

منهم من يؤثر اللفظ على المعنى، فيجعله غايته ووكده، وهم فرق، قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع، كقول بشار: (1) (من الطويل)

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَقَطَّرَ الدِّمَا

وهذا النوع أدلّ على القوة وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت، ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها واغترف له الركافة واللين المفرط، كأبي العتاهية وعباس بن الأحنف، ومن تابعهما وهم يرون الغاية

قول أبي العتاهية:

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْهَوَى قَاتِلِي فَيَسْرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ عَاجِلٍ (2)
وَلَا تَلُومُوا فِي إِتْبَاعِ الْهَوَى فَإِنِّي فِي شُغْلِ شَاغِلٍ

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليل اجتمعوا يوماً فقال أبو نواس، لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسلم له وامتنع من الإنشاد بعده، وقال له: أما مع سهولة هذه

1- شرح ديوان بشار بن برد، شرحه ورتب قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 14.

2- ديوان أبي العتاهية: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 386. في ديوانه: فبشروا الأكفان من عاجل.

الألفاظ، وملاحظة هذا القصد، وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئاً، وذلك في باب من الغزل جيد أيضاً لا يفضلُه غيره⁽¹⁾.

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي، حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته، كابن الرومي وأبي الطيب⁽²⁾.

أما فيما يخص موقف ابن رشيق من هذا فقد ذهب مذهب الوسط، فاللفظ عنده بدون معنى جسد ميت، والمعنى دون اللفظ روح بلا جسد، وهذا ما قصده من التعريف الأول له للفظ والمعنى.

ما نلحظه ممّ سبق في اعتبار المتكلم، والمخاطب بانتقائه اللفظ القوي الذي يقصد منه المعنى الصريح والذي يفهم بذلك السامع أو المخاطب، وباعتبار كمال المعنى الموضوع له اللفظ ووضوحه والابتعاد عن الغموض، وها هو ابن رشيق يفضل اللفظ الذي يتضمن المعنى الواضح لأنه كالجسد الذي يحوي روحاً، وإذا كان اللفظ خالياً من المعنى فلا فائدة له في الخطاب، وهذا ما يتقاطع ويتلاقى مع اللسانيات التداولية التي تعنى باللغة أثناء الاستعمال فاللغة صوت ومعنى وهي بذلك تهتم بإفادة المخاطب وإفهامه من خلال مراعاة الألفاظ واحتوائها على المعنى الصريح والقصد والإفادة من هذا اللفظ كل هذا يصب في صميم اللسانيات التداولية فضلاً عن هذه السمات التداولية التي نلقينا مطروحة في البلاغة، نجد لابن رشيق تنظيرات تخدم البعد التداولي للغة وتطعمه وتضفي عليه القصد الذي هو محور الدراسة في اللسانيات التداولية، فبالإضافة إلى ما تحدثنا عنه آنفاً في ثنائية اللفظ والمعنى نجده أيضاً يتحدث في باب آخر من كتابه عن الإشراك الذي هو أساس العملية التواصلية التي يحجب للطرفين التتبه والفتنة لها.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 126.

2- المصدر نفسه، 1/ 124-126.

7-5- الاشتراك:

لقد تحدث ابن رشيق عن قضية الاشتراك اللفظي والمعنوي مع الاستناد لبعض من الأبيات الشعرية التي تتضمن هذا الأسلوب فيقول فيه: «وهو أنواع الأول منها: ما يكون في اللفظ ومنها ما يكون في المعنى، فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء فأحدها، أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد ومأخوذين من حد واحد فذلك اشتراك محمود، وهو التجنيس، والنوع الثاني، أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد كقول الفرزدق: (من الطويل)»⁽¹⁾.

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله «حي» تحمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي، وهذا الاشتراك اعتبره ابن رشيق مذموماً وأما المליح حسب نظره هو لكثير قوله يشيب⁽²⁾. (من الطويل):

لَعَمْرِي لَقَدْ حَبَبْتُ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ، وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنِتُّ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخَطَا، شَرُّ النِّسَاءِ

فالاشتراك هنا في (قصيرة) فأراد بالقصيرة المرأة المحجوبة في بيتها وليس القصيرة بالخلقة، فلما أحس بالاشتراك نفاه ووضحه في البيت الثاني⁽³⁾.

وثالثها: ويقع في سائر الألفاظ المبتدلة للكلم بها، لا يسمى تناولها سرقة ولا تناولها اتباعاً، لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر، فهي مباحة غير محظورة، إلا أن تدخلها استعارة أو تصحيحها قرينة تحدث فيها معنى أو تفيد فائدة، فهناك اللفظة وآتي بما يقوم مقامها⁽⁴⁾.

1- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1407هـ-1978، ص 66.

2- ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1391 هـ، 1971م، ص 369.

3- محمد محمود الحميداني، المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 39.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 97.

كاشتراك الشعراء في (قيد الأوابد) كقول الأسود بن يعفر (ت 22): من الطويل (1).

بمقلصٍ عتدٍ جهيرٍ شدّه قيد الأوابد والرهان جواد

وكقول امرئ القيس (80 ق هـ) من الطويل (2).

وقد أعتدي والطيرُ في وكناتها بمتجردٍ قيد الأوابد هيكل

الثاني: الاشتراك في المعاني وهو على نوعين: أحدهما: أن يشترك المعنيان، وتختلف

العبارة عنهما، فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن (3). كقول امرئ القيس (4).

كبكرِ المُقَانَاةِ البياضِ بصفرةٍ غذاها نميرُ الماء غيرَ محلّ

وقول غيلان ذي الرمة (117هـ) (5).

نَجْلَاءُ فِي بَرَجِ صَفْرَاءٍ فِي نَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مسّها ذهبٌ

فوصف امرئ القيس وذي الرمة لون البيان كالذي خالطه لصفرة فجعله امرؤ

القيس كلون بيضة النعام، وجعله ذو الرمة كلون الفضة قد مسّها الذهب (6).

وثانيهما: وهو على ضربين:

وما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار، والحسن بالشمس والقمر

والشجاع بالأسد وما شابهه والسخي بالغيث والبحر، والعزيمة بالسيف والسيول ونحو ذلك

لأنّ الناس كلهم الفصيح والأعجم والناطق والأبكم فيه سواء، لأننا نجد موكبا في الخليفة

أولا (7).

1- ديوان الأسود بن يعفر صنعه، نوري حمدي القيمي، وزارة الثقافة والأعلام، سلسلة كتب التراث، ص 31.

2- ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004 م، 1425 هـ، ص 19.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 98/2.

4- ديوان امرئ القيس، مرجع سابق، ص 16.

5- غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، صاحب الأصمعي، حققه: عبد

القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط02، 1982، 33/1.

6- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 98/2.

7- المصدر نفسه، 100/2.

والثاني: ما كان مخترعا، ثم كثيرا حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخرًا عن أول: نحو قولهم في صفة الخد "كالورد: وفي القد "كالغصن" وفي العين "كعين المهاة" من الوحش وفي العنق "كعنق الطبي" وكإبريق الفضة أو الذهب، فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعا، ثم تساوى فيه الناس، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة أو يخصه بقرينه، فيستوجب بها الانفراد من بينهم، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح والذكاء بشواظ النار»⁽¹⁾.

فدرس ابن رشيق في كتابه العمدة الاشتراك بتفصيل أدق مع تدعيم ذلك بالأمثلة والتوضيح أكثر من الذين سبقوه، وهذا يتضح من خلال تقسيمه الاشتراك لأنواع متعددة في اللفظ والمعنى، وتعدد اللفظ مع التنوع في المعنى بغرض الجلب والتأثير في المتلقي ومن خلال التقسيمات التي ذكرت سابقا للاشتراك اللفظي والمعنوي ولثنائية اللفظ والمعنى ندرك مدى تفتن المتكلم لمعاني الألفاظ والتنوع فيها ومعانيها المختلفة حسب المقامات والسياقات المتنوعة مراعاة بذلك فهم السامع ودرجة تقبله لهذا اللفظ ومدى فهمه واستيعابه له، واستخدام التشبيهات المختلفة للفظ الواحد تجلب السامع وتستهويه لأن يتنبه ويتقطن للمعاني المختلفة المراد بها من هذا اللفظ، فالمتكلم أو بالأخص الشاعر الذي يهتم به ابن رشيق يستلزم أن يتبع استراتيجية محكمة في انتقاء الألفاظ وفق معاني صريحة واضحة يفهمها السامع.

وعند هذا الحد لا ضير في القول، أن هناك ومضات تداولية نجدها في حيثيات هذا الطرح الذي قدم وأشار إليه ابن رشيق بالترتيب والتمثيل له فهي تعنى بالسامع بالدرجة الأولى والغاية من افهامه وتشويقه لسماع وفهم الشعر وما يوحي إليه بألفاظه الجزلة القوية ومعانيه الواضحة.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 100.

6-7 الاستطراد والتخلص والخروج:

يتضمن الاستطراد في أصله اللغوي لفظة (طرد) أكثر من معنى منها: الإبعاد يقال: أطرده السلطان إذا أمر بإخراجه ن بلده، ويأتي بمعنى الضمن: طردت الإبل طردا وطردا، أي: ضممتها من نواحيها⁽¹⁾ ويأتي أيضا بمعنى التتابع: اطرد الشيء، إذ اتبع بعضه بعضا وجرى واطرد الأمر: استقام واطردت الأشياء، إذا تبع بعضها بعضا واطرد الكلام إذا تتابع، واطرد الماء: إذا تتابع سيلانه، ويأتي بمعنى التجاوز، طردت القوم: إذا أتيت عليهم وجزتهم⁽²⁾ ويأتي بمعاني أخرى مثل الاجتذاب، يقال: استطراد له في الحرب إذا فر منه كيدا ثم كر عليه، فكأنه اجتذبه موضعه⁽³⁾.

أمّا في التعريف الاصطلاحي فقد جاء في بغية الإيضاح تلخيص المفتاح: ومنه الاستطراد، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني⁽⁴⁾. ويقول فيه ابن رشيق في كتابه العمدة الاستطراد: أن يبني الشاعر كلاما كثيرا على لفظة من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول وكأنه عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد زينة. وجل ما يأتي تشبيها⁽⁵⁾.

وتحدث أيضا عن الخروج يقول فيه: «وأما الخروج عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج إنما هو يخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتماذى فيما خرجت إليه كقول حبيب في المدح (من البسيط):

1- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ): الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 1407هـ-1987م، 2/ 501-502.

2- ابن منظور: لسان العرب (طرد)، 3/ 267-269.

3- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبي العباس (770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 2/ 370.

4- عبد المتعال الصعيدي (1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ-2005م، 4/ 24.

5- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 236.

صَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا، صَبَّ مِنْ كَثْبِ
عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرَّوْعِ مُنْتَقِمًا
سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي سَمَّتْهُ هَيْبَتُهُ
لَمَّا تَخَرَّمُ أَهْلَ الْأَرْضِ مُحْتَرَمًا⁽¹⁾.

ثم تمادى في المدح إلى آخر القصيدة.

ومن الناس من يسمي الخروج تخلصا وتوسلا وينشدون أبيانا منها: (بحر الطويل)

إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى وَأَطَاعَهُ
فَلَيْسَ بِهِ يَأْسٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ جُرْمٍ
وَلَوْ أَنْ جَرَّ مَا أَطْعَمُوا شَحْمَ جَفْرَةَ
لَبَانُوا بَطَانًا يَضْرَطُونَ مِنَ الشَّحْمِ⁽²⁾.

والتخلص ضرب من ضروب الخروج، يشمل الشعر والنثر، وهو من محاسن الكلام وأحد دعائم الارتباط بين أجزاء الكلام، ويقول ابن رشيق: «وأولى الشعر أن يسمى تخلصا ما تخلص فيه الشاعر معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه⁽³⁾».

كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر⁽⁴⁾ (من

الطويل):

وَكَفَكْتُ مِنِّْي عِبْرَةً فَرَدَدْتُهَا
إِلَى النَّحْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ
عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا
وَقُتُلْنَا لَمَّا أَصَحَّ وَالشَّيْبُ وَازْعُ؟!

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال: (من الطويل)

وَلَكِنَّهُمَا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ
مَكَانَ الشَّفَافِ تَبْنَعِيهِ الْأَصَابِعُ
وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ
أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالْصَّوَابِجُ

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال: (من الطويل)

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 234.

2- محمد بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبيدع، ص 288.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 237.

4- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط03، 1416هـ-1996م، ص 68.

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِنْ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاعُ
يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِي النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قِمَاقِعٌ⁽¹⁾.

وممّ سبق نستشف أن مفهوم الخروج عند ابن رشيق هو مفهوم التخلص عند أغلب النقاد والبلاغيين وليس الأمر كذلك، لأن التخلص يختلف عن الخروج، فالخروج لا يشترط به التدرج في الخروج من شيء لآخر، أما التخلص فيشترط غير ذلك، فهو كتخلص الغزل إذا التبس يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مخلصه.

وأما مفهومه للتخلص فهو مفهوم الاستطراد، لأنّ التخلّص لا يرجع فيه إلى الكلام الأول بل يستمر إلى ما تخلص إليه فهذا شرط من شروط الاستطراد لا التخلص.

وبسبب تسمية التخلص والاستطراد خروجاً أو حسن خروج يعود إلى أن بعض النقاد والبلاغيين أخذ المفهوم العام لكلا المصطلحين في الخروج من معنى إلى آخر مع أنهما مختلفان في الصورة، فالخروج مصطلح عام يضم أساليب عدة في التنقل من كلام إلى آخر ومنه التخلص والاستطراد⁽²⁾.

ومن أبرز التخريجات البلاغية التي تكشف لنا بعمق مدى اشتمال الأساليب المذكورة من استطراد وخروج وتخلص على طاقات تداولية، وذلك ما صدر عن ابن رشيق في كتابه "العمدة" في تعريفاته لهذه الأساليب، والأمثلة التي دعمتها بها حيث نفهم من خلالها ربط هذه الأساليب بالسامع ربطاً وثيقاً متصلاً بمبادئ تداولية صريحة واضحة، فالشاعر عند خروجه وانتقاله من معنى إلى آخر أو من أسلوب إلى أسلوب، فهو بذلك يراعي حال السامع ويوقظه للإصغاء إليه، ولكي يحسن من كلامه وشعره ولا يجعله يمل أو ينفر منه، فتوظيفه لهذه الأساليب واهتمامه بها وإدراجها في كتابه إنما يدل على بعد تداولي هائل مرتبط بالسامع ومراعاته من مختلف الجوانب المحيطة به، فالإتيان واتباع استراتيجية تنويعية من هذه الأساليب وتوظيفها في الخطاب أو الشعر تؤثر في السامع حيث تبعده عن الملل والضجر، فيأخذه من نشاط إلى آخر ومن حال إلى حال دون

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 237.

2- محمد نصيف جاسم الجبوري: الاستطراد في القرآن الكريم، المشرف: نزهة جعفر حسن الموسوي، أطروحة ماجستير، اختصاص: بلاغة، كلية التربية جامعة الموصل، العراق، 2003، ص ص 17-18.

أن يشعر، سواء أكان هذا الانتقال في الأسلوب أم في المعنى عن قصد كالتخلص أو غير قصد كالاستطراد، فالمتكلم وهو في إطار توظيف أسلوب الاستطراد وما شابهه إنما يشد فائدة وغرضا مما يجعل كلامه مطبوعا بطبعة تداولية بامتياز.

7-7 الفعل التأثري عند ابن رشيق:

لقد تجلت هذه الوظيفة في كتاب العمدة، لاستراتيجية ينتهجها المتكلم لتوجيه سلوك المتلقي حسب الوجهة التي يبتغيها، حيث يعد هذا الفعل الكلامي التأثري سببا مباشرا في توجيه المتلقي وإقناعه فيترك بذلك أثرا على المخاطب نفسيا لقبول قضية معينة أو رفضها انطلاقا من الاعتقادات السابقة والتصورات القبلية، وقد استعرض ابن رشيق للعديد من الأساليب اللغوية المختلفة التي يتبعها المتكلم والتي تعدّ استراتيجية حجاجية ونستعرض في هذا الجزء إلى أسلوب يعمل على تنشيط السامع أو القارئ ليوقظه من غفلته، لأن نفسية المتلقي دائما تحب التجديد، لاسيما إذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب مغاير فيعمل على لفت انتباه السامع واستمالته شريطة أن يكون هذا الأسلوب تعثريه الإبداعية في التعبير والانتقال وحسن الذوق، ففي تنوع الأساليب والكلام إفادة وتأثير في السامع ونورد هنا أهم الأساليب التي تحدث عنها ابن رشيق في كتابه "العمدة".

أسلوب الالتفات:

يعد أسلوب الالتفات أسلوبا معتمدا منذ القدم في العربية، سواء في الشعر أو النثر وقد وردت لهذا المصطلح عدة تعريفات من لدن علم البلاغة، ومن هذه التعريفات ما ذهب إليه الزركشي بقوله: «هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية واستدراارا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه»⁽¹⁾.

1- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، 3/ 314.

ويقول السكاكي: «واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا تختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل الالتفاتا عند علماء المعاني»⁽¹⁾.

كما أنه يعد من أضرب البلاغة العربية في تحسين اللفظ وإضفاء الرونق والجمال على الأسلوب، فقد تم تعريفه قديما وحديثا، حيث تحدث ابن رشيق عن الالتفات وجمع أحسن ما قاله الشعراء في محاسن الشعر وآدابه، ولكن ابن رشيق لم يأت بالجديد.

بل أشار بآراء وأقوال السابقين فيقول في تعريف الالتفات «هو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك حكاة قدامة، وسبيله أن يكون الشاعر آخذا في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول، إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول»⁽²⁾.

وما نفهمه من هذا التعريف هو أن الالتفات يأتي في الكلام بتغيير الأسلوب والانتقال من معنى إلى آخر مع الرجوع إليه دون الإخلال بالمعنى، ولهذا الأسلوب غرض بلاغي وهو إيقاظ السامع من الغفلة وتطريب أذنه وما يجدر التنبيه إليه في هذا الجانب أن ابن رشيق كان متأثرا بالكثير من الشعراء مستدلا بأبيات كثيرة منها في باب الالتفات كقول كثير⁽³⁾: (من الوافر)

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ

حيث يظهر الالتفات في هذا البيت في -وأنت منهم- وهو اعتراض كلام في كلام.

وقد أنشدوا في الالتفات لبعض العرب:⁽⁴⁾ (من الطويل):

فَظَلُّوا بِيَوْمٍ دَعَّ أَحَاكَ بِمِثْلِهِ - عَلَى مَشْرُوعٍ يَرُوي وَكَمَا يَصْرُدُ

1- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 199.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 237.

3- المصدر نفسه، 2/ 45.

4- المصدر نفسه، 2/ 45.

وهذا التفات مليح -حسب ابن رشيق- وذلك في قولك: دع أخاك بمثله، وهو اعتراض كلام في كلام ولم يتم معناه ثم يعود له فقيمه في بيت واحد. حيث حقق الالتفات في البيت الأول لـ: «كثير» ما يلي:

حمل المخاطب على الاتصاف بقضية معينة التي يدعو إليها المخاطب تدريجياً حيث يكون المخاطب غير معني في بادئ الأمر بموضوع الخطاب وثم يصبح مستهدفاً ويتحول الخطاب إليه وهنا العدول من الغيبة إلى الخطاب فهذا الانتقال من الغيبة إلى الحضور وتوجيه الخطاب إلى المخاطب ونلاحظ ذلك حتى في البيت الثاني مع «فظلوا يوم - دع أخاك بمثله - فالشاعر هنا بصدد توظيف فعل الأمر -دع- وهو خطاب موجه إلى المخاطب، فالانتقال كان من الغيبة إلى الحضور، وهو بهذا الأسلوب الذي تحدث عنه ابن رشيق ألا وهو الالتفات يتفق مع تصور بيرلمان وتيتيكاه (c. perelman & tyteca) للدور الحجاجي، التأثير الذي يقوم به هذا الأسلوب، وبالتالي فهي نقطة تلاقي مع اللسانيات التداولية في دور الالتفات في التأثير وتحسين اللفظ وتتميق الخطاب واستمالة السامع وهو أيضاً يحفل بالكثير من القيم والأهداف التداولية. وكذلك لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُخِجْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾⁽¹⁾ وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله: «أنه انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، حيث أن بداية الآية: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁽²⁾، فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يلاحظ أنها بدأت بمخاطبة الضمائر في قوله تعالى: (يسيركم - كنتم)، ثم تحول الأسلوب إلى الكلام عن الغائبين، وذلك في قوله تعالى: ((وَجَرَيْنَ بِهِم))، والأسلوب هنا أسلوب التفات، حيث انتقل في الكلام من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة، فانتقل بذلك من مقام الحضور إلى مقام الغيبة للدلالة

1-سورة يونس، الآية 22.

2-سورة يونس، الآية 22.

على التباعد، الوظيفة البلاغية في هذا الانتقال هي المبالغة، حيث يقول البيضاوي: «عدل عن الخطاب إلى الغيبة إلى المبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم»⁽¹⁾.

وقد تساءل الزمخشري عن الغرض في هذا الانتقال، حيث قال: فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح⁽²⁾.

وقال عوف بن ملم لعبد الله بن طاهر: (من السريع)

إِنَّ الثَّمَانِينَ بَلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

فقوله (وبلغتها) التفات، وقد عده جماعة من الناس تميمًا والالتفات أشكل وأولى بمعناه⁽³⁾.

وتحدث ابن رشيق عن أسرار بلاغة الالتفات فقال: «ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت وإن كان ضده في التحصيل، لأن الالتفات تأتي به عفوا وانتهازا ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك، ثم تصله بعد إن شئت والاستطراد تقصده في نفسك، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه»⁽⁴⁾.

وقد جاء مستدلا بمثال من الأشعار التي تتضمن الالتفات في آخر البيت مثل قول

امرئ القيس⁽⁵⁾. (من الوافر):

أَبَعَدَ الْحَارِثُ الْمَلِكُ بْنُ عَمْرٍو لَهُ مَلِكُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَانَ
مُجَاوِرَةَ بَنِي شَمْجِي بْنِ جَرْمٍ هَوَانًا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانَ

1- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت 691هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ص 449.

2- الزمخشري: الكشاف، 2/ 337.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 45.

4- المصدر نفسه، 2/ 45.

5- ديوان امرئ القيس، ضبطه: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 44.

وَيَمْنَحَهَا بَنِي شَمَجِي بْنِ جَرَمٍ مَعِيْزُهُمْ، حَنَانِكَ ذَا الْحَنَانِ التَّفَاتِ⁽¹⁾.

ونرى ابن رشيق في هذا الجانب يتذوق جمال الالتفات والنكته فيه ويحاول التفرقة بينه وبين ما يقارب بينه وبين غيره من الألوان الأخرى في معانيها.

8- تداولية الخطاب في ذاته عند ابن رشيق:

يقصد بالخطاب عند ابن رشيق الشعر لأنه أولى أهمية للشعر وبنية وإيقاعه ووزنه، والشعراء وكل ما له صلة بالشعر من أدوات بلاغية ومحسنات بدعية وأساليب بلاغية وغيرها فقد احتوى معظم كتابه العمدة على الشعر وما يتعلق به، فمن التعريفات التي جاء بها في حد الشعر عند ابن سيرين قال: «الشعر كلام عقد بالقوافي، فما حسن في الكلام حسن في الشعر، وكذلك ما قبح منه»⁽²⁾. أي أن الكلام فيه الحسن وفيه القبيح كذلك الشعر، ويتشترط في الذي يقول الشعر أن يتحلّى بالآداب والأخلاق، وصواب الرأي ومعرفة الأنساب»⁽³⁾.

كما يعظم من مكانة الشعر حيث قيل في كتابه "عمل الشعر الحاذق به أشد من نقل الصخر، ويقال: إن الشعر كالبحر أهون من أن يكون على الجاهل وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلة من نحو وغريب ومثل وفير وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات وكيف قاربوهم أو كانوا منهم بسبب»⁽⁴⁾.

هذا وإن دلّ على شيء فيدلّ على أهمية الشعر الكبرى فهو يعد من أرقى الفنون سواء من الناحية اللغوية أو العاطفية وهو الفن الوحيد الذي أبدعت فيه العرب وتميزت فيه أيما تميز.

والشعر حسب رؤية ابن رشيق لم يكن مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة وتدل على معنى إنما الشعر عنده «يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي: اللفظ والمعنى والقافية هذا

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 46.

2- المصدر نفسه، 1/ 30.

3- المصدر نفسه، 1/ 28.

4- المصدر نفسه، 1/ 117.

هو حد الشعر، لأن من الكلام موزونا ومقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي (صلى الله عليه وسلم)»⁽¹⁾.

ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن ابن رشيق مقارنة مع سابقه لم يبتعد كثيرا في حدّه لمفهوم الشعر وإنما أضاف القصد والنية وهو أساس تقوم عليه اللسانيات التداولية الحديثة في مفهوم القصدية حيث هي مفهوم إجرائي لاقى اهتماما كبيرا في اللسانيات التداولية، فنجد المتلفظ باللغة يعبر عن مكنوناته ومقاصده وبذلك يكون هو العنصر الحاضر في الخطاب، وبالتالي بواسطة يتحقق الإفهام، وعند رجوعنا إلى التعريف السابق لابن رشيق عن الشعر واشتراطه القصد والنية يجعلنا ندرك الفرق المقصود من وراء ذلك هو أنه يفرق بين الكلام الموزون والمقفى بنية القصد والكلام الموزون المقفى دون نية ولا قصد، فأحيانا نجد كلاما موزونا خاليا من القصد ولا يعبر عن أي إحساس عاطفي أو شعور نفسي، فهو إذا ليس شعرا، أما الكلام الذي يحتوي القصد والنية نجده يحمل في ثناياه الأحاسيس الشعرية، فيؤثر في المتلقي ويطرب أذنه عندما يستشعره.

فالشعر عند ابن رشيق لا بد وأن يركز على التأثير في النفس، وقد أعطى مثلا بالكلام الموزون من القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من أنه موزون ومنظوم ولكنه ليس شعرا.

وهذا يظهر لنا ثقافة ابن رشيق الإسلامية فهو ينفي صفة الشعر عن القرآن بالرغم من آياته المتوافقة مع الأوزان الشعرية، لذلك اشترط القصد والنية وهو على صواب في ذلك لأن الخصائص والسمات الشكلية ليست هي المحط الوحيد الذي يحدد ماهية الشعر بل لا بد من القصد والنية.

وفي حديثه عن القرآن الكريم الذي يضم في ثناياه المميزات المذكورة آنفا، يقول ابن رشيق: «كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق ، 1/ 119.

مما لم يطلق عليه أنه شعر، والمتزن: ما عرض على الوزن فقبله»⁽¹⁾. فقولته تعالى: ﴿كُن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

فإن الآية جاءت على وزن مجزوء الرمل المساغ بدون قصد، فعلى الرغم من أن هذا الكلام جاء موزوناً إلا أنه لا يمكن لنا أن نعتبره شعراً⁽³⁾.

والملاحظ أن ابن رشيق قد خالفه سابقوه في ترتيبه لعناصر الشعر بجعل القصد والنية في المقام الأول، تليه بعد ذلك العناصر الأخرى وهذا ما يدل على فطنة ابن رشيق ومدى استفادته من جميع التعريفات والآراء المختلفة التي قيلت قبله في حدها للشعر.

والاهتمام بقصد المتكلم هو صلب نظرية بول غرايس (Paul Grice) 1975م عندما افترض أن هناك مبدأ يقوم عليه الخطاب، ويؤسس لتفاعل طرفي الخطاب، وهو مبدأ التعاون Principe de coopération وقد وضع هذا الأخير هذا المبدأ ليضبط الجانب التبليغي بين المتخاطبين في العمليات الحوارية، ومقتضى مبدأ التعاون أن تكون إسهاماتك الحوارية بمقدار ما طلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه الإسهامات⁽⁴⁾. حيث وضع (غرايس Grice) أربعة قواعد يتوجب على المشاركين في الخطاب احترامها وتوظيفها وهي: الكم، والنوع، والكيف، والملاءمة.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 199-120.

2- سورة آل عمران، الآية 92.

3- شمس الدين محمد بن حسين المعروف بالنواجي، مقدمة في صناعة النظم والنثر، تح: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص 27-28.

4- searle j , logic and conversation trad, fr,(in) communication n30 ,1979,p45-46.

نقلا عن :بنوينيس عليوي: نظرية الملاءمة بين المقاربة التداولية والمقاربة التأويلية، شبكة الألوكة www.alukah.net، تاريخ الإضافة 2017/12/4م، 15/3/1439هـ.

خاتمة الفصل:

نخلص في الأخير إلى أن ابن رشيق في كتابه العمدة قد اهتم بجميع أركان العملية التواصلية بداية من المتكلم «الشاعر» والسامع والآداب التي تقتضي على المتكلم أي الشاعر أن يتحلى بها في تأدية شعره أو تأليفه أو إلقائه، والصياغة الكلامية بالإضافة إلى اهتمامه بالمقام والسياق الذي يرد فيه الشعر وذلك كله بهدف تحقيق الفرض التواصلية من هذه العملية ونجاحتها، فلقد حاول أن يوضح السبل التي تجعل من الشاعر مبدعا وعارفا للأساليب البلاغية ويقدم تعريفات ويستند إلى أمثلة سواء أكانت أبيات شعرية لكبار الشعراء أم من القرآن والحديث النبوي الشريف، ويبين أيضا للشاعر الاستراتيجية والأساليب التي يعتمدها ويضمنها في شعره كي يكون مقبولا مفهوما يحمل في طياته قصدا ومعنى، وبالتالي يراعي الشروط التداولية المتعلقة بالمتكلم والسامع والمقام، فيتحسن من قدرته التداولية ليصل إلى ذروة النجاح، كما راعى ابن رشيق حال السامع فقدم في باب آداب الشاعر ما على الشاعر التحلي به من آداب وأخلاق وإدراك لحالة السامع المختلفة النفسية والاجتماعية والثقافية و السوسولوجية، ونلاحظ أيضا أن هذا الأخير قد ركز على أهم مبدئين تقوم عليهما اللسانيات التداولية وهما الإفادة والقصود في العملية التخاطبية شعرا أم نثر، ولتبين الجوانب التداولية أكثر فسنحاول في الفصل الموالي رصد الأساليب الحجاجية عند ابن رشيق.

الفصل الثالث:

الأبعاد السردية في بلاغة ابن رجب و

في كتابه «العصرة»

1- خاصية الحجاج في الشعر العربي عند ابن رشيق:

الشعر بحر واسع لا يمكن حده، فقد تصادمت حوله الآراء والتعريفات التي قدمها القدماء فسعوا جاهدين في وضع حد له فقام كل واحد منهم بوضع تعريف أو أكثر كل حسب نظرتة ويقرون أكثر من حد وكأنهم يحاولون عبثاً تحديد فكرة لا تستجيب لسعيهم ولا تخضع لطرائقهم في حصر مفهوم موحد للشعر وكأن الشعر لا تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة والمنطلق على كتاب العمدة لابن رشيق سيجده كله تقريباً يتضمن آلية الحجاج من أول باب له إلى آخر باب سواء بطريقة مباشرة فيوظف لفظة الاحتجاج والحجة، ويحتج إلى غير ذلك مع الاستدلال بالبراهين والحجج، أو بطريقة غير مباشرة نجده في حديثه عن الشعر ودفاعه عنه وعن الشعراء وإبطال حجة المعارضين للشعر كما نلاحظه، في توظيف أبواب البلاغة وأساليبها وأدواتها فالكتاب يكاد يكون كله حجة يبين فيها قيمة ومكانة الشعر والشعراء وعن التفريق بينه وبين المنشور من الكلام وإضافة إلى ذلك آليات وعناصر أخرى مثل: القصد والنية والمقام والسياق والآليات البلاغية.

وبالرجوع إلى كتاب العمدة نجده يحتج على الذين يقولون بأنّ القرآن شعر، فيقول: «ولعلّ بعض الكتاب المنتصرين للنثر، الطاعنين على الشعر، يحتجّ بأنّ القرآن كلام الله تعالى منثور، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وترى قد أبلغ في الحجة وبلغ في الحاجة، والذي عليه فيذلك أكثر ممّا له، لأنّ الله تعالى إنّما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك، حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة، آية للنبوة، وحجة على الخلق، وإعجازاً للمتماطين جعله منشوراً ليكون أظهر برهانا لفضله على الشعر»⁽¹⁾. فكما أنّ القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة المترسلين ليس بترسل وإعجازه للشعراء أشد برهانا، ألا ترى كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم لما غلبوا وتبين عجزهم؟ فقالوا:

¹ - القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 20-21.

هو شاعر، لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته، وأنه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك، فمن هنا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ^١ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

ويشرح ابن رشيق هذا القول من الآية الكريمة دفاعا له عن القرآن الكريم وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وادحاضا للقائلين بأنه شعر وأنه شاعر، فيقول مردفا الآية الكريمة السابقة، «لتقوم عليكم الحجة ويصح قبلكم الدليل، ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال: «معناه ما الذي علمناه شعرا وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعرا، وقال غيره: أرادوا وما ينبغي له أن يبلغ عنا ما لم تعلمه أي: ليس هو ممن يفعل ذلك، لأمانته ومشهور وصدقه» (2).

للتبيين بالحجة الدامغة، المذكورة سابقا والبرهنة على أن الرسول ليس بشاعر ولا ينبغي له أن يكون كذلك يقول ابن رشيق: «ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضا من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفى على أحد» (3).

وفي هذا الصدد يظهر لنا أن ابن رشيق يدافع بكل صدق لحبه للقرآن والرسول لتأكيد صحة أن القرآن ليس شعرا وأن الرسول ليس بشاعر وكل هذا الشرح والاستدلال للإقناع والتأثير في المتلقي.

أمّا في مسألة الشعر والنثر نجد ابن رشيق يمهد لموضوعه بالحديث عنهما من خلال كتاب أسماه (فضل الشعر) واستهل لذلك بأن الكلام قسمان يقول: «كلام العرب نوعان، منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة وريئة فإذا انفقت

1- سورة يس: الآية 69.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 21.

3- المصدر نفسه، 21/1.

الطبقات في القدر وتساوتا في القيمة، ولم يكن لاحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة»⁽¹⁾.

ونفهم من هذا الكلام أنّ ابن رشيق يرى أن: النثر الجيد أفضل من الشعر المتوسط، وأن النثر المتوسط المقبول هو أفضل في الواقع من الشعر السيء الرديء ومن خلال هذا التحديد يتبين لنا ميوله تجاه الشعر وأفضليته على النثر محكما على ذلك كونه شاعرا وصاحب ديوان ولكي يجلب القارئ ويستهو به ويؤثر فيه.

نجده لا يعترف أو يحدد لموضوع ما، بل يضرب له بالأمثلة وخاصة في موضوع الشعر كل ذلك غرض الإقناع، واعتماد ابن رشيق ذلك يجعلنا نتنبه إلى فكرة الحجاج والذي هدفه الرئيسي الإقناع والتأثير في المتلقي.

والملاحظ أيضا في كتاب ابن رشيق أنه يوظف خاصية الحجاج إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وما نجده في باب «في الردّ على من يكره الشعر» في كتابه يطبق آلية الحجاج بأسلوب مباشر في دفاعه عن الشعر وردّه على الذين يكرهون الشعر فيقول: «روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه» وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنّما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب»⁽²⁾.

هذا يعني أن الكلام وجهان خبيث وطيب وبما أن الشعر كلام فهو أيضا خبيث وطيب وعلى السامع أن يأخذ بالطيب ويرك الخبيث، ويقدم ابن رشيق الأدلة على أن الشعر حسن وكلام جزل، وهو ميزان الكلام والقول، فيقول: روي عن عائشة يرفعه، قال: قال رسول

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 12.

2- المصدر نفسه، 1/ 27.

الله صلى الله عليه وسلم: «الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من بينها»⁽¹⁾.

وأشده ابن عائشة قول أعشى بني قيس بن ثعلبة⁽²⁾.

قَدَدْتُكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا قَابِشٍ، وَالشَّيْءُ، حَيْثُ مَا جُعِلَا

وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا يُنْزِلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَّأَ

وقال معاوية رحمه الله: يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب وقال: اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين⁽³⁾.

وكان ابن عباس يقول: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أشد فيه شعرا»⁽⁴⁾.

أما في الردّ على حجّة من يكره الشعر فقد أورده ابن رشيق جزءا مخصصا يقول فيه: «فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾⁽⁵⁾ الْمَرَّتَ

أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾⁽⁵⁾. فهو غلط وسوء

تأويل، لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء، ومسوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل نية عليهم فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 28.

2- ديوان الأعشى ص 175: ينظر: ابن رشيق، المصدر نفسه، 1/ 28.

3- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 29.

4- المصدر نفسه، 1/ 30.

5- سورة الشعراء: الآية، 224-226.

الصَّلِحَتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا¹ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١٧٧﴾⁽¹⁾. يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له⁽²⁾.

وابن رشيق يحاول جاهدا في هذا الموقف ايجاد المبررات والحجج ليدافع عن الشعر والشعراء والرسول صلى الله عليه وسلم.

والمتتبع والفاحص لكتاب العمدة يجد ظاهرة الحجاج بارزة بقوة في كل المسائل والقضايا التي يطرحها سواء المتعلقة بالشعر ودفاعه عنه وعن الشعراء أو حول قضايا بلاغية والمذكورة بالتفصيل في كتابه.

2- البعد التداولي لعلم البيان عند ابن رشيق:

جاء في المعجم الوسيط تعريف البيان: «الحجة والمنطق الفصيح والكلام يكشف عن حقيقة حال، أو يحمل فيطياته بلاغا وعلماء يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من تشبيهه ومجاز وكناية»⁽³⁾.

إذا كان الكلام بليغا بيّنا واضحا ويكشف عن حقيقة حال يورد معنى محدّدا فنقول عنه كلام بليغ أو بين، فالبيان تأدية المعنى المراد منه، وإن كان بطرق مختلفة كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وغيرها، شريطة أن يؤدي الإفهام والتبيان وإن لم يكن كذلك فلا يعتبر بليغا.

وجاء تعريف البيان أيضا عند عبد الله البستاني فيقول: «الفصاحة واللسن والإفصاح مع ذكاء وإظهار المقصود بأبلغ لفظ والكشف والظهور»⁽⁴⁾. والمقصود من هذا

1- سورة الشعراء، الآية 227.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 31.

3- المعجم الوسيط: مجمع اللغة المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425هـ، 2004م، مادة (بين)، ص 80.

4- عبد الله البستاني: البستان، مكتبة لبنان، مادة (بين)، لبنان، ط01، 1992، ص 100.

القول هو إظهار المقصود من الكلام بأبلغ صورة وإظهار المعنى بطريقة أوضح للبين دون التقييد والإفصاح مع حسن وذكاء، فبذلك يعتبره صاحب هذا الكلام فصيحاً وبيّناً.

أمّا في المعنى الاصطلاحي، فيعرّفه الجاحظ بقوله: «التبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهناك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصولة كائن ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل»⁽¹⁾.

معنى هذا أن البيان هو تأدية المعنى وإيضاحه إلى المستمعين حتى ولو كان بطرق مختلفة وأساليب متعددة، فالمهم في هذا الأخير هو إبلاغ الحقيقة وإيصالها إلى السامع والتأثير فيه بطرق تعبيرية مختلفة.

ويعرّفه السكاكي أيضاً بأنه «معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»⁽²⁾. ومن هذا التعريف يورد لنا السكاكي الشروط التي تضمن مطابقة الكلام بمقتضى الظاهر وقصد المتكلم وتبينه للمعنى المراد ولو كان بطرق مختلفة، وهذا ما ذهب إليه - كما لاحظنا سابقاً - الجاحظ في تعريفه لعلم البيان.

كما أورد ابن رشيق في كتابه العمدة تعريفاً لأبي الحسن الرماني للبيان فيقول: «هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة، لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء».

وقال: البيان: «الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان»⁽³⁾. ويرمي هذا التعريف

1- أبي عثمان عمرو بن الجاحظ: البيان والتبيين، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 7، 1418هـ / 1998م، 1/ 76.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 249.

3- الفيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 254.

لبعد تداولي بامتياز وهو الإفهام والإبانة والإيضاح في الكلام بالابتعاد عن التعقيد والغموض لاستمالة السامع والتأثير فيه ونجاح العملية التخاطبية.

وقد حاول ابن رشيق في البيان: «وقد مرّ بي في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحا وذاما، وهو من جيد البيان عندهم، وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا»⁽¹⁾.

أي أنّ البيان يعمل عمل السحر فاجتماع الفصاحة والبلاغة في اللسان، إنما تشبه السحر لحدة عمله في السامع وسرعة قبول القلب له وتقلبه، كذلك يعمل البيان في التأثير على سامعه، واستمالة القلوب والعجز في الاتيان بمثله وقال ابن رشيق في البيان الموجز هو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِ اللَّأَلْبِبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽²⁾. ولقد جاءت هذه الآية في باب الإيجاز والاختصار فلفظها يسير ولكن معناها كبير وليس فيها تكرار؛ فكلمة القصاص هنا تدل على المعادلة والمساواة فهي أفضل من القتل لأنها تنفر منها النفوس وكلمة الحياة الواردة في الآية أقرب إلى النفوس المؤمنة من لفظة القتل، وقوله في الإعراب عن صفتة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾⁽³⁾. فبين تعالى أنه واحد لا ثاني معه، وأنه صمد، لا جوف له، وقيل: الصمد السيد الذي يصمد إليه في الأمور كلها، ولا يعدل عنه، وقيل: العالي المرتفع، وأنه غير والد ولا مولود، وأنه لا شبه له ولا مثل - وقيل: إنّ الكفو ههنا صاحبة تعالى الله، وإنما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

-1

-2 سورة البقرة، الآية 179.

-3 سورة الإخلاص، الآية (من 1-4).

ذلك وقال: لو سألتموني أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك، فبينما هو كذلك إذ هبط عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد (قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)⁽¹⁾.

وقال أبو بكر رضي الله عنه في بعض مقاماته: «وليت أموركم ولست بخيركم، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم» يقول فيه ابن رشيق فقد بلغ بهذه الألفاظ الموجزة غاية البيان⁽²⁾.

وقد قال ابن رشيق في حديثه عن أهمية البيان واستدلاله بالكثير من الأمثلة المتنوعة: «وهذا قليل من كثير يستدل به عليه، ولو نقصت ما وقع من ألفاظ التابعين وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام، لأفنيت العمر دون ذلك»³.

وقد استقرغ أبو عثمان الجاحظ -وهو علامة وقته- الجهد وضع كتابا لا يبلغ جودة وفضلا، ثم ما ادعى إحاطة بهذا الفن لكثرتة وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل. وحديث ابن رشيق عن علم البيان وفائدته في إيراد المعنى وإفهامه للسامع وإيضاحه للكلام بلغة فصيحة بليغة بعيدة عن التعقيد صورة جلية وبطرق مختلفة، تبين لنا الغرض التداولي عند هذا الأخير من البيان، فهو مرهون بالإفهام والإيضاح والإبلاغ للسامع والتأثير فيه.

لقد أورد ابن رشيق في كتابه مجموعة من الأساليب البلاغية الواردة في علم البيان والتي يحاول الكشف عن جوانبها التداولية متبعين نفس الترتيب الذي جاء به ابن رشيق في كتابه:

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 255.

2- المصدر نفسه، 1/ 256.

3- المصدر نفسه، 1/ 256.

2-1-1- المجاز:

2-1-1-1- المجاز لغة واصطلاحاً:

المجاز لغة: من جاز الطريق وجاز الموضع جوازا ومجازا سار فيه وسلكه⁽¹⁾. فالمجاز لغة الانتقال من مكان إلى آخر، هذا المعنى هو الذي أخذه البلاغيون واستعملوه للدلالة على انتقال الألفاظ من معنى لآخر⁽²⁾.

أما اصطلاحاً، فيعرفه السكاكي بأنه «الكلمة المستعملة في غيرها هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها الأصلي»⁽³⁾.

أي أنّ الكلمة تستعمل في غير موضعها الأصلي مع وجود قرينة دالة عليها وتكون وسيلة لإيصال المعنى المقصود (المعنى المجازي) إلى السامع.

ويعرفه ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة «معنى المجاز طريق القول ومأخذه وهو مصدر "جزت مجازاً" كما يقول «قمت مقاماً» وقلت مقالا، حكى ذلك الحاتمي، ومن كلام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة في المجاز قال، لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلاً، لأننا نقول: نَبَتَ البَقْلُ وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر، وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا والفعل لم يكن وإنما يكون، وتقول: كان الله، وكان بمعنى حدث والله قبل كل شيء، وقال في قول الله عز وجل: ﴿فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ^ط قَالَ لَوْ

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة "جوز"، تحقيق، عدي الله علي الكبير وآخرين، دت، دار المعارف، القاهرة، 1/724.

2- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، طبعة جديدة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2000م، ص 589.

3- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 468.

شِئْتَ لَتَحَذَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴿١﴾. لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا
انهيار؟ لم يجد بداً من أن يقول: يهم أن ينقض أو يكاد أو يقارب فإن فعل فقد جعله فاعلا
ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من أسنة العجم إلا يمثل هذه الألفاظ»⁽²⁾.

ولقد أوضح ابن رشيق الوظيفة النفسية للمجاز عند قوله «المجاز في كثير من
الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع
الألفاظ لم يكن محالا محضا فهو مجاز لاحتماله وجود التأويل»⁽³⁾.

وترجع هذه القوة التأثيرية في السامع والتي يؤديها المجاز إلى عدة وظائف منها
الوظيفة الحجاجية، أي أنه يخاطب ذهن السامع كما يخاطب أحاسيسه وانفعالاته النفسية
وذلك عند قوله: «أحسن موقعا في القلوب والأسماع»⁽⁴⁾.

ومن الأمثلة التي استدلت بها ابن رشيق في باب المجاز قول الله عز وجل إخبارا
عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه: «يا أيها الناس علمنا منطلق الطير» وإنما
الحيوان الناطق الإنس والجن والملائكة، فأما الطير فلا، ولكنه مجاز مليح واتساع وهذا
أكثر من أن يحصره أحد.

ونلني من الأمثلة التي اعتمدها في هذا الصدد، قول العنابي: (من البسيط):

يَا لَيْلَةَ لِي بِجَوَارِينِ سَاهِرَةً حَتَّى تَكَلَّمَ فِي الصُّبْحِ الْعَصَافِيرُ⁽⁵⁾.

1- سورة الكهف، الآية 77.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 266.

3- المصدر نفسه، 1/ 266.

4- المصدر نفسه، 1/ 266.

5- أبي عثمان عمرو بن الجاحظ (150-255هـ): الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي
الحلي وأولاده، مصر، ط 1، 1362هـ، 1943م، 5/ 223.

فجعل الليلة ساهرة على المجاز، وإنما يسهر فيها، وجعل للعصافير كلاماً ولا كلام لها على الحقيقة⁽¹⁾.

ولقد اعتبر ابن رشيق التشبيه من المجاز فيقول: «وأما كون التشبيه تحت المجاز فلأنّ المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح، لا على الحقيقة»⁽²⁾.

كما أدرج ضمن هذا الباب الكتابة وأراد فيها بقوله عز وجل، اخباراً عيسى ومريم عليهما السلام ﴿﴾⁽³⁾.

كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان وكناية عن قضاء الحاجة وقوله تعالى عن آدم وحواء صلى الله عليهما: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيَا حَمَلًا خَفِيًّا فَامْرَأَتُ بِهِ فَلَئِمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁴⁾. كناية عن الجماع، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكَ والقوارير» كناية عن النساء لضعف عزائمهن⁽⁵⁾. وعند هذا الحد، لا ضير في القول أن هناك العديد من الومضات التداولية التي نجدها جلية في حيثيات ابن رشيق في حديثه عن المجاز، وما اندرج ضمنه من كناية، فنلحظ من خلال ما سبق خاصيتين اثنتين من مفهومه للمجاز والكتابة.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 266.

2- المصدر نفسه، 1/ 268.

3- سورة المائدة، الآية 75.

4- سورة الأعراف، الآية 189.

5- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 268.

-الخاصية الأولى:

تفضيل ابن رشيق المجاز على حساب اللفظ الأصلي أو الحقيقة وأنها أبلغ منها في تقديم المعنى في صورة أبلغ إلى ذهن السامع وذلك راجع إلى تفتنه إلى استعمال المجاز في العبارات حيث جعل اللغة تتجرد من معناها الأصلي وتنتقل إلى معنى جديد لحظة جديدة لم تكن متداولة من قبل، وهو السبب الرئيسي في تأثر المتلقي بها فبأخذه إلى الاقتناع بالفكرة على عكس استعماله للألفاظ في زيها الحقيقي والأصلي فإذا كان انتقاء المجاز وتوظيفه يجعل المتلقي يعيش نوعاً من الحنين لمثل هذه العبارات والألفاظ التي تزين المعنى وتجعله في صورة أفضل مما هي عليه في الأصل فيجعل السامع يفك الشفرات ويبحث عن المعنى المقصود من وراء هذه الألفاظ فيؤدي ذلك إلى إعمال ذهنه للوصول إلى الغرض المنشود.

يفتح أفق التأويل الذي تحدث عنه ابن رشيق سابقاً في مفهومه للمجاز.

الخاصية الثانية:

التنبية إلى الأبعاد التلميحية والإيحائية للكناية ومقارنتها مع الاستعمال الحرفي للعبارات وهو ما يصب ضمن الأسس التداولية في الخطاب على أساس أن هذه العبارات تحمل تضمينات وإيحاءات، نجدتها في ثنايا البحث التداولي وبخاصة عند العلماء والباحثين التداوليين التي تدور أبحاثهم ودراساتهم مثل الباحثة (أركيوني) حول المجازات اللفظية وما تحمله في مكنوناتها من قيم تداولية مثل: التضمينات LES SOUS ENTENDUS⁽¹⁾.

1- ينظر: أوزوالد ديكر، وجان ماري شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2، 2007م، ص 530.

وعلى هذا المنطق نلفي اللسانيات الحديثة تولى أهمية قصوى للبلاغة وصورها المجازية لأنها تؤدي دوراً مهماً في إثراء الحجاج.

2-2- الاستعارة:

الاستعارة فن من فنون البلاغة العربية وهي الضرب الثاني من المجاز وقد عرفها الجرجاني بقوله: «أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حيث وضع تم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية»⁽¹⁾. ويعرفها أيضاً بأنها «ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء»⁽²⁾.

والقول بعلاقة «الادعاء يحقق علاقة التشابه التي تقوم عليها الدلالة الاستعارية والتي تربط بين المعنى الحرفي (المعنى الظاهر) والمعنى المضمر»⁽³⁾.

ونلفي ابن رشيق ينظر إلى الاستعارة نظرة خاصة حيث يعتبرها أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موقعها⁽⁴⁾. والناس مختلفون فيها: منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه» والمقصود من تعريف ابن رشيق للاستعارة أنه يوجب عدم الإيغال والتعمق في الاستعارة والبعد بين المستعار منه والمستعار له كي لا يؤدي ذلك إلى تنافر بينهما وهي من أساليب التوسع في الكلام والتفنن فيه، مضيفاً إلى ذلك ملامح الاستدلال، بما فيه من التشبيه والتخييل وروعة التمثيل والاستعارة نوع من المبالغة، فهي تقرب المعنى

1- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: أسرار البلاغة قراءة وعلق عليه، أبو فهد محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، ص 30.

2- أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه أبو فهد محمود شاكر، مطبعة المدني، دار المدني جدة، القاهرة، ص 437.

3- ينظر: طه عبد الرحمن: الاستعارة بين حسان المنطق ونظرية الحجاج مجلة المناظرة، العدد (04) السنة الثانية، الرباط، المغرب، سؤال 1411هـ، وما به 1991م، ص 67.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 268.

وتوضحه إلى قلب وعقل السامع وتزيد العبارات جمالا وتكسوها روعة في التصوير والتخييل.

وفي هذا السياق يورد ابن رشيق مثالا لكشف اللثام عن هذه القضية وهو قول ذو الرمة: (من الطويل):

أَقَامَتْ بِهَيْحَى نَوَى الْعُودُ وَالتَّوَى وَسَاقَ الثَّرِيَّا فِي مُلَاعَتِهِ الْفَجْرُ⁽¹⁾.

ويعلق عليه ابن رشيق بقوله: «الاستعارة أن يستعار للشئ ما ليس منه ولا إليه وما يقرب منه ويليق به»⁽²⁾.

ومثال ذلك أن استعار ذو الرمة للفجر ملاءة ولا علاقة بين الفجر والملاءة التي ترتبط بالإنسان وبعض المتعقبين يرون أن هذا النوع من ذي الرمة ناقص الاستعارة إذا كان محمولا على التشبيه، ولكن ابن رشيق يعكس ذلك بقوله السابق والقصد: أن يجعل المتكلم في استعارته ما يساعد المتلقي على الوصول إلى المعنى المراد وهذا المعين هو القرائن وإن لم يصرح بها ابن رشيق إلا أنه أشار إليها.

وقد استدلل ابن رشيق في حده للاستعارة بمفهوم الجرجاني لها بقوله: الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»⁽³⁾.

ويظهر من هذا التعريف كل الجوانب المرتبطة بالاستعارة سواء المتعلقة بالمستعار أو بالمستعار منه أو بالعلاقة بينهما، وتغيير المعنى الذي وضعت له في الأصل مع تقريب

1- ديوان ذي الرمة، ص 207، ينظر: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزردى، اللغة، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 216.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 269.

3- المصدر نفسه، 1/ 269.

المزج بين اللفظ والمعنى حتى لا يشعر السامع بالمنافرة بينهما ولا يظهر ذلك، ويضيف مفهوما لابن جني، فيقول: الاستعارة لا تكون بالمبالغة وإلا فهي ضعيفة، وقال في شرح بيت أبي الطيب: (من الطويل)

فَتَى يَمَلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً وَبَادِرَةً أَحْيَانًا يَرْضَى وَيَغْضَبُ⁽¹⁾.

ويعلق ابن رشيق على مفهوم ابن جني فيقول: «وكلام ابن جني أيضا حسن في موضعه، لأنّ الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة، إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر، ولا أن يقر بها كثيرا حتى يحقق، ولكن خير الأمور أوسطها»⁽²⁾. وقد استدل بمثال في هذا السياق لكثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق: (من الكامل):

وَقَدْ لَبِسَتْ لَبْسَ الْهَلُوكِ ثِيَابَهَا وَأَبَدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمِعْصَمِ⁽³⁾.

وَتَرْمَقُ أَحْيَانًا بَعِينَ مَرِيضَةً وَتَبَسُّمُ عَنْ مِثَالِ الْجُمَانِ الْمُنْظَمِ

ويقول فيه ابن رشيق: «وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض وشبهه المبسم بالجمان، وقد عده ابن رشيق إفراط غير جيد ههنا»⁽⁴⁾.

ويورد أيضا تعريفا آخر للاستعارة من قول أبو الحسن الرماني «الاستعارة استعمال العبارة ما وضعت له في أصل اللغة، وذكر قول الحجاج «إني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها»⁽⁵⁾.

1- أبي البقاء عبد الله العكبري البغدادي: ديوان أبي الطيب المتنبي، ضبط نصوصه، عمر فاروق الطباع، ج 1، دار الأرقم، ط 1، 1418هـ، 1997م، ص 177.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/271.

3- ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1391هـ، 1974م، ص 335.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/271.

5- المصدر نفسه، 1/271.

ومما يدل على أنّ الاستعارة ذات بعد تداولي أنها تعبير عن أحاسيس دقيقة تؤثر في نفس المتلقي فبلغه جليبه واضحة ويحصل بذلك الإعجاب والاقناع.

فالاستعارة -حسب ابن رشيق- تعبّر عن الواقع الذي يعيشه المتكلم أكثر من الحقيقة لأنها تبلغ الهدف الذي يبحث عنه المتكلم ويريده من التعبير عن مكوناته فهي تجعله يعمل فكره لكي يصل إلى المعنى المقصود من وراء هذه الاستعارات، هذا ما يصب في فحوى جانب الحجاج التداولي؛ لأن حجاجية الاستعارة تحدث التغيير في الموقف الفكري والعاطفي والانفعالي للمتلقي فهي لا تسمح له بأن يشارك المتكلم الأفكار التي يدعيها فقط وإنما تتعداها لأن يشاركه انفعاله وأحاسيسه، فالاستعارة تمكين للمعنى في نفس المتلقي قصد اقناعه والتأثير فيه»⁽¹⁾. وابن رشيق يوافق التعريفات التي أوردها هذا الباب فهو يميز بين الاستعمال الأصلي والحرفي للعبارة وبين استعمالها على غير ما وضعت له أي الاستعمال التداولي.

وهذه الرؤية جاءت وفق دراسة الاستعارة وفق منحى تداولي أو من هنا جاءت فكرة (سيرل) للاستعارة من خلال تمييزه بين الاستعمال الحرفي (المعنى النحوي) والاستعمال غير الأصلي (التداولي)، ويمضي (سيرل) في تقسيم المنطوق الاستعاري منطلقاً من هذا التمييز إلى ثلاثة أنواع:

أ- المنطوق الاستعاري البسيط: وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة، وتمثل المقصود المجازي، أو قصد المتكلم.

ب- المنطوق الاستعاري غير المحدد: وهو يتسم باتساع مجال المعاني التي يحملها المنطوق الاستعاري، إذ لا يتحدد المضمّر هنا في كلمة واحدة بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يحملها البعد المجازي الاستعاري.

1- ينظر: لوشن دلال ولحمادي فطومة: الاستعارة الحجاجية مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الخامس، مارس، 2009، ص ص 130.

ج- الاستعارة الميتة: وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ⁽¹⁾.

ولا بدّ في الاستعارة الحجاجية من استحضار مقاصد المتكلم وغرضه من الكلام للتأثير في المتلقي وإقناعه، وما يوضح قول ابن رشيق: «إن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم

وإنما استعاروا ليس ضرورة وإنما اتساعا في الكلام واقتدارا»⁽²⁾.

وهذا دليل واضح على أنّ العرب كان لديهم من الألفاظ ما يغنيهم عن الاستعارة لكنهم فطروا على جمال العبارات والإبداع فيها وبلاغة الكلام لديهم من أجل تحويل اللغة والارتقاء بها إلى أعلى الدرجات وإحداث الإثارة لدى المتلقي، ويضيف ابن رشيق: «ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة، وهم يستعيرون به مع ذلك»⁽³⁾. وهذا دليل آخر على أن العرب كانوا يميلون إلى التجديد والإبداع في أساليبهم بغية امتاع الآخر وإحداث الجمال اللغوي والفني في ذات المتلقي.

ويضرب ابن رشيق أمثله يدعم بها ما جاء به كقول امرئ القيس: (من الطويل)

وَكَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلِيٌّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيُبَيِّنَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجُوزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَتَاءً بِكَكَلٍ⁽⁴⁾.

فالليلوموج البحر بعيدان كل البعد من حيث الدلالة، فإذا كان الليل يأتي عند انتهاء النهار، فإن الموح يكون ليلا ونهارا، والتقاء هاتين الصورتين متتاليتين في تركيب لغوي

1- عبد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، وزارة الثقافة السعودية، العدد 23، 1994م، ص 99-100.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 274.

3- المصدر نفسه، 1/ 274.

4- أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري: ديوان امرئ القيس بن حجز الكندي، أعتنى بتصحيحه، ابن أبي شب، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1974م، ص ص 80-81.

واحد طريق بديعة من قبل الشاعر، فهو يستدرج المتلقي ليرى الجمال بطريقة فيها امتاع واضعا صورة الليل جانب صورة موج البحر قائلاً للمتلقي: ابحث عما تشترك فيه الصورتان فيبحث فيجد أن سبب جمع الشاعر لهما في محور واحد (محور التراتيب) أو (محور التأليف) هو التشابه الموجود بينهما، فالليل يأتي ويحدث الظلام على الإنسان دون أن يستأذنه ويكون هيجان الموج في البحر مستحوذاً على الإنسان دون استشارة أو أية لما سيحل به⁽¹⁾. والعربي ابن بيئته، فهو يستمد من بيئته كل أسباب الحياة ومعانيها فهو يعيش مع البحر بأواجه المتلاطمة ومع السيول الجارفة التي تغطي وتغطي كل ما هو كائن، فقد استمد هذا العربي معانيه من معاني البيئة التي يعيشها.

وقال ابن رشيق أيضاً مستدلاً بأمثله حول الاستعارة في قول ذي الرمة: (من الطويل)

فلما رأين الليلَ والشمسُ حيَّةً حياةَ الذي يقضي حُشاشةً نازع⁽²⁾.

حيث شبه الشمس عند غروبها بالحي الذي يجود بنفسه، وقد عدّها ابن رشيق من بدیع الكلام والاستعارة وباقي البيت من عجيب التشبيه.

كما استند هذا الأخير إلى كثير من أمثلة الاستعارة في القرآن والحديث في هذا الباب -باب الاستعارة- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾⁽³⁾.

والطغيان من صفات الإنسان، فشبه ارتفاع الماء وكثرته، بطغيان الإنسان، بطريق الاستعارة التبعية لأن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة فعل وهو طغى، وقوله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ

1- فوزية عساسلة: مفاهيم البيان من منظار الأسلوبيات، كتاب العمدة لابن رشيق الجزائري، أنموذجا، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع المملكة الأردنية الهاشمية، ط 1، 2017م، ص 116.

2- ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن سيج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ذ 1، 1415هـ، 1995م، ص 167.

3-سورة الحاقة، الآية 11.

عَنْ مُوسَى الْغَضْبِ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ^ط وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ (1).

(فالمستعار منه) هو إمساك اللسان عن الكلام، وأنه أمر معقول، (والمستعار له) تفاوت الغضب عن اشتداده على السكون، وأنه أيضا أمر وجداني عقلي و(الجامع) هو أن الإنسان مع الغضب إذا اشتد وجد حاله للغضب كأنه تغريه، وإذا سكن وجده كأنه قد أمسك عن الإغراء (2). وقوله: ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَيْقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ^ط كَلَّمَا أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ (3). فالشهيق والغيط استعارتان الشهيق من لوازم الأحياء، فلجهنم صوت كصوت الأحياء وهو صوت مزعج غير مريح، وهو أنكر الأصوات، الأسلوب التصويري جاء للردع والتخويف ليرجعوا عن كفرهم، والغيط هو شدة الغضب وفيه استعارة تمثيلية، أي تكاد تتفرق أجزاءها فيتميز بعضها بعضا، أي يزايل بعضها بعضا لشدة اضطرابها، فقد شبهت جهنم بالمغتاضة عليهم لشدة غليانها بهموحذف المشبه به ورمز المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه لأن المغتاضة تتميز ... ويكاد ينفصل بعضها عن بعض لشدة اضطرابها و«التميز هو الإفراط في الغضب أشد فعل من يعقل لما لا يعقل» فهي استعارة مكنية (4). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا حلوة خضرة» (5).

وهذا الحديث يعد نفحة من نفحات الإيمان ولمسة من لمسات الإبداع في التصوير فلقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الدنيا الزائلة ولا عجب أن تلفي هذه البلاغة والفصاحة والإشراق المضيئة في هدي سيد المرسلين فهو يوجهنا بهذا الحديث إلى سبيل

1-سورة الأعراف، الآية 154.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، ص ص 389-390.

3-سورة الملك: الآية 7-8.

4- حي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير اليمامة، 4/ 151.

5- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 275.

الخير والسعادة، وأن نحذر من فتن الدنيا وشهواتها وأن لا نغتر بما هو أماننا والإتيان بمثل هذه الأحاديث يبهج النفس وتنشرح له القلوب.

وقد يبدو ممّا تقدم في الأمثلة والتعريفات التي استدلّ بها ابن رشيق في هذا الباب والآراء التي قدمها حولها نستشف منها أن حاجية الاستعارة تعني فعاليتها في التأثير على الأذهان والقلوب والأفهام، فتوظيف الاستعارة في العبارات اللغوية تنطوي عليها أسراراً جمالية وفوائد فنية تغذي الأقوال وتزيد من بلاغتها وبراعتها في التعبير وتطعمها بمستويات تداولية من شأنها أن تستميل النفوس وتؤثر فيها، فالاستعارة عند التداوليين ليست مجرد أسلوب فني يزين العبارة ويزخر فيها بل لها أكثر من قيمة تأثيرية وانفعالية لأنها تقدم لنا معلومات جديدة بعبارة موجزة دون إطباب، كما أنها وسيلة من وسائل إنتاج الدلالات وتأويلها⁽¹⁾.

وهو ما يؤدي بنا إلى القول أنّ الاستعارة تترك في المتلقي انطباعات وانفعالات تجعلنا ندرك تماماً أنها تنطوي تحت مجال الجانب الحجاجي الذي يتضمن آليات وتراكيب تهز النفس وتنحو به منحى الإقناع بما يسمع وما يفهم من عملية التخاطب كما أن الاستعارة آلية من الآليات البلاغية التي تحمل في طياتها بعداً استراتيجياً يغذي الكلام ويكسبه حلية ورونقا جمالياً فنياً وبلاغياً سواء من ناحية الشكل (اللفظ) أو من ناحية المعنى (المضمون) وتطعمه بمقومات تداولية حجاجية، فيتضح بذلك الجانب التداولي في حديث ابن رشيق عن الاستعارة ومقاصدها.

1- ينظر: ميشيل لوجيرن: الاستعارة والحجاج، مجلة المناظرة، العدد (04)، ص 89، وفرانسوا راسيتي: فنون النص وعلومه، ترجمة إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2010، ص 203.

2-3- التمثيل:

تدور مادة (م ث ل) في الاستعمال اللغوي حول معاني: «مناظرة الشيء للشيء»⁽¹⁾. فتدرد بمعنى المشابهة - وهو الغالب عليها- يقال هذا مثله، ومثله، كما يقول هذا يشبهه وشبهه⁽²⁾. و «والمثل والمثل، الشبيه والنظير، وقيل: إنما سمي مثلاً لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر، والمائل الشاخص المنتصب، من قولهم: طلل ماثل أي شاخص»⁽³⁾.

وقيل إنما معنى المثل المثل الذي يحذى عليه، كأنه جعله مقياساً لغيره⁽⁴⁾. ويعرفه ابن رشيق بقوله: «ومن ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك أن تمثّل شيئاً بشيء فيه إشارة»⁽⁵⁾. نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره، ولم يأت أملح منه: (من الطويل)

وَمَا ذُرْفَتَ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَقْدَحِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِ مُقْتَلٍ⁽⁶⁾.

والرقيب له ثلاثة أنصباء -فصار جميع أعشار قلبه للمسهمين الذين مثل لهما عينها ومثل قلبه بأعشار الجزور، فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل.

وقد استدلل ابن رشيق بعض من الأمثلة في هذا الأسلوب، وعدّها من مليح أناشيد التمثيل كقول ابن أبي ربيعة: (من الخفيف):

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيًّا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانُ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسَهِيلٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي⁽⁷⁾.

1- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هاروي، دار الفكر، 5، 1979/ 296.

2- ابن منظور: لسان العرب مادة (م ث ل)، 610/11.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/280.

4- المصدر نفسه، 1/280.

5- المصدر نفسه، 1/277.

6- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 4، 1984، ص 13.

7- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 416.

يعني "الثريا" بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت نهاية في الحسن والكمال، و"سهيل" بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامة، فمثل بينهما، ولم يرد إلا بعد ما بينهما وتفاوته خاصة، ليس لأن سهيلاً اليماني قبيح ولا دميم فهذا الكلام من ابن رشيق يدلّ دلالة واضحة على أنّ وظيفة المثل هنا ليست البيان فقط وإنما أن يميل بخاطر الإنسان أبداً كما هو قار عنده، والمثل ينتصب بقوة كالشخص على القضية المطروحة في الخطاب.

فوظيفة المثل -إذا- حجاجية وهي وظيفة أشار إليها ابن رشيق في ثنايا كتابه⁽¹⁾.

كما بين ابن رشيق الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل فيقول: والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما يغير أدواته وعلى غير أسلوبه والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة: (من الطويل)

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودَ⁽²⁾.

ويقول فيه: لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان.

وقد أورد قول بعضهم في مفهوم المثل: في المثل ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد يكون المثل بمعنى الصفة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذِقٍ

1- علي محمد علي سلمان: الحجاج عند البلاغيين العرب، نقلاً عن حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن، ط1، 1431هـ - 2010م، 265/1.
2- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط03، 1423-2002م، ص 29.

لِلشَّرِيبِ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٠٦﴾ (1). أي: صفة الجنة.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (2).

أي الصفة العليا، وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَأَزَّزَهُ فَأَسْتَغَلَّظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (3). أي: صفتهم ونلاحظ في كتاب ابن رشيق أنه خصص بابا آخر في المثل السائر يقول فيه: المثل السائر في كلام العرب كثير نظما ونثرا وأفضله وأجزه وأحكمه وأصدقه، وقولهم «مثل شرود وشارد» أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد ... وزعم قوم أن الشرود ما لم يكن له نظير كالشاذ والنادر، فأما قول أبي تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها(4). (من الكامل)

مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَىٰ وَالْبَاسِ

لَا تَنْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ

حيث عيب عليه قوله في ابن المعتصم:

فِي حُلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِبَاسِ

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمِ

فإنه يشهد للقول الأول لأن المثل بعمر وحاتم مضروب قديما، وليس بمثل لا نظير

له كما زعم الآخر.

1-سورة محمد، الآية 15.

2-سورة الروم، الآية 27.

3-سورة الفتح، الآية 29.

4- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/281.

وما نلحظه من الأمثلة والتعريفات التي استدلت بها ابن رشيق في مسألة التمثيل أنه وسيلة حجاجية تؤثر في المتلقي وتوصله إلى الإدراك والفهم، فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصورية العادية إلى الحالة التصديقية لأنه بمثابة إحضار المعنى المدعى ليشاهد كما هو في الواقع، فكأنه -والحال هذه- يقول لك هذا هو انظر إليه⁽¹⁾. « فأنت إذا مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء هنا وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: هاهو ذا فأبصر تجده على ما وصفت»⁽²⁾. وإن شئت فقل هو استقراء بلاغي يشبه الاستقراء في المنطق فهو على هذا حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداها بالنظر إلى نهاية مماثلتها»⁽³⁾.

وقد امتلأ القرآن بهذا النوع من الأسلوب -الأمثال- وتفنن في صياغتها وتراكيبها بما يتناسب والمعاني المختلفة، حيث نجد ابن رشيق يقدم في كتابه العديد من الآيات القرآنية التي تتضمن الأمثال الطوال، قال الله عز وجل: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

﴿﴾⁽⁴⁾.

وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿﴾⁽⁵⁾.

1- ينظر: علي محمد علي سليمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 265.

2- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، جدة، ط 1، 1991م، ص 122.

3- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية إفريقيا الشرق، ط02، 2002م، ص 82.

4- سورة العنكبوت، الآية 41.

5- سورة الأعراف، الآية 176.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾⁽¹⁾. فهذه أمثال قصار.

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ

مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾⁽²⁾.

ومن الأمثال الطوال قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا

لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾. ومن أمثلة ذلك

كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله: «كل الصيد في جوف الفرا» قال لأبي

سفيان بن حرب حين أسلم، وقوله: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة

هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق مثل الأرزة المجذبة على الأرض حتى يكون انجعافها

مرة»⁽⁴⁾.

ويقول ابن رشيق: «والأناشيد في هذا الباب كثيرة، فمنها ما فيه مثل واحد، ومنها

ما فيه مثلان، ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ومنها ما فيه أربعة أمثال، وهو قليل جدا وكل نوع

من هذه الأنواع فيه احتجاج واستغناء.

فالتمثيل سواء أكان حاضرا في القرآن الكريم أم في الحديث النبوي الشريف أم في

الشعر فإنه يقوم بتمثيل المعنى فيكون أثبت في الأفهام والأذهان، لاستعانة الذهن فيه

بالحواس، انطلاقا من هنا كان له التأثير الكبير في تحريك النفس واقناعها، فتؤدي به إلى

نفي الريب والشك عن المخاطب وتقود به إلى التصديق بصحة المعنى وهو مع كل هذا

1-سورة الجمعة: الآية 5.

2-سورة البقرة، الآية 26.

3-سورة التحريم، الآية 10.

4- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 281.

للمخاطب وتقود به إلى التصديق بصحة المعنى وهو مع كل هذا حجة للمخاطب بتوليد معاني جديدة فالتمثيل في البلاغة الجديدة من أفضل الأساليب الإقناعية والتأثيرية فهو وظيفة حجاجية بالدرجة الأولى.

2-4- التشبيه:

«هو تشبيه شيء بشيء ليدلّ على حصوله صفة المشبه به في المشبه ويشترط أن تكون من أظهر صفاته وأخصّها به، وإلا لم يعلم حصولها في المشبه»⁽¹⁾. ويعرف بأنه: «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه هاهنا ما لم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد»⁽²⁾. وفي اصطلاح البلاغيين تجلّى مفهوم التشبيه من إحياءات المعنى اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ) في أسرار البلاغة فيعرفه بقوله: «بأن تثبت للمشبه معنى من معاني المشبه به أو حكما من أحكامه»⁽³⁾. بواسطة أداة تشبيهية هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة»⁽⁴⁾. أي أن يماثل بينهما.

1- محمد بن علي محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، 1418هـ، 1997م، ص 152.

2- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، وضع حواشيه: إبراهيم شمي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003، ص 164.

3- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 78.

4- أنعام قوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1417هـ، 1996م، ص 324.

وقد عرّفه ابن رشيق بقوله: «التشبيه صفة الشيء بما يقاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه ناسبه مناسبة كلية لكان إياه» ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفوة وسطه وخضرة كمائه، وكذلك قولهم "فلان كالبحر، وكالليث" إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما، وكالليث شجاعة، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهومته، فوقع التشبيه إنما هو أبدا على الأعراض لا على الجواهر، لأن الجواهر في الأصل كلّها واحد، اختلفت أنواعها أو انفتقت⁽¹⁾. كما بين ابن رشيق في هذا الباب الفائدة من التشبيه فيقول: "والتشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد، كما شرط الرماني في كتابه، وهما عنده في باب الاختصار"⁽²⁾.

وما نستخلصه من الفائدة التي ذكرها ابن رشيق للتشبيه هو أن هذا الأخير يندرج ضمن آليات حاجية لما له من تحقيق لغرض الإيضاح والإفهام والابتعاد عن الغموض والتعقيد، فالتشبيه عنده وسيلة للإيضاح وليس غاية في ذاتها مركزا على أنها وسيلة لتقريب المعنى وإيضاحه وتقريبه لذهن المتلقي بأسلوب مؤثر فيه «يقربان البعيد» وقد تعددت صور التشبيه عند ابن رشيق التي بينها في كتابه فيقول: قال الرماني: «وأعلم أن التشبيه على ضربين: تشبيه حسن وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الواضح فيفيد بيانا والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك، قال: وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من الغائب فالأول في العقل أوضح من الثاني والثالث أوضح من الرابع، وما يتركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه عن غيره والقريب أوضح من البعيد في الجملة وما قد ألف أوضح مما

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 286/1.

2- المصدر نفسه، 287 / 1.

لم يؤلف»⁽¹⁾.

ويقول في هذا السياق: أمّا ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع لا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه، إذا كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليلاً بأكثر مما هو عليه في الحقيقة أنه أراد المبالغة ولعله يقول المحتج له: معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة، لا سيما وقد جاء مثل هذا في القرآن و في الشعر الفصيح: قال الله عز وجل: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾⁽²⁾. فقال قوم: إن شجرة الزقوم -وهي أيضا الأستن- لها صورة منكرة وثمرتها قبيحة يقال لها: رؤوس الشياطين، وقال قوم: الشياطين الحياة في غير هذا المكان، والأجود الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح، لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن والشياطين»⁽³⁾.

وعبارة ابن رشيق التي يقول فيها: «التشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً»⁽⁴⁾ معنى ذلك أنه يزيد الحجاجي الذي نادى به النظرية الحجاجية فيما بعد، لأن الحجة والدليل قاصران عن تحقيق الأهداف المرتقبة ما لم تصاغا في صيغ أو في صور تتجاوز شكلها الموضوع من أجل معنى مؤثر⁽⁵⁾. وبذلك تؤدي إلى نجاح العملية التخاطبية لأن التشبيه ساهم في إحداث تغيير جذري في المعنى بصورة مخالفة للأصل فتؤثر في المتلقي من الجانب العاطفي والفكري وقد استدلل ابن رشيق بأمثلة عن التشبيه وينقل لنا عن قدامة ما ذهب إليه من أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 287.

2- سورة الصافات، الآية 65.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 288.

4- المصدر نفسه، 1/ 287.

5- ينظر: هناء حلاسة: بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط 1، 2016م،

الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد وضرب مثلا لذلك بما أنشده لامرئ القيس: (من الطويل):⁽¹⁾.

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيِي، وَسَاقًا نَعَامَةً
وإِرْحَاءُ سَرْحَانَ، وَتَقْرِبُ تَتْفَل

فهذا تشبيه أعضاء بأعضاء هي هي بعينها، وأفعال بأفعال هي هي أيضا بعينها إلا أنها من حيوان مختلف كما قدمت، والأمر كما قال في قرب التشبيه، إلا أن فضل الشاعر فيه غير كبير حينئذ، لأنه كتشبيه نفس الشيء المشبه الذي ذكره الرماني في تشبيه الحقيقة، وإنما حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك كما قال الأشجعي: (من الطويل):

كَأَنَّ أَرْزِيذَ الْكَبِيرِ إِرْزَامُ شَخْبِهَا
إِذَا مَتَّحَهَا فِي مِحْلَبِ الْحَيِّ مَاتِع

فشبهه ضرع العنز بالكير، وصوت الحلب بأزيزه، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تتناسب»⁽²⁾.

وأورد ابن رشيق في كتابه الكثير من التشبيهات المتعددة ومنها قول امرئ القيس:
(من الطويل)

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكُرْهَا الْعِتَابِ وَالْحَشْفِ الْبَالِي⁽³⁾.

فالبيت حجة على جمال البيت الذي يشمل على أكثر من معنى، لأنه أشعر من المعنى الذي يصاغ في بيتين فأكثر، فالشاعر الذي يجمع بين معنيين في بيت واحد أشعر

1- ديوان امرئ القيس، ص 21.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 285.

3- ديوان امرئ القيس، ص 38.

من ذلك الذي يجمعهما في بيتين⁽¹⁾. حيث يجمع بين معنيين فشبه قلوب الطير وهي رطبة بالعنب وشبه اليابس منها بالحشف البالي، ومثل ذلك قال لبيد بن ربيعة: (من الكامل):

وَجَلَّ السُّيُولُ عَنِ الطُّولِ كَأَنَّهَا زُبُرًا تَجِدُّ مَتُونَهَا أَقْلَامُهَا⁽²⁾.

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه بتجديد تلك لتلك، ونلتمس من وراء هذا التشبيه بعدا حاجيا في أفضلية البيت الذي يجمع بين صورتين تشبيهيتين على الذي يأتي بصورة واحدة، لأن تعدد الصورة يقتضي قوة في التأثير والإقناع، وحاجية التشبيه في الأمثلة السابقة واضحة فدونها لا يستطيع الشاعر إيصال الصورة بمعناها الكامل إلى المتلقي.

بالإضافة إلى تشبيههم شيئين بشيئين، جاءوا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد بالكاف ويغير الكاف، واستدل بذلك قول مرقش: (من السريع):

النَّشْرُ مِسْكٌ، وَالْوُجُوهُ دُنَا نَيْرٍ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفَعِنَمِ⁽³⁾.

حيث شبه النشر وهو الرائحة بالمسك، وشبه الوجوه بالدنانير والأنامل بالعنم.

ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة: بالكاف أيضا وتعبير كاف قال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب: (من الطويل)

1- ينظر: اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهي الكاتب أبو الحسين، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: خفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، ص 184.

2- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار الأرقم، ط 1، 1417هـ - 1997م، ص 137.

3- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 292.

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءً سَرْحَانَ وَتَقْرِيْبُ تَتَقَلُّ (1)

فشبهه خاصرته بخاصرته الغزال وساقيه بساقي النعام في الانتصاب والطول والصلابة وعدوه بإرخاء الذئب وتقريبه، وضع الرجلين موضع اليدين في العدو - بتقريب الثعالب فجمع أربعة تشبيهات في بيت واحد، كما أورد مثالا وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة في قول أبي الفرج الوأواء وأتى به بغير آلة تشبيه

فَأَسَلَبْتُ لَوْلَائِمِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتُ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

فصور الشاعر دموع حبيبته بأنها لؤلؤ، وعينيها (نرجس) وخديها (ورد) وشفثتها (عنان) وأسنانها (برد) أي تلج، وكل هذه الصور المجتمعة قد جاءت في بيت واحد من خمسة أوصاف (2).

نفهم من هذا الطرح في تعدد التشبيهات في البيت الواحد وظيفة وبعدا حاجيا تداوليا يرمي إل التأثير وإقناع المتلقي وتقريب المعنى له على أكمل وجه وصورة، ويعمل على تحريك العقل والنفس؛ لأن الشاعر الأجدر والمتمكن هو الأقدر على التأثير في المتلقين وإقناعهم بالمعاني والمضامين الواردة في شعره، فكلما أجاد الشاعر وأتقن شعره زاد الإقناع والتأثير، وما يدل أيضا على حاجية الصورة التشبيهية والهدف توظيفها قول ابن رشيق «وسبيل التشبيه - إذا كانت فائدته تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له - أن تشبيه الأدون بالأعلى، إذا أردت مدحه وتشبه الأعلى بالأدنى، إذا أردت ذمه فتقول في المدح، تراب كالمسك، وحصى كالياقوت، وما أشبه بذلك، فإذا أردت الذم قلت: مسك كالمسك أو التراب، وياقوت كالزجاج أو كالحصى، لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع» (3).

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 294.

2- المصدر نفسه، 1/ 290.

3- المصدر نفسه، 1/ 290.

هذه المهمة التي يؤديها التشبيه هي التي قادته إلى الدخول في ميدان النظرية الحجاجية، والانضمام تحت لواء الحجج المؤسسة لبنية الواقع، تلك الحجج التي تربطها بالواقع صلة وثيقة، لكنها لا تتأسس عليه ولا تنبني على بنيته، إنما هي تؤسس هذا الواقع وتبنيه، أو هي التي تقوم بإبراز ما خفي من علاقات بين أشياءه أو تجلي ما لم يتوقع أو ينتظر بين عناصره ومكوناته⁽¹⁾.

والشاعر حينما يتوخى المشابهة بين شيء وآخر إنما يؤسس واقعا جديدا يحمل الفكرة التي يبتغي إيصالها إلى ذهن المتلقي⁽²⁾. فالتشبيه خرج من فضاء الزخرفة والتميق، ودخل حيز، الحجاج بأسلوب حاضر في جميع الأدلة المقدمة سابقا وغاياته الإفهام والإقناع، والمحاجج عندما يميل إلى توظيف التشبيه والتنويع فيه، يرجو من ورائه إيصال الحجة إلى ذهن المتلقي فيصورها بصورة تشبيهية بليغة واضحة ليستوعبها ويتقبلها ويقتنع بها، وزيادة على ذلك لم يقتصر اهتمام ابن رشيق على علم البيان فقط وإنما خصص بابا كاملا في لعلم البديع والذي سنفصل فيه في المبحث التالي.

1- ينظر: السامية دريدي: الحجاج في الشعر العربي بنية وأساليبه علام الكتب الحديث، الأردن، إربد، ط01، 2011، ص 242.

2- ينظر: نابلس صلال هيول التميمي: قراءة الشعر الجاهلي في ضوء نظريات الحجاج، أطروحة دكتوراه، إشراف: خميس أحمد حمادي: الشهري، جامعة كربلاء، كلية التربية، 2014م، ص 133.

3- البعد التداولي لعلم البديع عند ابن رشيق:

تعدّ التداولية استعمالاً للغة في العملية التواصلية حيث تعتني بكل من المتكلم والمتلقي وفق سياق معين، فالمتكلم يعني باشتراك المتلقي في الخطاب وتنشيط خياله وأفكاره وتحريك مشاعره ليكون طرفاً فاعلاً في العملية التخاطبية فينتقي بذلك الألفاظ والعبارات المناسبة، ويبدع في تحسين خطابه، بغرض التأثير في المتلقي ويستخدم الصور البيانية كحجة لإقناع الآخر وإدخاله في جو الخطاب ولا يقتصر عليها فقط، وإنما شرع في توظيف أساليب البديع التي تؤدي بدورها وظائف دلالية وجمالية بالإضافة إلى دور آخر وهو الأكثر أهمية في جانب التداولية وهو إقناع المتلقي والتأثير فيه، فنذكر أنّ البديع ينطوي على آليات حجاجية لها أهداف وأغراض من استخدامها وتوظيفها في العملية التخاطبية.

3-1- البديع: دلالاته واصطلاحاته:

3-1-1- البديع (لغة):

جاء في لسان العرب في مادة بدع: «بدع الشيء، يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه والبديع والبديع: الشيء الذي يكون أولاً والبديع: المحدث العجيب، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال»⁽¹⁾. أي معناه يدور حول الجودة والحداثة والإبداع، وورد لفظ البديع في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾. أي مبدعها وخالقها بغير آلة ولا مادة، وقوله تعالى أيضاً: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة بدع، 5/ 6-5.

2- سورة البقرة، الآية 117.

بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۗ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ (1).

أي ما كنت أولهم، فقد جاء قبلي غيري، وإنني لست

مبتدعا لأمر يخالف أمورهم بل جئت بما جاءوا به (2).

وورد أيضا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف تهامة: «إن تهامة كبديع العسل حلو أوله، حلو آخره» (3). والبديع هنا بمعنى الحلاوة والطيب، ويعرفه ابن رشيق أيضا بقوله: «هو الجديد وأصله في الحبال، وذلك أن يفتل الحبل جديدا ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر، وأنشد للشماخ بن ضرار:

أَطَارَ عَقِيْقَهُ عَنْهُ نِسَالَا وَأَدْمَجَ دَمَجَّ ذِي شَطْرِ بَدِيْعٍ (4).

حيث نستنتج من التعريفات اللغوية السابقة للفظة البديع أن لها معاني متقاربة وهي: المحدث والعجيب والمخترع والجديد الذي ينشأ على غير مثال.

3-1-2- البديع (اصطلاحا):

أما عن مفهوم البديع من الجانب الاصطلاحي فقد وردت هذه اللفظة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، حيث نجد الجاحظ (ت 255هـ) أول العلماء العرب الذين وردت عندهم لفظة البديع في تعقيبه على قول الأشهب بن رميلة (5).

هَمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَنْقَىٰ بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تَتَوَّءُ بِسَاعِدِ

1- سورة الأحقاف، الآية 09.

2- ينظر: محمد بن يوسف (أبي حيان الأندلسي الغرناطي) (654-754هـ) البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2010م 1432هـ، 8/ 57.

3- عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1999م، ص 5.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 265.

5- الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، 4/ 55.

قال: وقوله: «هم ساعد الدهر» إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع فأطلق الجاحظ على المثل: ساعد الدهر اسم البديع⁽¹⁾. لأنه نظر إلى المعنى اللغوي الواسع للبديع.

كما نجد الجاحظ معلقا على هذا الفن بقوله: «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل اللغة وأربت على كل لسان»⁽²⁾.

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه مقتضى الحال ووضوح الدلالة»⁽³⁾. فذكره للفظ "علم" تدل على أن القزويني فصل البديع على علم المعاني والبيان وجعله علما مستقبلا بذاته.

كما نجد تعريف البديع عند ابن خلدون فيقول: «والنظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق، إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباقا بالتقابل بين الأضداد، و أمثال ذلك»⁽⁴⁾.

ويعد ابن المعتز (ت 296هـ) أول من ألف في البديع كتابا أطلق عليه: البديع: وقد ذكر الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب بقوله: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماع المحدثون البديع

1- الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، 4/55.

2- إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1417هـ، 1996م، ص 256.

3- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص 348.

4- محمود المراغي: علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1411هـ، 1991م، ص 10.

ليعلم أن بشاراً وأبا نواس ومن قبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه»⁽¹⁾.

أما ابن رشيق القيرواني فنجدّه يخصص باباً تحت عنوان المخترع والبديع وقد حاول أن يميز مفهوم الإبداع من الاختراع أو المخترع والبديع، إذ قال: «والفرق بين الاختراع والإبداع - وإن كان معناهما في العربية واحداً - أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية، حتى قيل له بديع، وإن كثروا وتكرر فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع، فقد استولى على الأمر وحاز قصب السبق»⁽²⁾.

ومن هذا التعريف نفهم أن ابن رشيق أوضح أن البديع يتصل بالجانب الشكلي أو المعنوي المؤثر في المتلقي، والبديع عنده هو أن يأتي الشاعر بشيء جديد مبدع فيه لم يسبق إليه من قبل، ومن المفهوم الذي تطرق إليه ابن رشيق ينتج عنه البعد التداولي الذي هو إبداع المتكلم (الشاعر) وإتيانه بالألفاظ الجديدة والمعاني المبدعة لخلق أثر نفسي وجمالي للمتلقي وإقناعه، وتتضح بها حاجية البديع أكثر في المفاهيم اللغوية والاصطلاحية وبخاصة مفهوم ابن رشيق في تقوية الأسلوب وتحريك مشاعر المتلقي كما يهدف إلى الإقناع والتأثير في نفسية المتكلم.

أما عن أنواع البديع فيقول ابن رشيق: «والبديع ضروب كثيرة، وأنواع مختلفة، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة، إن شاء الله تعالى، على أن ابن المعتز - وهو أول من جمع البديع، وألف فيه كتاباً - لم يعدّه إلا خمسة أبواب: الاستعارة أولها، ثم التجنيس، ثم المطابقة، ثم رد الأعجاز على الصدر، ثم المذهب الكلامي، وعد ما سوى

1- محمود المراغي: علم البديع، ص 01.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 265.

هذه الخمسة أنواع محاسن وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً، وخالفه من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حيثما وقعت في هذا الكتاب»⁽¹⁾.

وستنطرق في هذا المبحث لأساليب البديع التي تحمل بعدا تداوليا عند ابن رشيق في كتابه "العمدة".

3-2- التجنيس (أو التجانس):

يعد التجنيس كما أطلق عليه ابن رشيق من المحسنات البديعية اللفظية، التي لاقت اهتمام العلماء العرب منذ القديم، حيث ظهرت عند الأصوليين بحصرها في دراستهم القرآنية، وقد عرفه علماء البلاغة مصطلح الجنس بأنه: «تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى»⁽²⁾. أمّا المعنى اللغوي لهذه اللفظة «فهي مشتقة من الجنس والجنس: الضرب من كل شيء وهو منالناس ومن الطيور ومن حدود النحو والعرض والأشياء جملة، والجمع أجناس ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله»⁽³⁾.

ويعرفه الجرجاني بقوله: «أمّا التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمي بعيدا»⁽⁴⁾. معنى ذلك أن الجنس ليس مجرد حروف متشابهة ومكررة، وإنما هناك فائدة يطلبها المعنى ولا تتم الفائدة إلا به.

1- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 265.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 205.

3- ابن منظور: لسان العرب، مادة جنس، 6/ 43.

4- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 7.

ويعرفه ابن رشيق في كتابه العمدة مخصصا بابا تحت مسمى التجنيس يقول فيه:
«التجنيس ضروب كثيرة: منها المماثلة، وهي أن تكون اللفظة الواحدة باختلاف المعنى
نحو قول زياد الأعجم، وقيل: الصلتان العبدى يرثي المغيرة ابن المهلب: (من الكامل):

فَانْعَ الْمُغِيرَةَ لِلْمُغِيرَةِ إِذْ بَدَتْ شعراء مشعلة كَنَبِحِ النَّابِحِ

فالمغيرة الأولى: رجل، والمغيرة الثانية، الفرس وهو ثانية الخيل التي تغير⁽¹⁾.

وأنشد سيبويه: من الطويل:

أَيَّنَّخَتْ فَأَلْفَتْ بِلْدَةً فَوْقَ بِلْدَةٍ⁽²⁾ قَلِيلٌ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بِفَامِهَا.

البلدة الأولى: صدر الناقة، والثانية: المكان من الأرض ومثله أنشد أبو عمرو بن
العلاء: (من الرجز):

عُودٌ عَلَى عُودٍ عَلَى عُودٍ خَلْفَ

وقال الأول: الشيخ، والثاني: الجمل المسن، والثالث، الطريق القويم، قد نزل بكثرة
الوطء عليه⁽³⁾.

وقد ذكر ابن رشيق على أن قدامة أنشده على أنه طباق، وسائر الناس يخالفونه في
هذا المذهب.

كما أورد مثالا لأبي تمام يقول بيتا يتضمن التجنيس: (من الطويل)

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 321.

2- ديوان ذي الرمة، ص 1004، ولسان العرب (95/3).

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 322.

لِيَالِينَا بِالرَّقْمَتَيْنِ وَأَهْلَنَا سَقَى الْعَهْدُ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ⁽¹⁾.

فالعهد الأول المسقى هو الوقت، والعهد الثاني، هو الحفاظ من قوله «فلان ماله عهد» والعهد الثالث: الوصية من قولهم، عهد فلان إلى فلان وعهدت إليه، أي وصاني وصيته والعهد الرابع، المطر وجمعه عهاد، وقال ابن رشيق: استنقل قوم هذا التجنيس وحق لهم⁽²⁾.

ويذكر في هذا الباب نوعا من أنواع التجنيس وهو التجنيس المحقق ويعرفه بقوله: ما اتفقت فيه الحروف، دون الوزن، رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع، نحو قول أحد عبس: (من البسيط):

وَذَلِكُمْ أَنْ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ وَأَنْ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا⁽³⁾.

فاتفقت الأنف مع الأنف في جميع حروفها، دون البناء، ورجعا إلى أصل واحد هذا عند قدامة أفضل تجنيس وقع، ومثله في الاشتقاق، ضرب ابن رشيق مثلا لقول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق قال وهو أشهر أوصافه: (من الطويل)

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عَقَالَ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسِ⁽⁴⁾.

1- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1414 هـ، 1994م، ص 85.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 322-323.

3- المصدر نفسه، 1/ 323

4- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ، 1986، ص 254، والبيت افي الديوان:

وما زال محبوسا عن المجد حاسب

فما زال معقولا عقال عن العلى

وقال جرير أيضا وفي المضارعة والمماثلة والاشتقاق والضرب الآخر من التجنيس الذي ذكره ابن رشيق هو تجنيس المضارعة وهو على ضروب كثيرة: منها أن تزيد الحروف وتنقص نحو قول أبي تمام -والجرجاني: يسميه التجنيس الناقص* .

وضرب مثالا لقول البحري⁽¹⁾. (من الطويل)

فِيَاكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيدُ الْبُلَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَائِحِ

ويمكن الجناس الناقص هنا في لفظتي (حزم وعزم) و(الصفا والصفائح)، ويقول أيضا في أصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف وفي كلام العرب منه كثير غير متكاف والمحدقون إنما تكلفوه، فمن المعجر قول الله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾⁽²⁾.

وهناك من يقول أنه جناس تصريف.

وقدور في اختلاف صيغته في الكلمتين بإبدال حرف من حرف قريب من مخرجه سواء أكان الإبدال في الأول أم في الوسط أم في الآخر⁽³⁾.

كما استدلل ابن رشيق بمثال آخر لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والكزم والقزم» والمقصود بالأيمة: الخلو من النساء، والعيمة: شهوة اللبن والغيمة: العطش، والكزم: قصر اللبان خلقة أو من بخل،

* التجنيس الناقص: يعني أن يختلف اللفظان المتجانسان في عدد الحروف فقط وينفقان في ترتيبها وهيئته ونوعها، ينظر: عائشة حسين فريد: وشي الربيع بألوان البديع، دار قباء الشركة مساهمة مصرية، 2000م، ص 172.

1- ديوان البحري، مج01، ص 447.

2- سورة الأنعام، الآية 26.

3- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 326/1.

ويقال الكرم: شدة الأكل، والقزم: شهوة اللحم. (1)

ومن خلال ما عرضناه من تعريف للجناس وأنواعه والأمثلة المتعددة التي قدمها ابن رشيق نلاحظ أن الجناس قد أدى دورا كبيرا في عقول الأدباء والشعراء وأذواقهم فهذا الأخير يوظفه في شعره أو في خطبه إساهما منه لتجنب وقوع المتلقي في الغموض وخاصة في الجناس التام من التماثل الناتج عنه من حيث الشكل وتشابه الحروف فيخلق الإثارة والرغبة لدى المتلقي فتدفعه للكشف عن المعاني الكامنة وراء هذه الألفاظ والغرض من توظيفها ، فتميل نفسه إلى الجرس الموسيقي الذي يلحظه في الألفاظ والعبارات، فتكمن هنا حاجية الجناس في كونه حجاجا مبنيا على التكرار والذي نقصد به التكرار اللفظي لا المعنوي، فابن رشيق قد وضح الضروب المختلف للجناس واستشهد بها، فالجناس أو ما يسميه بالتجنيس - يعد من المحسنات والتميمات اللفظية التي لها سحر وجمال في الأسلوب فتؤثر على الأذن فتطرب عند سماعه فيتجاوب معها وتهتز لها القلوب، كما أورد ابن رشيق مثلا عن الرماني حيث سمي التجنيس بالمشاكلة* وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ خاصة، وأما المشاكلة في المعنى فنبه عليها في أماكنها⁽²⁾. وقال أبو تمام:

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ⁽³⁾.

ومن المضارعة بالتصحييف* ونقص الحروف قول بعضهم:

كما في بيت البحري يمتدح المعنز بالله:

¹- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 326/1.

* المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيق أو تقديرا: ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 359.

²- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 326 /1.

³- المصدر نفسه، 326 /1.

* الجناس بالتصحييف: هو اختلاف اللفظتين المتجانستين في اللفظ ينظر: حسن فريد: وشي الربيع بألوان البديع، ص 176.

وَلَمْ يَكُنْ الْمُعْتَرُ بِاللَّهْيَانِ سَرَى لِيَعْجَزَ وَالْمُعْتَرُ بِاللَّهِ طَالِبُهُ⁽¹⁾.

فجاء بتصحيح مستوف، إذ أن التصحيف في نقطة (المعتر بالله) والمعتر بالله وحدث التصحيف بسبب تقارب مخارج الحروف والنوع الآخر الذي أورده ابن رشيق في هذا الباب هو التجانس المنفصل فيقول فيه: وقد أحدث المولدون تجانسا منفصلا ظهر أيضا في الخط كقول أبي تمام: (من الكامل):

رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكِلَابِ، وَشَقَّوْا فِيهِ الْمَزَادُ بِحِفْلٍ كَاللَّابِ

الكاف للتشبيه، والأب: جمع لابة وهي الحرة ذات الحجارة السود، ورأي ابن رشيق فيه أنه ليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون، لكنه استظرف فأدخل في هذا الباب تملحا، وأكثر من يستعمله: الميكالي، وقابوس، وأبو الفتح البستي، وأصحابهم فمن ذلك قوله: (من الخفيف)

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ أَوْدَعَانِي أُمَّتُ بِمَا أَوْدَعَانِي⁽²⁾.

ويقول فيه ابن رشيق: فقوله أودعاني إنما هي أو التي للعطف نسق بها "دعاني" وهو أمر الاثنين من "دع" على قوله «عارضاه» الذي في أول البيت، وقوله «أودعاني» الذي في القافية فعل ماض من اثنين، تقول في الواحد «أودع يودع» من الوديع⁽³⁾.

وقد ذكر ابن رشيق أنه إذا وقع التجنيس في آخر البيت الشعري من القافية يسمى بالإيطاء.

فيقول: وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتي كالأبطاء وليس بإيطاء إلا في اللفظ مجازا، ولا بتجنيس إلا كذلك قال عمر بن علي المطوعي: (من الوافر)

1- ديوان البحراني، مج01، ص 215.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 328.

3- المصدر نفسه، 1/ 328.

أَمِيرٌ كَلَّمَهُ كَرَمٌ سَعِدْنَا بِأَخْذِ الْمَجْدِ مِنْهُ وَاقْتِبَاسِهِ
يُحَاكِي النَّيْلَ حِينَ يُسَامُ نَيْلًا وَيَحْكَى بِاسْلًا فِي وَقْتِ بَاسِهِ

فيعلق عليه ابن رشيق قائلاً: (أراد أن) يناسب فجاءت القافيتان كما ترى في اللفظ وليس بينهما في الخط إلا مجاورة الحروف وهذا أسهل معنى لمن حاوله، وأقرب شيء ممن تناوله، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة، وهو مما لا يشك في تكلفه وقد أكثر منه هؤلاء الساقاة المتعقبون في نثرهم ونظمهم حتى بل تذرَّكوا⁽¹⁾.

وما يدل على أن ابن رشيق يؤيد فكرة أن يأتي الجناس عن فائدة ومتضمنا للمعنى التام ومقصودا هو أن -أي الجناس- يحمل في طياته بعدا حجاجيا تداوليا، فيقول ابن رشيق «فهذا التجنيس كما ترى عن غير تكلف ولا قصد ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصودا إليه، مأخوذاً منه ما سامحت فيه القريحة، وأعاق عليه الطبع»⁽²⁾. فأحسن التجنيس هو ما صدر عن طبع وجاء عفواً من غير قصد، فكان له وقع وأثر في المعنى أما إذا تكلف رغبت عنه النفوس، وجفت له القلوب والأذواق، على اعتبار أن التجنيس الحسن الذي يقصده ابن رشيق هو الذي يطلبه المعنى، ويستدعيه المقام ويقع من المتكلم طوع الخاطر من غير تكلف»⁽³⁾.

ثم تدرج بعد ذلك وذكر نوعاً آخر من أنواع الجناس وهو التجنيس المضاف المزوج* وضرب مثلاً لذلك قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 329.

2- المصدر نفسه، 1/ 329.

3- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 09.

* المزوجة: وهو أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بمتماثلين في أصل المعنى والاشتقاق، ينظر، أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي (ابن الناظم) ت (686هـ)، المصباح في المعاني والبيان والبيدع، حققه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 205.

أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴿١﴾.

قال الرماني: «أي جاوزه بما يستحق على طريق العدل، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان ومن ذلك ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤٧﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ ﴿٢﴾. أي يجازيهم على استهزائهم» ﴿٣﴾.

ويقول ابن رشيق في هذا السياق: «كل هذه استعارات ومجاز لأن المراد المجازاة فزواج بين اللفظين» ﴿٤﴾.

كما أنه هذا الأخير درس في هذا الفن البلاغي «التجنيس: من وجهة نظر نقدية وأدرج فيها مجموعة من الأنواع والأضرب لهذا الفن مع استشهاده للكثير من الأمثلة التي تدل على توظيف الشعراء لهذا الأسلوب البلاغي وإبداعهم فيه وتنويعهم له، بالإضافة إلى كثرته وتعددته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هذا إن دل فيدل على أن هذا الجنس من الفنون البلاغية الأكثر تشويقاً وإثارة في النفوس لمعرفة المعاني وكشفها ونستشف من هذا الفن البلاغي -الجناس- أبعاداً حجاجية نذكر منها:

- أنه يساعد المتلقي في التفريق بين الألفاظ من حيث المعاني فيشعر بجمال هذا الأسلوب ويميل إليه.
- الابتعاد عن الملل والنفور.

1-سورة البقرة، الآية 194.

2-سورة البقرة، الآية 15/14.

3- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول إسلام، دار المعارف، مصر، ط 3، ص 99.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 331.

- يضيف جرسا موسيقيا بذلك يقنع المستمع أو القارئ بكلامه وبشعره فيغرس في نفسيته الحماس والإثارة والتشويق لسماع مثل هذه الأساليب وهذا ما جاء به الدرس الحجاجي المعاصر؛ إذ جعل من قيمة المحسنات البديعية ذا قيمة حجاجية وإقناعية وحجاجية الجنس تكمن في تكرار اللفظة واختلاف معناها فتضفي على ذلك طابع الإبداعية لدى المتلقي.

3- التردد:

يعد التردد (paronomastic repetition) فناً بلاغياً من فنون البديع التي تعتمد خاصية التكرار ولم يحظ هذا الفن بعناية كبيرة من لدن البلاغيين مثلما حظيت بها الفنون البلاغية الأخرى كالمطابقة والتجنيس والسجع والمقابلة والمشاكلة وغيرها، ولكن ابن رشيق قد تميز عن غيره من البلاغيين بدراسته الواسعة والمتعمقة للفنون البلاغية، حيث خصص لكل فن من هذه الفنون بابا خاصا مع رؤيته النقدية واستشهادها بالأمثلة المتنوعة.

والتردد يعد فنا بديعيا يؤلف مظهرا من مظاهر الموسيقى المتولدة عن استصحاب الدوال، أي المتولدة عن الجمع بين لفظين مشتركين اشتراكا كاملا في كل الأصوات، أو جزئيا أو بين أكثر من لفظين⁽¹⁾. وهو في اللغة (تفعيل) من قولهم ردد الثوب من جانب إلى جانب وردة الحديث ترديدا أي كرره⁽²⁾.

والأصل في رجع الشيء⁽³⁾. اما في المعنى الاصطلاحي فقد ورد عند البلاغيين وابن رشيق أو لهم فعرفه بقوله: «وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها

1- ينظر: محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرأسمالية للجمهورية التونسية، 1981م، ص 60.

2- أسعد جواد يوسف الخفاجي: التردد -دراسة بلاغية في تقنيات الأسلوب القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (3-4)، المجلد 7، 2008، ص 76.

3- ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص 380.

بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه وذلك نحو قول زهير: (من البسيط)

من يلق يوماً على عاتِه هَرَمًا يلقُ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا⁽¹⁾.

فعلق (يلق) بهرم ثم علقها بالسماحة، ونلاحظ القرب الشديد بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، إذ أن الترديد هو نفسه الدالان المكرران إلى جهتين مختلفتين من حيث الدلالة والنحو ولم يكن الاختلاف بينهما ذاتياً أبداً، بل الاختلاف في محيطهما في السياق الذي يردان فيه، ولأجل هذا المستوى من الاختلاف عد الترديد من التجنيس المتحقق بالإضافة⁽²⁾.

وهو أيضاً «أن يعلق المتكلم (أو الشاعر) لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى آخر»⁽³⁾.

وقد ضرب ابن رشيق مثلاً لأبي تمام يقول فيه: (من البسيط)

خَفْتُمُوْعَكُ فِي إِثْرِ الْقَطِينِ لَدُنْ خِفْتُ مِنَ الْكُتْبِ وَالْقُضْبَانِ وَالْكَتْبِ

الترديد هنا وقع في لفظة «خفت» ولو جعلت الكتيب ترديداً لجاز⁽⁴⁾.

قال أيضاً ابن المعتز: (من البسيط):

لَوْ شِئْتَ لَا شِئْتَ خَلَيْتُ السُّلُوَّةَ وَكَانَ لَا كَانَ مِنْكُمْ فِي مُعَافَاةٍ

ويمضي ابن رشيق في هذا الصدد ويستشهد بمثال عن امرئ القيس يقول فيه بيتاً من الترديد: (من المتقارب)

1- ديوان زهير بن أبي سلمى: حققه على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط 1، 1408هـ، 1988م، ص 77.
2- صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سوايا بن علي السنوسي الحلي): شرح الكافية البديعية، تحقيق: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط 2، 1412هـ-ص 1992م، ص 148.
3- الخطيب القزويني، ديوان أبي تمام، 1/ 239.
4- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 334.

فَثَوْبًا لِبَسْتٍ وَثَوْبًا أَجْرٌ⁽¹⁾.

وقد قال فيه قوم أنه تكرر لا ترديد فيه ولكن ابن رشيق بين أن هذا خطأ بين وقال: أي ترديد يكون أحسن من هذا؟

وقد أفاد الثاني غير إفادة الأولى حسب ما شرطوا⁽²⁾.

ومثله قول بعض الأعراب في مدح هارون الرشيد: من المتقارب

جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْعُطَاسِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمِ⁽³⁾.

الترديد جاء في لفظة "جهير"، وأورد ابن رشيق مثالا من أملح ما سمع قول ابن العميد (من الطويل)

فَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا فَقَلُّ شِعْرٍ كَاتِبٍ وَإِنْ كَانَ مَرَضِيًّا فَقَلُّ شِعْرٍ كَاتِبٍ⁽⁴⁾.

ويبيد ابن رشيق رأيه في هذا البيت ويقول: «وهو داخل عندي في باب الترديد إذ كان قوله عن السخط شعر كاتب إنما معناه التقصير به، وبسط العذر له، إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون "نحو كتابي" إذا لم يكن مجودا وقوله عن الرضا "شعر كاتب"، إنما معناه التعظيم له، وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة، لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات، فقد ضادّ وطابق في المعنى، وإن كان اللفظ تجنيسا مرددا⁽⁵⁾».

وما نلحظه من خلال ما قدمه ابن رشيق في هذا الباب والرؤى النقدية التي بناها في هذا السياق، على أن الترديد له قدرة على تحقيق وترتيب الدلالة؛ وذلك بالاعتماد على

1- صدره: لَفَمًا دَنَوْتُ تُسَدِّيْتُهُا، ديوان امرئ القيس، ص 159.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 335/1.

3- الزمخشري: أساس البلاغة، 144/1.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 335/1.

5- المصدر نفسه، 335/1.

التكرار اللفظي فينتج عنه إيقاع موسيقي يعمل كمنبه لحدوث دلالة مغايرة عن الأخرى فيكون الترديد، في هذا الجانب قد بلغ غايته في التأثير والجمال والفائدة بسبب هذا التوافق الموسيقي والتغيير الدلالي والتكرار اللفظي بسبب هذا التوافق الموسيقي والتغيير الدلالي والتكرار اللفظي الذي يحققه الترديد والذي يحقق أثرا كبيرا في عقول المستنيرين والفائدة منه تكمن في الإقناع، حيث يعمد المتكلم إلى التكرار والترديد، كلما وجد أن المقام لا يحتاج إلى إيجاز، والسبب في ذلك أن التكرار أولي في مقام الإطناب وهو كذلك في مقام الإيجاز، ومن أجل ذلك يستوجب أن يكون الترديد بألفاظ وعبارات مختلفة وينبغي النظر أيضا إلى المعنى من جوانب متعددة، وعلى هذا الأساس فإن أسلوب الترديد يؤثر ويقنع، لأنه من بواعث استمالة السامعين وشد انتباههم ومن وظائفه أيضا التأكيد، وإثبات الكفاءة التواصلية للمتكلم كالتعظيم والتعجب والمدح والتهويل والترغيب والتعدد والافتخار وغيرها كل حسب مقامه.

ومن هذا المنطلق فإنّ الترديد آلية استراتيجية ذات بعد حجاجي تداولي فهي أداة يتمكن الشاعر أو الخطيب بواسطتها إبلاغ المعنى وتأكيد العبارة، وهذا يصب في قلب الحجاج فالإقناع وسيلة من وسائله المعتمدة، فالحجاج استراتيجية تواصلية تسعى إلى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثلات وآليات حجاجية تكون في شكل أفكار أو عبارات وبهذا يصبح الحجاج نظام تواصلية يتفاعل فيه أطراف العملية التخاطبية بما هو لفظي أو غير لفظي وسيلة اللغة وغايته الإقناع.

وكما ترى (باربرا جونسون كوتش) (B.j.koch) «أنّ خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع العرض اللغوي للدعوي الحجاجية، وصياغتها صياغة موازية وإلباسها إيقاعات نغمية إيقاعية وبنائية متكررة»⁽¹⁾. وتسمّي (باربرا) هذه الاستراتيجية البلاغية

1- barbara, johnston koch : presentation as proof, the language of arabic, anthropological. Vol 25 N° 01-1983.

(استراتيجية الإقناع بالتكرير) (repeating) وبالصيغة الموازية (Rephrasing) وباللباس الدعوى وإعادة لباسها إيقاعات نغمية متغيرة من الكلمات تدعوها باسم استراتيجية العرض (presentation) أي استحضار الشيء أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره⁽¹⁾.

وفي ظل هذا الطرح فإن ابن رشيق يربط بين أسلوب التردد والفائدة المحققة منه ومن التقنيات البلاغية المعتمدة من طرف الشعراء، فكل ذلك يمثل استراتيجية إقناعية تداولية تتجه بمقومات نحو تحقيق الفائدة المرجوة من الكلام وهي استمالة أذهان المتلقين والتأثير فيهم.

نقلا عن: محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول شيف/ فريق، العدد (20)، 2000م، ص 63.

1-E. shirley oster, english in parallels, A, comparison of English, and arabic prase south, California.

نقلا عن: محمد العبد، النص الحجاجي العربي، مرجع سابق، ص 63.

3-4- التصدير:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور المفهوم اللغوي للفظة التصدير بمعنى: «الحزام: وهو في صدر البعير إذا جعله إلى خلف، والحبل اسمه التصدير، والفعل التصدير»

قال الأصمعي: وفي الرجل حزامه، يقال له التصدير، قال والوضيق للهودج والبطان للقتب»⁽¹⁾.

وحبل يصدر به البعير إذا جر حملة خطأ والذي أراده يسمى السناف والتصدير: الحزام نفسه، والصدار اسمه على صدر البعير والمصدر أول القداح الغفل التي ليس لها فروض ولا أنصباء إنما تثقل بها القداح كراهية التهمة، وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾⁽²⁾.

قال ابن سيده فإمّا أن يكون هذا على نية التعدي كأنه قال حتى يصدر الرعاء إليهم ثم حذف المفعول وإمّا أن يكون يصدر ههنا غير متعد لفظاً ولا معنى، لأنهم قالوا صدرت عن الماء فلم يعدوه»⁽³⁾.

أمّا المعنى الاصطلاحي للتصدير فيعد الأصمعي (ت 210هـ) من أوائل الذين أشاروا إلى هذا المصطلح وذلك عندما قال «من حسن التصدير قول عامر ابن الطفيل:

1- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 301.

2- سورة القصص، الآية 23.

3- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 301.

فَكُنْتُ سَنَامًا فِي فَرَارَةٍ تَامَكَا وَفِي كُلِّ حِي ذُرْوَةَ وَسَنَامٍ (1).

وقد نقل ذلك الحاتمي (ت 388 هـ) وأشار إلى أقسامه في الشعر فقال: «هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله وفي عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه قبل أن تطرق أسماع مستمعيه» (2).

وقد حذا ابن رشيق في ذلك فيعرفه بقوله: «وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدورهم فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ويكتسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائة وطلاوة» (3). وقد أتبعه بعد ذلك بتقسيمات عبد الله ابن معتز لهذا الباب على ثلاثة أقسام: أحدها: ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الأول: نحو قول الشاعر: (من الكامل)

يَلْقَى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُقَلُّ عَرْمَرَمٍ (4).

والثاني: ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه نحو قوله:

سَرِيْعَالِي ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عَرِضَهُ وَكَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيْعٍ

والثالث: ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه، كقول الآخر (من الوافر)

1- ينظر: ديوان عامر بن الطفيل (ت 11 هـ)، دار صادر بيروت، لبنان، 1379هـ- 1959م، ص 126، والمظفر بن الفضل العازي (ت 656هـ)، نظرة الإغريض في نصرة الإغريض، تحقيق، نهي عارف الحسن دمشق، 1396هـ، 1976م، ص 104.

2- محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت 388هـ)، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق، جعفر الكتاني، بغداد، ج 1، 1979، ص 162.

3- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 03/2.

4- أبو محمد القاسم السجلماسي: المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب- الرباط، ط 1، 1980م، ص 410.

عزيرُ بني سليم أقصدتهُ سِهَامُ المَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامٌ⁽¹⁾.

ونجد ابن رشيق في هذا الباب يبين الفرق بين التصدير والترديد، حيث يقول: «التصدير قريب من الترديد، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور، فلا تجد تصديرا إلا كذلك حيث وقع منه كتب المؤلفين وإن لم يذكروا فيه فرقا والترديد يقع في أضعاف البيت»⁽²⁾.

وقد استدللّ ابن رشيق بجملة من الأمثلة للتصدير حيث أورد بيتا لجريير وهم يستحسنونه جدا: (من الطويل):

سقى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ رَبَابُهُ وما ذاك إلا حُبٌّ من حلٍّ بالرملِ⁽³⁾.

ومن أناشيد هم في التصدير قول طفيل الغنوي:

محارمك أصنعها من القوم، إنني أرى جفنة قد ضاع فيها المحارمُ

وما يدلّ على تخصيص ابن رشيق بابا للمصطلح البلاغي التصدير واستدلاله لمجموعة من الأبيات الشعرية وتحديده لمفهومه وأقسامه التي جاء بها ابن المعتز تؤكد لنا اهتمام ابن رشيق بهذا الأسلوب البلاغي فهو في باب التصدير وخاصة في تعريفه لهذا المصطلح الذي يقول فيه: «أنه يكسب البيت أبهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائة وطلاوة»⁽⁴⁾. فهو يظهر لنا جمالية وبلاغة التصدير في البيت الشعري فهو له دلالة على تأكيد المعنى وتقريره؛ لأن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر ويجلب له الأسماء فتشد انتباه السامع وهذا ما تذهب إليه اللسانيات التداولية وهو الاهتمام بكل

1- أبو محمد القاسم السجلماسي: المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، مرجع سابق، ص 441.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 03/2.

3- ديوان جريير، ص 984.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، مصدر سابق، 03/2.

الأساليب والفنون التي تجعل السامع يفهم ويتأثر ويقتنع، فالإقناع فعل يحقق التفاعل بين طرفي العملية التخاطبية.

3-5- المطابقة:

المطابقة في أصل الوضع اللغوي: «أن يضع البعير رجله موضع يده، فإذا فعل ذلك قيل: طابق البعير»⁽¹⁾.

قال الخليل رحمه الله: «طابقت بين الشئيين إذا جمعتهما على حد واحد»⁽²⁾. وهو

أيضا: «الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة»⁽³⁾. والمطابقة عند ابن رشيق هو: أن يأتلف في معناه ما يصاد في فحواه، المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر»⁽⁴⁾، ويردف بذلك قوله: «إلا قدامة ومن اتبعه، فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقا، وقد تقدم الكلام في باب التجانس وسمي قدامة هذا النوع -الذي هو المطابقة عندنا- التكافؤ، وليس بطباق عنده، إلا ما قدمت ذكره ولم يسمه التكافؤ أحد غيره»

كما أورد ابن رشيق تعريفا للأصمعي للمطابقة في الشعر فيقول:

أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع وأنشد لنابغة بني جعدة: (من المتقارب)

1- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 76.
2- أبو العباس عبد الله ابن المعتز (ت399هـ)، كتاب البديع، شرحه وحققه، عرفان مطوجي ويلييه، العلم الخفاق من علم الاشتقاق لمحمد صديق حسن خان، علق عليه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، 1433هـ، 2012م، ص 48.

3- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص 348.

4- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 05/2.

وخيلٌ يُطابِقْنَ بالدَّارِ عَيْنَ طباقَ الكِتابِ يَطَّانَ الهَراسَا⁽¹⁾.

كما استدللَّ أيضا بمفهوم الرماني فيقول: «المطابقة: مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان»⁽²⁾.

وقد علّق عليه صاحب الكتاب قائلا: «هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره، وأجمعه لفائدة، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعا، وأما قول الخليل، إذا جمعت بينهما على حذو واحد وأصقتهما فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني»⁽³⁾.

وأردف القول بتعريف قدامة للمطابقة فيقول: «هو ما اشترك في لفظه واحدة بعينها» فإنه أيضا مساواة لفظ للفظ، وهي - أعني المساواة - على رأي الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى وقد يكون المراد أيضا مطابقة اللفظ المعنى، أي موافقته، ألسنت ترى أنهم يقولون: «فلان يطابق فلانا على كذا، إذا وافقه عليه وساعده فيه، فيكون مذهب قدامة أن اللفظ وافقت المعنى ثم وافقت بعينها معنى آخر»⁽⁴⁾.

ويقدم ابن رشيق أمثلة من المطابقة ويذكر فيه من مליح ما رأى في المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عينا: (من الوافر)

وَعَيْنُ نَجْلَاءٍ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ⁽⁵⁾.

فالطباق جاء في لفظتي، بياض وسواد

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

والطباق هنا في: أكثرت و أقل، وقاربت و تباعدت.

1- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه، واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ص 99.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 06.

3- المصدر نفسه، 2/ 07.

4- المصدر نفسه، 2/ 07.

5- ديوان كثير عزة، ص 219.

كما استشهد ابن رشيق بأفضل مثال كلام لسيد البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه: «فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار»¹ وقال فيه ابن رشيق: «فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله»⁽²⁾. وقد جاء الطباق الإيجاب في الألفاظ التالية: الدنيا ≠ الآخرة، الشبيبة ≠ الكبر، الحياة ≠ الممات، الجنة ≠ النار، وهي متضادات، يقدم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم نصائح وتوجيهات يجب أن نأخذ بها في الدنيا لننال الآخرة، كما قدم مثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢١﴾﴾⁽³⁾ والذي تضمنته هذه الآية الكريمة هو أربعة متضادات (الأعمى والبصير)(الظلمات والنور)(الظل والحرور)(الأحياء والأموات).

وقد أورد مثالا عدّه ابن المعتز من المطابقة، قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾⁽⁴⁾. لأنّ معناه: «القتل أنفى للقتل» فصار القتل سبب الحياة، وهذا من أملح الطباق وأخفاه والطباق هنا معنوي، فالقصاص يقصد به الموت وهو ضد الحياة⁽⁵⁾.

فالطباق له دور بارز في إظهار العواطف والأفكار ويكمن ذلك في توظيف الأضداد لتجسيد التناقض الحاصل بينهما ولتوضيح الرؤية أكثر وإثبات رأي الشاعر فالضد يزيد قوة في معناه إذا قابله الضد الآخر، فهو يؤدي دورا هاما في جلب السامع

¹-القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 08/2.

²-المصدر نفسه، 08/2.

³-سورة فاطر، الآية 19-22.

⁴-سورة البقرة، الآية 179.

⁵-القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 09/2.

وإعماله لذهنه لكشف الأضداد ومعانيها والغاية وراء توظيفها، وبالتالي إقناع السامع والتأثير فيه، وبالأضداد تتضح الأشياء.

أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضَى لِي نَعِيمُهَا تَكَرَّرَ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَتَنَّمُ
وَصَفْرَاءُ تَحْكِي الشَّمْسَ مِنْ عَهْدِ قَبِصَرٍ يَنْوِقُ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَّمُ
إِذَا مَزَجَتْ فِي الكَاسِ خَلْتِ لَنَا تَنْثُرُ فِي حَافَاتِهَا وَتَنْظُمُ
جَمَعْنَا بِهِ الْأَشْتَاتُ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَغْشَ فَيَذَلِّكَ مُحْرَمُ

فطابق بين «تنثر وتنظم» وبين «جمعنا والأشتات» أسهل طباق وألطف من غير تعمل ولا استكراه - على حد قول ابن رشيق - كما قال فيه أيضا: «وأتى في البيت الأول من قوله: «مضى، وتكرر»⁽¹⁾. بأخفى مطابقة، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلته ومن الإشارات الدالة على اعتماد ابن رشيق في آراءه ومفاهيمه لهذا الفن البلاغي، هو تبيانته لجمالية هذا الأسلوب على قلب السامع وطربه في الأذى فهو يبين أن توظيف الشاعر للطباق أو الكاتب هو لغاية الإقناع والتبليغ وإبراز الأضداد وقوتها فهو بالتالي يوضح الصورة ويقربها أكثر إلى السامع فهنا تكمن حاجية الطباق، فهذا الأخير يُستخدم كحجة لتقوية الروابط بين اللفظ والمعنى فيجعل الشاعر وغيره يميل إلى هذا الأسلوب ليثبت رأيه ويوضح صورته «فالضد يبرز حسن الضد»⁽²⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 11 / 2.

2- فريد الشيخ: القسمة في علوم البلاغة، المعاني، البيان، البديع، العروض، دار الراتب الجامعية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 130.

ويقول في هذا الصدد حازم القرطاجني: «أن الطباق أو المطابقة تجمل في صميمها جرثومة الميل لهذا الطرف أو ذاك وتجعل السامع يتخيل في الجملة التي يخيل به إلى تحريك نفسيته إلى الاستنتاج»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى هذا الطرح، توقف ابن رشيق في عدة أمثلة يغلط فيها الناس كثيرا ويقول في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض المحدثين (من الطويل):

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ، وَكَانَ فِعْلُهُ غَايَةُ لِكُلِّ قَبِيحٍ⁽²⁾.

ويقول ابن رشيق معلقا «وليس ضده وإنما ضده الدمامة والقبيح ضده الحسن، وقال الصولي أبو بكر يصف قلما: (من الخفيف)

نَاحِلِ الْجِسْمِ، لَيْسَ يَعْرِفُ مَذَا نَ نَعِيمًا، وَلَيْسَ يَعْرِفُ ضَرًّا

ويعلق ابن رشيق قائلا: «وليس بينهما مضادة، وإنما ضد النعيم البؤس، فأما قول أبي الطيب: (من الكامل)

فَالسُّلْمُ تَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالَهُ بَنَوَالَهُ مَا تُجْبِرُ الْهَيْجَاءُ⁽³⁾.

فيقول فيه ابن رشيق: «فإنه داخل في الطباق المحض، لأن المراد بالهيجاء الحرب، وهي اسم من أسمائها فكأنه قال الحرب فأتى ب ضد السلم حقيقة».

وما يدل على فطنة ابن رشيق ورؤيته النقدية الحاذقة واهتمامه بأساليب البلاغة هو تخصيص لكل أسلوب باب، كما خصص بابا اختلف فيه التجنيس بالمطابقة ويأتي بعد ذلك بذكر أسباب اختلاطهما فيقول: «من ذلك أن يقع في الكلام بشيء مما يستعمل الضدين:

1- ينظر: حافظ اسماعيلي العلوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 24.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 11 / 2.

3- عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص 120.

كقولهم «جلل» بمعنى صغير وجلل، بمعنى عظيم، فإن باطنه مطابقة، وإن كان ظاهره تجنيساً⁽¹⁾.

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر:

وإني وإن أوعدتُهُ أو وعدتُهُ لمخلفٌ إبعادي ومُنجزٌ موعدِي⁽²⁾.

واستدلال ابن رشيق بأمثلة لابن المعتز وغيره الذي يعد من أهم البلاغيين الذين كان لهم صيت لا يستهان به في التنظير لعلم البديع حيث درسه وعمق فيه لاسيما في تقسيماته وكذلك تقديمه لابن قدامة فهذان البلاغيان يعتبران البديع مجالا خصبا جامع لفنون كثيرة ذكر منها ابن رشيق في كتابه العمدة، فاهتمام هذا الأخير بعلم البديع واستشهاده بمجموعة من أفضل البلاغيين الذين خاضوا في هذا المضمار وتقديمه للكثير من الأمثلة تجعلنا نفهم بأن الطباق والتجنيس وغيرها مما ذكرت سابقا لها تأثير كبير على المتلقي فهي تستميل النفوس وتستهوئها، فبالتالي تصب في قالب اللسانيات التداولية وبخاصة في خانة الحجاج لأنها أفعال كلامية يبني عليها الحجاج كله.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2 / 14.

2- المصدر نفسه، 2 / 12.

3-5- المقابلة:

يعرفها ابن فارس في معجمه بقوله: «هي المواجهة والمعابنة القاف والباء واللام أصل واحد صحيح، تدل كلها على مواجهة الشيء لشيء»⁽¹⁾. وقيل في لسان العرب: قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا، عارضه إذا ضمنت شيئا إلى شيء قلت: قابلته به ومقابلة الكتاب بالكتاب مقابلته به: معارضته... والمقابلة والمواجهة والتقابل مثله، وهو قبالك وقبالتك، أي تجاهك فالمقابلة في المعنى اللغوي تدور حول المواجهة وذلك إما بالتضاد أو بالموافقة⁽²⁾.

أما في المعنى الاصطلاحي فقدمت فيها العديد من التعريفات نذكر منها تعريف السكاكي بقوله: «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضميها ثم إذا شرطت هنا شرطا هناك ضده»⁽³⁾. بمعنى الجمع بين جملتين أو أكثر متضادتين في المعنى ويعرفها الباقلاني: المقابلة هي أن يوفق بين معان ونظائرها والمضاد بضده»⁽⁴⁾. ويعرفها الرازي بقوله: «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين بين ضديهما، ثم إذا شرطهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط»⁽⁵⁾.

انطلاقا من التعريفات السابقة نلاحظ أنها متشابهة وتتفق على نقطة مفادها أن المقابلة هي إما الموافقة أو المخالفة بين جملتين أو أكثر.

1- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، 5/ 51.

2- جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ)، لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر، ج 14، د ط، د ت، ص 56-58.

3- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص 355.

4- أبو بكر محمد الطيب الباقلاني (ت403هـ) إعجاز القرآن، تعليق: صلاح بن محمد بن عريضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ، 1996م، ص 68.

5- محمد بن عمر الرازي (ت 606 هـ)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: سليمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 2003م، ص 68.

ومما يدلّ على عناية العرب واهتمامهم بآليات البديع ومنها المقابلة ووعيم بدورها الحجاجي، وما نجده في تعريفاتهم وأشعارهم وخطاباتهم، فنلقى ابن رشيق قد خصص لها بابا في كتابه العمدة وعرفها بقوله: «المقابلة: مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم، هذا حد ما اتضح عندي والمقابلة، بين التقسيم والطباق وهي تتصرف في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا: وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه»⁽¹⁾.

وأردف قوله بأنه أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة وضرب بذلك مثلا لقدامة منشدا لبعض الشعراء: (من الطويل).

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا، فَنَاصِحٌ وَفِيٍّ، وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغُلِّ غَادِرٌ⁽²⁾.

حيث يقول ابن رشيق أنه قابل بين النصيح والوفاء والغل والغدر وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب⁽³⁾.

فالمخاطب يستعمل المقابلة ليس على سبيل الزخرفة والتميق، ولكن بهدف الإقناع وذلك ما نراه في البلاغة التي تعج بالصور البديعية وملئمة بالشواهد التي تؤكد بأن الحجاج هو الوظيفة الأساس التي تقوم عليها هذه الصور بعيدا عن الصنعة والزخرفة «وإذا أدركنا أن الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي، تقوم في عمليات التفريق والإثبات و الإلحاق، وأن هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام تبين أن أساليب

1- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 15.

2- أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط01، 1302، ص 133.

3- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 15.

البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعاً للتحسين والبديع وإنما هي أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى هذا الطرح نجد أن ابن رشيق لذكر نوعاً من المقابلة والتي تسمى مقابلة الاستحقاق، ويقرب منها قول أبي الطيب: (من البسيط)

فَفَعَلُهُ مَا يَزِيدُ الْكُفَّ عَوَالِقَهُ⁽²⁾.

ويعلق ابن رشيق بقوله: لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما مناسبة وليس مضادة ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى، كما قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾⁽³⁾.

ويضيف ابن رشيق على هذا المثال أمثلة أخرى يستشهد بها لهذا الأسلوب البلاغي الذي يوظفه الشاعر في شعره لأغراض معينة فيضرب مثالا للنابغة الجعدي: (من الطويل)

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا⁽⁴⁾.

يقول فيه ابن رشيق: فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعادي، وقد اعتبر هذا جيداً ولو كان مقابلاً على وزن مقابلة في هذا البيت⁽⁵⁾. ما اختار ابن رشيق أحسن وأشعر بيت قالته العرب يتضمن المقابلة حيث يقول: سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: بين يلعب به الصبيان، قال: وما هو ذلك؟ قال: قول الشاعر: (من البسيط)

1- طه عبد الرحمن: مرآي الحجاج وقياس التمثيل، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد التاسع، 1987م، ص 18.

2- صدر البيت: رجلاه في الركض رجل واليدان يد، عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ص 1228.

3- سورة الرحمان، الآية 41.

4- ديوان النابغة الجعدي: ص 188.

5- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 16.

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ (1).

وقال يزيد بن محمد المهلبي، بقوله لسلميان بن وهب: (من الطويل)

فَمَنْ كَانَ لِلْأَثَامِ وَالذُّلِّ أَرْضَهُ فَأَرْضُكُمْ لِلْأَجْرِ وَالْعِزِّ مَعْقِلٌ (2).

كما ضرب ابن رشيق أمثلة، من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ (3).

يقول ابن رشيق أن الله عز وجل في هذه الآية قد قابل الليل بالسكون والنهار

بابتغاء الفضل وجعل بعض المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان، والأول أعجب وقال

تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٧٦﴾ (4).

كما اختار المثال الأفضل في المقابلة لبكر بن النطاح الحنفي: (من الكامل)

أَذْكَى وَأَوْقَدَ لِلْعِدَاوَةِ وَالْقَرَى نَارَيْنِنَارٌ وَغَىٰ وَنَارُ زِنَادٍ (5).

وقد عاب على نوع المقابلة كما عابها أيضا ابن الجرجاني على ابن المعتز (من

الوافر):

بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ إِحْمِرَارٌ كَمَا احْمَرَّتْ مِنَ الْخَجَلِ الْخُدُودُ (6).

1- عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن أحد العباسي: معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، تحقيق محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ، 1947م، 2/ 207.

2- المرجع نفسه، 2/ 207.

3- سورة القصص، الآية 73.

4- سورة سبأ، الآية 24.

5- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 17.

6- ديوان ابن المعتز، ص 188.

معلقا على ذلك أن الخدود متوسطة، وليست جوانب، فهذا من سوء المقابلة وأن عده الجرجاني غلطا في التشبيه، وإنما العلة في كونه غلطا ما ذكرناه⁽¹⁾.

ولقد أورد ابن رشيق في كتابه "العمدة" العديد من الأمثلة عن المقابلة وكذلك استدل بأمثلة أعدّها من أحسن المقابلات وكما عاب على بعض الشعراء لاستخدام مقابلات ساء استخدامها، كل هذا يدل على القوة الحجاجية للمقابلة وفعاليتها في التأثير في المتلقي وإقناعه بدليل أنه يعلق على أحسن المقابلات وأساءها أيضا فهذا ينبع من الاهتمام الكبير لابن رشيق يمثل هذا النوع من البديع وهو المقابلة.

والتي تحقق فائدة وقصدا في الكلام ذلك لقول ابن رشيق:

«وأصلها ترتيب الكلام» على ما يجب⁽²⁾. فوظيفة المقابلة إذا حجاجية بالدرجة الأولى وهي وظيفة أشار إليها في كتابه فهي وسيلة حجاجية ذات تأثير على المتلقي لأنها تستحضر المعنى ويجعل المتلقي يستعمل عقله لاكتشاف الضد والمقابلة.

3-7- التقسيم:

عرفه ابن الأثير بقوله: «وما يقتضيه المعنى مما يمكن وجود من غير أن يترك منها قسما واحدا، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه، ولم يشارك غيره، فتارة يكون التقسيم بلفظة "إما"، وتارة بلفظة "بين"، كقولنا بين "كذا وكذا"، وتارة بلفظة "منهم"، كقولنا منهم كذا منهم وكذا، وتارة أن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم، كقولنا فانشعب القوم شعبا أربعة، فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة، وقفت بمكانها وشعبة رجعت إلى ورائها»⁽³⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 17.

2- المصدر نفسه، 2/ 15.

3- أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، 1358هـ، 1939م، ص 262.

ويعرفه ابن رشيق بقوله: «اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدئ به كقول بشار يصف هزيمة: (من الطويل):

يَضْرِبُ بِيَدِهِ الْمَوْتَ مَنذَاقَ طَعْمِهِ وَيُذْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مِثَالِيَهُ
فَرَّاحَ فَرِيقٍ فِي الْأَسَارِي، وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَدَّ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ⁽¹⁾.

معلقا ابن رشيق على هذا البيت بقوله: فالبيت الأول قسمان: إمّا موت، وإمّا حياة تورث عارا ومثابة، والبيت الثاني ثلاثة أقسام: أسير، وقتيل، وهارب فاستقصى جميع الأقسام لا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر.

كما أورد ابن رشيق مثالا عن جيد التقسيم لنصيب: (من الطويل)

فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ: لَا، وَفَرِيقُهُمْ نَعَمْ، وَفَرِيقٌ قَالَ: وَيَحْكُ مَا نَدْرِي

يقول فيه ابن رشيق: فلم يبق جواب سائل إلا أتى به، فاستوفى جميع الأقسام وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم، كما استدل أيضا بمثال عن التقسيم في المنثور فيقول: ومن أشرف المنثور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسما رابعا لو طلبت يوجد... وقال نافع بن خليفة: «يا بني اتقوا الله بطاعته، واتقوا السلطان بحقه، واتقوا الناس بالمعروف»⁽²⁾. فقال رجل منهم:

ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا وقد أمرتنا به ... وقال أعرابي:

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 21.

2-المصدر نفسه، 2/ 21.

إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور»⁽¹⁾.

وواضح مما تقدم أن التقسيم وسيلة حجاجية، تقوم على استراتيجية تقسيم المعنى إلى أنواع متساوية بالزيادة أو النقصان فتحمل على الإقناع وأساسه الاحتجاج، كما أنه يعتمد على روابط تقوية وتسوغ هذا التقسيم مقام العطف و"أو" و"بين" و"منهم" وغيرها من الروابط الأخرى التي تقوي آلية التقسيم.

كما أورد ابن رشيق أنواعاً للتقسيم منها التقطيع، ومن أمثلة ذلك ما أنشده الجرجاني للنابغة الذبياني:

وَللهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى أَهْلَ قَبَّةٍ أَضَرَ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعًا

وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْبَرَ سَيِّدًا وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعًا⁽²⁾.

وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع فذلك هو التصريح عند قدامة، وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً⁽³⁾. وللقدماء من هذا النوع، إلا أنهم يكثرون منه كراهة التكلف وأورد مثالا لأبي دؤاد يصف فرسا، وقيل بل رجل من الأنصار:

فَالعَيْنُ قَادِحَةٌ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ، وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ

وَالشَّدُّ مَنَهْرٌ، وَالْمَاءُ مُنَحْدَرٌ وَالقُصْبُ مُضْطَمَّرٌ وَالْمَتْنُ مَكْحُوبٌ⁽⁴⁾.

وهذه الأنواع المذكورة أنفاً للتقسيم عدت معياراً لجودة الكلام أو رداءته وبناء على ذلك نظروا في تقسيمات الشعراء والخطباء فإن كان الواحد منهم قد استوفى الشروط

1- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 21.

2- المصدر نفسه، 2/ 22.

3- المصدر نفسه، 2/ 26.

4- المصدر نفسه، 2/ 27.

المطلوبة مدحوه واعتبروه من جيد التقسيم، ومن أخفق فيه أو في شروط من شروطه عايروه وانتقدوه⁽¹⁾. ولا أدل على ذلك من أن ابن رشيق يعرض لأبيات فيها صحة التقسيم وأخرى يعاب عليها هذا التقسيم ومن ذلك قوله: «وبعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت: زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول ابن أبي ربيعة:

نهيم إلى نعم، فلا الشمْلُ جامعٌ ولا الحبلُ مَوْصُولٌ، ولا أنتَ مُقْصِرٌ
ولا قُربُ نعمٍ إنْ دنتَ مِنْكَ نافعٌ ولا نأْيُهَا يُسَلِّي، ولا أنتَ تَصْبِرُ⁽²⁾.

وهذه الآلية البلاغية تحمل بعدا حجاجيا تداوليا بالدرجة الأولى وهذا ما هدف إليه (بيرلمان) حيث إنه لم يحصر في نظريته الحجاجية الهدف من توظيف الآليات والتقنيات الحجاجية بالإقناع والافتناع، بل ذهب إلى أبعد من ذلك من خلال جعل هذه الأدوات البلاغية أداة فعالية في الممارسة الفعلية، وليس مجرد تنميق وزخرفة للكلام والخطاب بل لها أهداف تأثيرية، لأن غاية الحجاج أن يجعل العقول تدعن لما يقدم لها، فالحجاج الناجح هو الذي يوفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجاتها لدى السامعين.

3-8- التفسير:

يعرفه ابن رشيق بقوله هو: «أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا، وقل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد واستدل بمثال عده من جيد التفسير، فيقول: «وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيهه به كالذي أنشده سيبويه»

خَوَى عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ خَمْسٍ كِرْكِرَةً وَتَفْنَاتٍ مُنْسٍ⁽¹⁾.

1- ينظر: علي محمد علي سلمان: الحجاج عن البلاغيين العرب: نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص 269.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 24/2.

معلقاً على ذلك ابن رشيق، لأن هذا البيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد أيضاً قول حاتم الطائي ويروي لعنتيبة بن مرداس:

مَتَى مَا يَجِيءُ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جَمْعُ كَفٍ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صِفْرٍ
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعَانِوَصَارِمًا حُسَامًا إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ
وَأَسْمَرَ خَطِيئًا كَأَنَّ لُغُوبَهُنَّوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ⁽²⁾.

حيث ذكر المال الذي سيتركه للوريث مجملاً، ثم فسر هذا المال فرسا قويا وسيفا حادا ورمحا مستقيما طويلا يزيد على العشرة أذرع⁽³⁾.

وأردف ابن رشيق قائلاً: فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمن لأنه لم يعلق كلامه كما فعل الفرزدق، ولا بما يقتضي الجواب اقتضاء كلياً، فهذا حسن عندي⁽⁴⁾.

وهذا النوع من أدوات البلاغة، وهو التفسير له صلة قوية باللسانيات التداولية وبخاصة ما جاء به (بول غرايس) في مبدأ التعاون وقواعد المحادثة، فابن رشيق ينص في التفسير على التوضيح والابتعاد عن الغموض والتضمن وهو شرط من شروط قاعدة الأسلوب أو الكيفية عند (غرايس) حيث وجب على المتكلم تجنب غموض العبارة واللبس وذلك بغرض حصول التفاعل والتفاهم.

1- ديوان الحجاج: رواية عبد المالك بن قريب الأصمعي، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلسي، دمشق، 2/199.

2- في ديوانه: متى يأتي وراثي بيتغي الغنى يجد جمع كف غير ملء ولا صفر ديوان حاتم الطائي، شرحه وضبطه، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ص 57.

3- محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق، بيروت، لبنان، ص 57.

4- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 36/2.

كما أضاف ابن رشيق في هذا الباب جانباً آخر للتفسير فيقول: «ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالأقل، وهو من باب الإيجاز والاختصار» وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح، مستندلاً بقول أبي الطيب:

مَنْ مَبْلُغِ الْأَعْرَابِ أَنِي بَعْدَهَا	جَالَسْتُ رُسْتَائِيسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وَمَلَّتْ نَحْرَ عَشَارِهَا فَأَضَافَنِي	مَنْ يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّضَارَ لِمَنْ قَرَى
وَسَمِعْتُ بِظَلِيمُوسٍ دَارَسَ كُتْبَهُ	مُتَمَكِّمًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرَا
وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا	رَدَّ إِلَهُهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا
نَسَقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمَا	وَأَتَى فَذَلِكَ إِذِ اتَّيْتُ مُؤَخَّرَا ⁽¹⁾ .

وقد عده ابن رشيق من التفسير المليح قليل النظير في أشعار الناس واختار هذا الأخير للتفسير الحسن والجيد سواء في الشعر أم النثر ينم عن ذوقه وإحساسه المرهف وحسن اختياره للأفضل الذي يجعل الشاعر مبدعاً ومقنعا بتوظيفه لهذه الأدوات البلاغية وقد استدل أيضاً بأمثلة أخرى عن التفسير المستحسن لأبي الطيب: (من البسيط):

إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجَدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسًا

وقد علق عليه ابن رشيق بقوله: ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير⁽²⁾.

والملاحظ مما سبق عن الطريقة التي يأتي عليها التفسير في الإيجاز والاختصار فهي ذات بعد تداولي تدخل في قواعد الأسلوب والكيفية والتي تتمثل في التكلم بإيجاز والتسلسل في الكلام.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 37/2.

2- المصدر نفسه، ج 02، ص 38.

3-9- التتميم:

يعرفه أبو هلال العسكري بأنه: «أن توفي في المعنى حظه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره»⁽¹⁾.

وقد قال فيه الزركشي: «هو أن يتم الكلام، فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازا، أو احتياطا، وقيل: هو أن يأخذ معنى فيذكره، غير مشروح، وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا»⁽²⁾.

وقد قال ابن رشيق: «معنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئا يتم به حسنه إلا أورده، وأتى به، وإما مبالغة، وإما احتياطا، واحتراسا من التقصير»⁽³⁾.

فمعنى التتميم إذا يدور حول زيادة الناقص ليصبح تاما بإضافة لفظ أو معنى في الكلام، وغايته بلاغية وهي قد تكون للمبالغة أو لرفع الإبهام وإزالة الغموض.

ويورث ابن رشيق مثلا عن التتميم في القرآن الكريم ويقول: والأصل في هذا القول عز وجل: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾⁽⁴⁾. ويعلق

على ذلك بقوله: «فقوله (على حبه) هو التتميم والمبالغة في قول من قال إن الهاء ضمير الطعام وإن كان كتابه عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب».

1- أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،، تحقيق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1371هـ، 1952م، ص 389.

2- عيسى الباجي الحلبي: البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1376هـ، 1957م، 3/ 70.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 50.

4- سورة الإنسان، الآية 8.

وقوله أيضا: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً^ط وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾»⁽¹⁾. فقد ذكر في مصطلح الآية «من» التي تضرب للعاقل على إطلاقها ثم تمّ النقص وجبره بقوله بعدها (من ذكر أو أنثى) فلو ترك اللفظ على إطلاقه لأخذه المتلقون مأخذا لا يرمي إليها الخطاب هنا، إذا لتوهموا أن المقصود جنس من دون جنس، فسد عليهم باب كل تأويل بأن قال: «من ذكر أو أنثى» فالتميم هنا لم تقف فائدته عند حدود الجملة التي ورد فيها، بل تعدته ليشمل السياق كله وليتناسق تناسقا جميلا مع المشهد ككل في رسم صورة بلاغية دقيقة⁽²⁾.

ومن الأمثلة التي اختارها ابن رشيق في الشعر نجد من أناشيد قدامة والحاتمي وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوي:

رِجَالٌ إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ
وَيَعْطُوهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

قال الحاتمي: «فإن المعنى ثم بقوله «ويعطوه» وإلا كان ناقصا⁽³⁾.

ومن التتميم الحسن الذي استدل به ابن رشيق قول امرئ القيس:

عَلَىٰ هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سؤَالِهِ
أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَاوِي

معلقا على ذلك ابن رشيق قوله: فقوله «قبل سؤاله»: تتميم حسن لقوله «أفانين جرى»

والملاحظ هنا أنّ التتميم يندرج تحت ظل التداولية؛ لأنّ الغرض من الكلام هو تحقيق وإحراز الفائدة ولا يتحقق هذا الهدف إلا باستيفاء وإتمام الكلام سواء في المعنى أو في اللفظ.

1-سورة النحل، الآية 97.

2- فويدر قيطون: بلاغة التتميم والتكميل في القرآن الكريم مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ص 67.

3-أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، مصدر سابق، 51.

فإنه لمن الممكن القول: إن هذه الخاصية البلاغية التي تلح على ضرورة إتمام المعنى في الكلام واقتران القول: «فانتفاع السامع وتحقيق الفائدة، تتماثل إلى حد بعيد من حيث المعنى الذي تنحوه التداولية، حيث اهتمت هذه الأخيرة بضرورة تحقيق الفائدة والمنفعة من الكلام.

ونلفي ابن رشيق في باب المبالغة يعيب على استخدامها والإكثار منها فيقول ويورد آراء لبعض الناس في المبالغة فيقول: «ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم، ومنهم من يعيبها وينكرها ويرأها عيباً وهجنة في الكلام، قال بعض الحذاف ينقد الشعر ولما أحالت المعنى، ولبسته على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام وبالشكل في الشبهين ويورد مثالا لأبي تمام النحيم يصف عرق الخيل:

كَأَنَّهُ مِنْ عَرَقِ يُسَرَ بَلُّهُ كَرَسِفِ النَّدَافِ لَوْثًا بَلُّهُ

معلقاً على ذلك بقوله: «فإنه لو قال: إنه الكرسف: لم يكن في حسن هذا لأنه يشهد يتقارب الشبهين إلى أن وقع في الشك والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى سن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال، ويهول مع ذلك على السامعين، وإنما يقصدها من ليس بمتكمن من محاسن الكلام أن تمكنه، ولا يتعذر عليه وتتجذب كلما أرادها إليه، انقضى كلامه⁽¹⁾.

وبهذا نجد أنّ ابن رشيق ينحو منحى تداولياً وبخاصة لما جاء به «بول غرايس» في قواعد مبدأ التعاون في قاعدة الكم والتي تشترط في الحوار أن تكون إفادة المخاطب على قدر الحاجة وأن لا تتجاوز الحد المطلوب، فهو بذلك يوجه الشاعر أن لا يببالغ ولا يتجاوز الحد في كلامه أو شعره بغرض تحقيق الفائدة أو الكيفية فيتجنب الغموض والتكلم بإيجاز.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 54/2.

3-10 التكرار:

أشار العديد من النقاد إلى مفهوم التكرار، إذ نجد ابن الأثير (637هـ) يقول: «هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا»⁽¹⁾. إذن هو عند ابن الأثير ينقسم إلى قسمين:

1- تكرار في اللفظ والمعنى.

2- تكرار في المعنى دون اللفظ⁽²⁾.

وقد تطرق ابن رشيق في كتابه: العمدة إلى أسلوب التكرار إذ اعتبره ظاهرة فنية موجودة في أساليب العربية، كما ذكر المواضع التي يحسن فيها والتي يقبح فيها هذا الأسلوب فيقول: «وللتكرار موضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ في دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميع ذلك الخذلان بعينه ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشويق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب»⁽³⁾.

فحسب قول ابن رشيق نجده يقسم التكرار إلى ثلاثة أقسام القسم الأول في تكرار اللفظ دون المعنى، وهو الشائع في كلام العرب، والثاني تكرار في المعنى دون اللفظ وهذا ما يحبه ويستحسن، وأما الثالث فهو تكرار في اللفظ والمعنى معا، إذا أطلق عليه بلفظة الخذلان ذاته وهو يعد من سلبيات التكرار بالإضافة إلى ذلك نجد أن ابن رشيق لا يجعل التكرار يرتبط بغرض واحد وإنما يشتمل جميع الأغراض سواء الغزل أو النسيب أو المدح أو الذم أو التشويق ... الخ، فهو بذلك يهتم بالجانب الدلالي للتكرار على حساب الجانب الإيقاعي له.

1- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، تح: الشيخ كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 110.

2- المرجع نفسه، ص 137.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 74-73/2.

ويستدل ابن رشيقي في ذلك بقول أبي الأسد:

وَلَايْمَةَ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا، هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لِنْتِنَى الْفَيْضِ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْتَى السَّحَابُ عَنِ الْقَطْرِ؟
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِيَوْمَ تَحَمَّلُوا إِلَى الْفَيْضِ لِأَقْوَا عِنْدَهُ لِيَأْتِيَ الْقَدْرَ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَادِ الْقَفْرِ

معلقاً على ذلك بقوله: فتكرير اسم الممدوح هنا تنويه به، وإشارة بذكره، وتفخيم له في القلوب والأسماع⁽¹⁾.

أو يأتي التكرار على سبيل التقرير والتوبيخ كقول بعضهم:

إِلَى كَمْ وَكَمْ أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تَبِيئِي أَعْضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمِي

فقد أعاد الشاعر في هذا البيت (كم وكم) مرتين (وعنها) مرتين كان ذلك أفقياً فهو يعدد كم من تصرف يقلقه ويزعجه لكنه يتغاضى الأمر فيقول لهم أنا لست أعمى بل أن أرى كل شيء فيكم، فالغرض هنا التقرير مع التوبيخ من جهة أخرى:

ويقول أبو تمام الطائي:

تَعَظَّمْتَ عَنْ ذَاكَ التَّعَظُّمِ هُمْ وَأَوْصَاكَ عَظْمُ الْقَدْرِ أَنْتَنْبَلَا

فالألفاظ المكررة هنا (تعظمت، التعظم، عظم) فالشاعر أراد أن يبلغنا بأن تكبره وعظمته زادت بالرغم من التواضع الذي أوصانا إياه الله، فإحساس الشاعر بالتكبر جعله

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 74 / 2.

يكرر هذه اللفظة، حيث قال فيه ابن رشيق ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي والمقصود منه أنه أكثر من هذه اللفظة (1).

أو على سبيل التعظيم ما أنشده سيبويه: (من الخفيف)

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَعَصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ (2).

وهنا التكرار في لفظة (الموت) فهو لا يرى شيئاً يسبق الموت، فالموت يقطع على الغنى والفقير، حيث ساهم هذا التكرار في إيضاح المعنى وتقويته (3).

وتارة يأتي على وجه التوجع إن كان رثاء وتأبيناً ويأتي للاستغاثة وللهجاء وغيرها من الأغراض الأخرى، وقد وظفها القرآن توظيفاً رائعاً يصور أشكال متعددة وفي مقامات مختلفة واستدل على ذلك ابن رشيق بآيات من سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الرَّبِّ كَمَا تُكذِّبَانِ﴾ (4)، فإننا نجد تكراراً لم يشهده الخطاب القرآني من قبل، حيث لم تحدث أن تكررت آية إحدى وثلاثين مرة في سورة واحدة، وقد تكررت هذه الآية بغرض التقرير بالنعمة المختلفة والمتعددة، فكلمة عدد الله النعم التي أنعمها على خلقه وبخ المكذبين بها.

والتكرار لا يقتصر على القيمة الجمالية والفنية فقط، بل يشمل أكثر من ذلك في تبيان القيمة الحجاجية له وأثره في إقناع المخاطب لأن له أبعاداً نفسية تجعل الشاعر يؤدي أغراضاً متعددة تؤثر في المتلقي فيحقق بذلك وظيفة حجاجية متمثلة في التأثير والإقناع بكلام المبدع، فالتكرار إذن وسيلة بلاغية يقصد بها تقوية الحجة عن طريق تأكيدها وإعادتها.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 75/2.

2- سيبويه (عمرو بن عثمان بن فنبر): الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/106.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 75/2.

4- سورة الرحمن، الآية 13.

كما جعل ابن رشيق لهذا النوع بابا آخر من التكرار وهو المذهب الكلامي وهو «أن يورد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزما للمطلوب»⁽¹⁾، وقد قال فيه ابن المعتز: وهذا باب ما علمت أنني وجدت منه في القرآن شيئا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا⁽²⁾.

وقد أنشد الفرزق:

لِكُلِّ امْرِئٍ نَفْسَانٌ: نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَأُخْرَى يُعَاصِيهَا الْفَتَى وَيُطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا وَلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا⁽³⁾.

وقد تم إعادة النفس في البيت الأول (نفسان، نفس، نفسك، نفسك)، والبيت الثاني (شفع، وشفيعها)، ولكن معناها يختلف في كل موضع بمعنى ذلك أن لكل إنسان نفسين نفسا مطمئنة مطيعة ونفسا تعصي الله وتغضبه، وإن هذا التكرار أسهم في توضيح المعنى للسامع قصد ترسيخه في ذهنه، كما أحدث إيقاعا موسيقيا.

وهذا التكرار عند ابن رشيق من المواضع المستحسنة؛ لأنّ اللفظ فيها مكرر والمعنى مختلف.

فالتكرار إذا لا يراد منه الاقتناع فقط وإنما يراد منه أحيانا تغيير السلوك غير المرغوب فيه، أو الممارسة الفورية لفعل ما يلح عليه التكرار ويدفع نحوه، وهذه قضية التفت إليها البلاغيون المحدثون اليوم⁽⁴⁾.

1- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف السميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 305.

2- الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مرجع سابق، 2/ 78.

3- ديوان الفرزدق، ص 405.

4- علي محمد علي سلمان: الحجاج عند البلاغيين العرب، ص 273، نقلا عن: حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 273.

وتسمى (باربرا جنسون كوتش) (b.j. KOTCH) هذه الاستراتيجية البلاغية باستراتيجية الإقناع بالتكرير»⁽¹⁾.

فاهتمام ابن رشيق بأسلوب التكرار وتقسيمه وتصنيفه إلى مستحسن وغير مستحسن يعود إلى فطنته وذوقه في التفريق والتمييز بين الأساليب والأشياء وحسن التحكم في المفاضلة بين الشعراء، إذ يقول السيد شفيع: «من حق ابن رشيق أن نشيد بما قرره في أول كلامه من حسن التكرار حيناً وقبحه حيناً آخر، فتلك نقطة تحسب له وتشهد بفطنته وحسن تذوقه وإن كنا نلاحظ أنه لم يهتد إلى الأساس الفني الذي يمكن الاستئناس عليه في هذا المجال، أما قضية تقسيم التكرار فهو تقسيم عقلي يدل على إيمان ابن رشيق بأن لكل من اللفظ والمعنى كيانه المستقل، وأنهما لهذا يتكرران معاً، وقد يتكرر أحدهما دون الآخر»⁽²⁾.

ومع ذلك فابن رشيق قد تطرق وتعمق في طرح العديد من أغراض التكرار التي لها بعدا حجاجيا تداوليا في إقناع المتلقي والتأثير فيه وفق مقامات تداولية.

4- نظرية الأفعال الكلامية عند ابن رشيق:

يشير مصطلح الفعل الكلامي في التداوليات إلى كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، حيث يتوصل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعيد والوعد وتجليات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول⁽³⁾ حيث يروم هذا المبحث إلى عرض بعض المقترحات والأغراض الشعرية لابن رشيق في العمدة، مما له علاقة وطيدة بنظرية أفعال الكلام (Les actes de parole) بغرض بيان

1- السيد شفيع: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، مرجع سابق، ص 216-217.

2- المرجع نفسه، ص ص 216-217.

3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط01، 1429هـ-2008م، ص 54-55.

أن ما يزرخ به كتاب العمدة من اقتراحات وأغراض وأساليب لا تقل أهمية عما جاء به الباحثون في اللسانيات التداولية، وبخاصة في مجال نظرية الأفعال الكلامية، وهذا ما دفعنا إلى إقامة دراسة تقابلية بين هذه النظرية وما جاء به ابن رشيق مع وعينا العميق بوجود فروق منهجية ومعرفية بينهما وذلك راجع إلى اختلاف المناخ والبيئة المعرفية والمرجعيات.

4-1 النسيب: إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن وقد يذهب عن قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما، أن الغزل هو المعنى الذي اعتقده الإنسان في الصبورة إلى النساء نسب بهن من أجله، فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه»⁽¹⁾.

ويتضح من خلال هذا أن النسيب هو الشعر الذي يتضمن الغزل، وقد قال فيه ابن رشيق أن حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار»⁽²⁾.

ما نستشفه من هذا التعريف هو أن ابن رشيق يركز على معايير معينة في النسيب وهي اختيار الألفاظ الحلوة المستعذبة، وهذا الشرط لا يتوفر إلا إذا جاءت في تراكيب متناسقة ومناسبة لها يسوقها مقام معين تتوافق معه.

فلما بين ابن رشيق ما يجب أن يكون عليه النسيب وهو تقريب الألفاظ إلى قلب السامع، وتقريب المعاني بطريقة سهلة بعيدة عن التعقيد والغموض، فهي بذلك تراعي الموقف النفسي، وهذا هو الغرض الإنجازي من أسلوب النسيب الذي يوظفه الشاعر في شعره، ولذلك جني الفائدة من شعر الشاعر أو خطاب المتكلم ومراعاة الأحوال التي

1- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر-القاهرة، 2013م، ص 727.

2- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، مصدر سابق، ص 116.

يكون عليها المتلقي، فالإفادة قرينة تداولية مهمة في تحقيق إنجازية الخطاب وضمان نجاحه.

ولما كان الغرض من هذا النسب هو إفادة المتلقي باستخدام ألفاظ وصيغ سهلة وبسيطة، نتيقن منها أن النسب غرض تداولي بالدرجة الأولى، يراعي فيه حال السامع بتقريب الألفاظ والمعاني وتسهيلها، بالإضافة إلى الإيجاز والوضوح، لأن الإطالة والغموض مدعاة للملل والسأم والضجر.

والنسب بلغة (سيرل) والتداوليين المعاصرين فعل كلامي يمكن إدراجه ضمن صنف التعبيرات (البوحيات) والذي غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية.

وقد أورد ابن رشيق قول الحاتمي، يتحدث عن حكم النسب قائلاً: «من حكم النسب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح وذم، متصلاً به غير منفصل عنه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويتفق بهم على محجة الإحسان»⁽¹⁾.

والمقصود من ذلك أن يتبع النسب غرض آخر كالمدح أو الذم لكي لا يكون هناك ضجر وملل وفاصل يشعر من خلال السامع بنفور وعدم توافق في الشعر وعدم اتزان وعليه أو يواصل غرض بغيره آخر وشبه ذلك بالجسد الواحد الذي إذا نقص منه عضو أصبح للجسم عاهة وعيب ونقصان، كذلك هو غرض النسب.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 117.

ومن جيد النسب قول الوليد بن عبيد البحر:

رَدَدْنَ مَا خَفَّتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَآزِرِ فَاسْتَنْقَلْنَ أَرْدَافًا
إِذَا نَضِينَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةَ قَشْرَ نَعْلُولِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا

وقد قال فيه ابن رشيق: «والبحرني أرقى الناس نسبياً، وأملحهم طريقة»⁽¹⁾.

كما استدل ابن رشيق لامرئ القيس وقال: وكان الأصمعي يقول أغزل ما قالته العرب
قول امرئ القيس:

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا تَضْرِبِي سَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ⁽²⁾.

فالسباق الذي يعالجه ابن رشيق في النسب هنا هو سياق تداولي، حيث يقول
بتأويلها في شكل أفعال كلامية تعبر عن الأغراض التواصلية للشاعر ومقاصده التي
أنجزت من خلال هذه الأبيات التي يقدمها كالنسيب في هذا الصدد.

4- 2 المدح:

المدح في فطرة الإنسان، لأنه إحساس الكبرياء التي هي عمود الإنسانية فيه⁽³⁾.
وهو غرض من أغراض الرسائل التي تعنى بإبراز المناقب والفضائل⁽⁴⁾، وقد جاء في
كتاب القاموس للفيروز أبادي: مدحه كمنحه مدحا ومدحة: أحسن الثناء عليه... والمدح
والأمدوحة ما يمدح به، جمعه، مدائح، وأماديح⁽⁵⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 119.

2- ديوان امرئ القيس، ص 13.

3- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ وآداب العرب، ص 710.

4- محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط02، 1419هـ-1999م، 2/ 775.

5- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين: القاموس المحيط، مادة (مدح)، ص 240.

وقد أورد ابن رشيق بابا للمديح، وقد ذكر الشاعر بأن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك- التقصير والتجاوز والتطويل، فإن للملك سامة وضجرا ربما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرّم من لا يريد حرمانه، ورأيت عمل البحترى -إذا مدح الخليفة- كيف يقل الأبيات، ويبرز وجوه المعاني، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته وبلغ مراده، وقد حكى عن عمارة أن جده جريرا قال: يا بني إذا مدحتهم فلا تطيلوا الممادحة، فإنه ينسى أولها، ولا يحفظ آخرها إذا هجوتهم فخالفوا»⁽¹⁾.

ما نستشفه من هذا الحديث عن الطريقة التي يجب على الشاعر أن يسلكها في مدح غيره وذكر الفئات التي تتلقى هذا المدح وتعرضه لطريقة المدح لكل من هذه الفئات على حسب رتبته ومقامه، وذلك بأن يلتزم الإيضاح ويبرز المعاني وأن تكون جزلة وألفاظ شعره مختارة نقية حسب حالة الممدوح ومكانته، كما اشترط في المادح عدم الإطالة والاختصار مراعاة لحالة ممدوحه النفسية، فالمدح وسيلة للتعبير عن الواقع وعن صفات الممدوح والتغني بفضائله.

كما أورد ابن رشيق كيفية مدح الكاتب والوزير فيقول: «وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره، وكذلك ما ناسب حسن الروية وتسرع خاطر بالصواب وشدة الحزم، وقلة الغفلة، وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المفضلات بالرأي أو بالذات»⁽²⁾. حيث ركز على مبدأ القصد والمقام في مدح الكاتب والوزير والنظر إلى المكانة التي يحظى بها كلا منهما، ومن ذلك على الشاعر أن يتروى وأن يكون صائبا في لفظه وشديد الحزم واستخدام الألفاظ المناسبة في هذا السياق، واستدل ابن رشيق بقول أبي نواس:

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 128/2.

2- المصدر نفسه، 134/2.

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَأَمَّا كَفَيْتَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكَفَى تُشِيرُ

وقد علق على ذلك بقوله: «إنه محمود السيرة، حسن السياسة، لطيف الحس، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة والحظ والتفنن في العلم كان غاية.

ويضيف أيضا في المدح فيقول: «ويمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف وتقريب البعيد في الحق وتباعد القريب والأخذ للضعيف من القوي، والمساواة بين الفقير والغني وإنبساط الوجه ولين الجانب، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق»⁽¹⁾.

ونلاحظ أن ابن رشيق أشار في توجيهاته للشاعر طريقة مدحه في الشعر حسب الحالة والممدوح وحسب المقام والسياق الذي ورد فيه الشعر فهو ينتهج مقولة: لكل مقام مقال، كما نبه إلى مبدأ القصد والإفادة فهي مفردات تقوم عليها نظرية أفعال الكلام عند "أوستين" واعتماد ابن رشيق على هذين المبدأين مع مراعاة غرض الشاعر من شعره يعد قرينة تداولية قوية في الدراسة اللغوية كما يندرج هذا الغرض (المدح) تحت مسمى التعبيرات التي جاء بها "سورل" في نظرية الأفعال الكلامية والتي الهدف منها التعبير عن الحالة النفسية والمشاعر والمواقف بواسطتها يتحقق الفهم والإفهام مع مراعاة طبقات المتلقين واختلاف مستوياتهم.

4-3- الافتخار:

وقد عدّه ابن رشيق من المدح نفسه، ولكن الشاعر يخص نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار⁽²⁾.

وقد أورد ابن رشيق أفرخ بيت قاله شاعر قول امرئ القيس:

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 135.

2- المصدر نفسه، 2/ 143.

مَا يُنْكِرُ النَّاسَ مَنَاحِينَ يَمْلِكُهُمْ كَانُوا عَبِيدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابًا؟

وقال دعبل بن علي: أفخر الشعر قول كعب بن مالك:

وَبِبَيْرِ بَدْرِ إِذْ يَرِدُ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدٌ⁽¹⁾.

والواضح مما سبق ذكره عند ابن رشيق أن الفخر نفسه المدح فبذلك هو يتقاطع وينسجم مع ما ذهب إليه (سيرل) وهو يصدر تصنيف الأفعال الكلامية تحت عنصر التعبيرات.

4-4-الثناء:

وهو من الأغراض التي عرفت انتشارا واسعا في العصر الجاهلي، وهو يعد نوعا من أنواع المدح، يذكر فيه صفات الشخص الميت تضاف إليها مشاعر الحزن والأسى، وقد قال فيه ابن رشيق أنه: «ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالثناء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل: "كان" أو "عدمنا به كيت وكيت" وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت، كما أشار ابن رشيق في سبيل الرثاء «أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إذا كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا⁽²⁾، واستدل لذلك بقول النابغة في حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنَ ثُمَّتَابِي نَفُوسَهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنِ وَالْجِبَالِ جُنُوحُ
وَلَمْ تَلْفَظْ الْمَوْتَى الْقُبُورَ، وَلَمْ تَزَلْ نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَيْمِ صَحِيحُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ لَمْ تَجَأْ نَعِيَهُ فَظَلَّنَدِي الْحَيَّ وَهُوَ يَنُوحُ⁽³⁾.

1-القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 144/2.

2-المصدر نفسه، 147/2.

3- ديوان النابغة الذبياني، ص 21.

وقد علق عليه ابن رشيق بقوله: فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلة⁽¹⁾.

كما نجد ابن رشيق في هذا الباب يبين لنا نوعاً من أشد الرثاء صعوبة يقول فيه: «ومن أشد الرثاء صعوبة يقول فيه: ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب وهو فحل مجود إذ ذكر المحدثون في قوله يذكر أم لسيف الدولة:

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقَنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكْفَنِ بِالْجَمَالِ»⁽²⁾.

فقالوا: ما له ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال صاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز، فقد اعترض في موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة في هذه القصيدة، على أن ما فيها ما يحو كل زلة ويعفى على كل إساءة⁽³⁾.

فابن رشيق يبين فيما سبق أن الرثاء يصلح في مواقف وأشخاص معينة شريطة أن تكون هذه الشخصية من الرجال وتحتل مرتبة عالية بين قومها، ويكون الرثاء للنساء إذا كانت من الملوك وبنات الأشراف فيقول: «فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حذاق الشعراء إليها ويعتمدون في الرثاء عليها ما لم تكن المرتبة من نساء الملوك وبنات الأشراف، وغير ذوات محارم الشاعر، فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها»⁽⁴⁾.
نحو قول أبي الطيب: (من الوافر)

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 147.

2- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 13.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 154-155.

4- المصدر نفسه، 2/ 157.

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفَضَّلْتَ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ⁽¹⁾.

كما اختار ابن رشيق في رثاء الميت المعاني والصفات اللاتئة بكل ممدوح، وعد موته رزءا عظيما، وذلك لاستمالة السامع والتأثير فيه وإثارة مشاعر الوجدان في النفس البشرية مع مراعاة الطبقات والمستويات المختلفة للميت، ووفق هذا الطرح الذي قدمه ابن رشيق وتصوره لطريقة الرثاء يمكن القول: إن هذا الأخير من الأغراض المقامية التي تحمل في ثناياها بعدا استراتيجيا تداوليا يندرج ضمن نظرية الأفعال الكلامية التي طرحها (أوستين) تحت مسمى "السلوكيات" وهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين أو بالسلوك الاجتماعي⁽²⁾.

4-5- الاقتضاء والاستنتاج:

لقد اهتم ابن رشيق بهذا الغرض وهو ما دعاه بالاقتضاء والاستنتاج، والاقتضاء يعني به الخشن، حيث إنه يعتمد على عاطفة التحنان التي ترجع إلى انفعال قد يكون الحرمان وهو لا يرى مسوغا لخلط موضوع الاقتضاء بموضوع العتاب، حيث يقول ابن رشيق: «وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء والاقتضاء في العتاب وأنا لا أرى غير هذا المذهب أصوب، فالأقتضاء طلب حاجة، وباب التلطيف فيه أجود، فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة وفيه توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين وساروا بينهما»⁽³⁾.

فالعتاب يتميز عن الاقتضاء بطلب الوصل أو التوبيخ أو المعارضة.

1- ديوان أبي الطيب المتنبي، 3/ 182.

2- طالب سيد هاشم الطبطائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 10.

3- القبرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج02، مصدر سابق، ص 158.

وعلى هذا الأساس يشترط ابن رشيق أن يكون التعبير الشعري المتعلق بموضوع الاقتضاء لطيفا وهجاؤه إن هجا عفيفا، فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان وداعية القطيعة والهجران»⁽¹⁾.

فحسب ابن رشيق لأبد أن يكون الشاعر مدحه شريفا واقتضاؤه لطيفا، وبذلك فهو يراعي مشاعر المتلقي وحالته النفسية.

وبالتالي نستطيع القول أن هذا الغرض الشعري يندرج ضمن ما يسمى بـ (التعبيريات) التي جاء بها (سيرل) في نظريته أفعال الكلام والتي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، وقد يندرج أيضا ضمن (التوجيهات)، لأن الاقتضاء يكون لطلب الحاجة أي طلب إنجاز الحاجة، والشيء والتوجيهات أفعال الغرض منها جعل المخاطب يقوم بعمل ما⁽²⁾.

وقد اختار ابن رشيق أحسن الاقتضاء، قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان: (من الوافر)

أَنْذِرْ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي	حَيَاؤُكَ؟ إِنْ شِيمَتَكَ الْحِيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ	لَكَ الْحَسْبُ الْمُهَذَّبُ وَالنِّسَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَّاحٌ	عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
فَأَرْضُكَ كُلُّ مُكْرَمَةٍ بِنْتِهَا	بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَىكَ الْمَرْءُ يَوْمًا	كَفَاهُ مَنْ تَعْرَضَهُ التَّثَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مُكْرَمَةً وَجُودًا	إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْرَهُ الشِّتَاءُ

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، ج02، ص 158.

2- باديس لهويل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت 626هـ-)، مرجع سابق، ص 26.

معلقا عليه ابن رشيق بقوله: «فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ويستنزل القطر، ويحط العصم إلى السهل؟؟»⁽¹⁾.

4-6- العتاب:

العتاب ظاهرة اجتماعية حتمية في نفوس الكثير من البشر، وهو مزيج بين نوعين من الأفعال وهما: الحب والبغض، فالشاعر يترك جفوة بينه وبين من أساء إليه ويسالك في ذلك طرقا للعتاب، كذلك الهجاء تعبير عن موقف انفعالي تجاه لحظة غضب.

ولقد عرفه ابن رشيق بقوله: «العتاب وإن كان حياة المودة وشاهد الوفاء، فإنه باب من أبواب الخديعة، يسرع إلى الهجاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية الألفة، وقيد الصحبة، وإذا كثر خشن جانبه، وثقل صاحبه»⁽²⁾.

وهذا ما لا يراه ابن رشيق مناسبا للعتاب إذ يدعو إلى عدم التسرع بالحكم على المخاطب، وما يدخل العتاب ضمن نظرية الأفعال الكلامية أنه بحث المتلقي على إنجاز فعل التواصل والمراسلة، وابن رشيق أيضا يدعو إلى البعد عن القطيعة والجفاء، وأن يدعو إلى الألفة وحسن العتاب.

وقد عدد لنا طرائق العتاب في هذا الباب قائلا: وللعتاب طرائق كثيرة، والناس فيه ضروب مختلفة، فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف، ومنه ما يدخله الاحتياج الانتصاف.

ومن هذا الجانب يمكن إدخاله كآلية من الآليات الحجاجية التي يستخدمها الشاعر وقد يعوض فيه المن والإجحاف مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 158.

2- المصدر نفسه، 2/ 160.

ومن ذلك يقدم لنا أحسن الناس طريقا في العتاب منهم الأشراف، شيخ الصناعة
وسيد الجماعة أبو عبادة البحري الذي يقول: (من الطويل)

وأصيد إن نازعتُ اللحظ رده
كليئاً، وإن راجعتُ القول جمماً
نشأ العدى عني فأصبح معرضاً
وأوهمته الواشون حتى توهماً
وقد كان سهلاً واضحاً فتوعرت
رباه وطلقاً ضاحكاً فتجهما
أمتخذ عني الإساءة محسن
ومنتقم مني امرؤ كان منعماً؟
ومكتسب في الملامة ماجد
يرى الحمد غنماً واللامة مغرمًا⁽¹⁾.

كما يذكر ابن رشيق معاتبة المتنبي لسيف الدولة فيقول:

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة، وفي عتابه شدة، وكان كثير التحامل، ظاهر
الكبر والأنفة وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة: (من البسيط)

يا عدل الناس إلا في معاملتي
فبك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب السحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
إذا استوت عنده الأتوار والظلم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أبي
وأسمعت كلماتي من بهصم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسنهر الناس جراها ويختصم
وجاهل مدھفي جهله ضحكي
حتى أتته يد فراسة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم⁽²⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 161.

2- عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ص 1228.

كما نلاحظ من مفهوم ابن رشيق والأبيات التي استدلت بها في عرض العتاب تجعلنا ندرك أن هذا الغرض يندرج ضمن ما يسمى بالتوجيهات (Directives) وهي قسم من أقسام الفعل الكلامي، كما تسمى أيضا بالأمريات: «وهي نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء⁽¹⁾، وغرضها الإنجازي هو توجيه المخاطب إلى الفعل ومحاولة التأثير فيه⁽²⁾، حيث تنقسم إلى قسمين توجيهات نفسية وتوجيهات طلبية، أما العتاب فيندرج تحت التوجيهات النفسية، وهي توجيهات يصدرها المتكلم أو الشاعر في شكل انفعالات يعبر بها إلى المتلقي كي يحثه ويرشده وينبهه.

4-7- الوعيد والإنذار: يقول ابن رشيق في هذين الغرضين أنه: «كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء، ويحذرون من سوء الأحداث، ولا يمشون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها.

واستدل بأبيات من قول ابن مقبل: (من الطويل)

بني عامر، ما تأمر ونبشاعرٍ تخير آيات الكتاب هجائياً؟

أأعفوا كما يعفو الكريمفانني أرى الشعب فيما بيننا متدانياً

أم أغمض بين الجلد واللحم غمضةً بميرد رومي يقط النواصيا

فأما سراقات الهجاء فاتهاها كلام تهاداه اللئامتهاديا

أم أخبط خبط الفيل هامة رأسه بجرّد لا يبقى من العظم باقيا

1- جورج بول: التداولية، تر: قصي العنابي الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ط01، 1431هـ-2010، ص 90.

2- ينظر: هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، مرجع سابق، ص 31.

وَعِنْدِي الدَّهِيمُ لَوْ أَحَلَّ عُقَالَهَا فَتُصْبِحُ لَمْ تَعْدَمِ مِنَ الْجِنِّ حَادِيًا»⁽¹⁾.

شبه القصيدة التي لو شاء هجاهم بها الدهيم وهي الداهية، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الدهلي، التي حملت رؤوس بنيه معلقة في عنقها، فجاءت بها الحي فضرب بها المثل للداهية⁽²⁾.

حيث أنّ هذا الغرض الشعري (الوعيد والإنذار) نجده ماثلاً في تصور "سيرل" في درس التداولي المعاصر، حيث يندرج ضمن ما سماه بالتوجيهات، ولاسيما في القسم الثاني منها وهو التوجيهات الطلبية، وهي توجيهات تصدر من المتكلم، لتوجيه المتلقي أو التأثير عليه مع خلوها من الجانب الشعوري غالباً، وينبغي أن يكون خلوها من الجانب الشعوري غالباً، وينبغي أن يكون قابلاً للتنفيذ⁽³⁾، والوعيد والإنذار يعدان إعلان توجيهيان.

4-8-الهجاء: يعد الهجاء أحد موضوعات الشعر التي اهتم بها الشعراء قديماً وحديثاً حيث يتناوله الشاعر بالذم والتشهير بعيوب خصمه المعنوية أو الجسمية، ويعتبر نقيض المدح.

والهجاء فن قديم قدم عاطفة البغض والغضب والميل الفطري إلى نقد النقائص والمعائب، فهو من الفنون الأدبية الغنائية التي عرفت في الآداب العالمية، ووجدت في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، وهذا الوجود أمر طبيعي مرتبط بوجود أناس يستحقون الهجاء، وهذا الفن ذو مجرتين: شعري ونثري⁽⁴⁾.

1-ديوان ابن مقبل: تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب-سورية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1416هـ-1995م، ص 287.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 167-168.

3- محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة، دراسة تداولية، إشراف: جودي مرداسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 177.

4- قحطان رشيد التميمي: اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت/لبنان، ط01، (د.ت)، ص 11.

وقد أورد ابن رشيق مثالا لأبي عمرو بن العلاء أنه قال: "خير الهجاء ما تنشده العذراء في خذرها فلا يقبح بمثلها" نحو قول أوس:

إِذَا نَاقَةٌ شَدَّتْ بِرِحْلٍ وَتَمَرَّقُ إِلَى حَيْكُمُ بَعْدِي فَضَّلَ ضَلَالُهَا⁽¹⁾.

وفي عصر صدر الإسلام أخذ فن الهجاء وغرضه امتداده الطبيعي لكنّه اتّسم بالطابع الديني والسياسي، فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحا ماضيا ضد خصومة مشركي قريش وأعداء رسالته، إذ كان يرى أن وقع نبيله أشد عليهم من وقع السهام⁽²⁾، وقد تحدث ابن رشيق في باب الهجاء عن عقوبة الهجاء في الإسلام، فاستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال في الإسلام هجاء مقدعا فلسانه هدر» ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له: إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديتهم فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر، ولكن حبانى هؤلاء فمدحتهم وحرمني هؤلاء فذكرت حرمانهم، ولم أنل من أعراضهم شيئا⁽³⁾.

وقد تحدث ابن رشيق عن أبلغ الهجاء فيقول: وقال خلف الأحمر: أشد الهجاء أعفه وأصدق، وقال مرة أخرى: ما عف لفظه وصدق معناه، ومن كلام صاحب الوساطة، فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه، وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب وأصوقه بالنفس⁽⁴⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 170.

2- عدنان غزوات وآخرون: الأدب العربي، بغداد/ العراق، ط01، 1968، ص 29.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 2/ 170.

4- المصدر نفسه، 2/ 171.

فالشعر حسب نظرة ابن رشيق يحرك النفوس إلى فعل شيء أو التخلي عن فعله وذلك بتأديبها وتهذيبها عن طريق غرس القيم والمبادئ حتى ترتفع النفس وترقى عن كل ما يؤذيها، كما يحث هذا الأخير على أن يلتزم الشاعر في هجائه على تقريب المعاني وأن يعلق القلب والنفس به وأن يتجنب السباب وغيره.

كما نجده يورد في هذا الباب أجود الهجاء فيقول: وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض⁽¹⁾.

وما نستشفه من الحديث السابق عن الهجاء والأمثلة التي أوردها ابن رشيق أنه بحث على أن يؤدي الهجاء وظيفة الدفاع عن النفس وطلب الجماعة وأن لا تنفر منه النفس عند سماعه وأن لا يؤدي غيره بشعره وهجائه وأن يترك وقعا على القلب ليتأثر بما يسمع فيقنعه بذلك، فيدخل الهجاء في باب التوجيهات النفسية في اللسانيات التداولية، وهي انفعالات يتوجه بها الشاعر إلى غيره ليؤثر ويقنعه وينبئه؛ فالهجاء مثل الوعظ غايته الحث والإقناع وبذلك فهو يحمل في طياته بعدا تداوليا مرتبطا بنظرية الأفعال الكلامية تحت مسمى "التوجيهات" وحتى "البوحيات".

5- الاستلزام التخاطبي (Conversational Implicature):

يعد الاستلزام التخاطبي من أهم القضايا التداولية والتي لا يمكن فصله عن نظرية الأفعال الكلامية والتي شكلت على مرحلتين: المرحلة الأولى: وهي مرحلة الفعل الكلامي المباشر مع فلاسفة اللغة العادية أوستين وسيرل، والمرحلة الثانية مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر مع بول غرايس (Paul grice) الذي يرجع الفضل له في إرساء هذا المفهوم الحديث⁽²⁾. وقد تطرقنا في الفصل الأول لمفهوم الاستلزام التخاطبي وقواعده.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 174/2.

2- ينظر: العياشي إدراوي: الاستلزام الحواري في التداولي اللساني من الوعي بخصوصيات الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2011، ص 07.

أما الذي يهمننا هنا هو أن المتطلع لكتاب العمدة لابن رشيق يلحظ في دراسته النقدية والبلاغية للأساليب البلاغية اعتمادا على المقامات والسياقات التي تؤدي فيها، وقد تناول هذه الآليات حسب معنى صريح ومعنى ضمني، كما ربطها بقضية المعنى، ومعنى المعنى، وقد تناول بالدراسة الاستدلال لمجموعة من الآليات البلاغية كالاستعارة والتشبه والكناية وغيرها، وهي ملازمات يتم الانتقال فيها من التعبير اللغوي المباشر إلى معاني ضمنية مستلزمة من المعنى الأول، كما تنتقل المخاطب من المحتوى القضوي للعبارة والقوة الإنجازية الحرفية لها إلى مستوى ثان ذي معان تجعله أقرب أكثر من غرض المخاطب أو الشاعر ومقصده، وقد جاء تحت مسمى الاستلزام الحواري في عرف علماء اللسانيات التداولية، حيث تعدّ قضية المعنى من القضايا المهمة التي شغلت بال الكثيرين من العلماء والمفكرين العرب قديما والجدير بالذكر في هذا المقام أن الأساليب البلاغية التي تخرج عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى، تستشف وتفهم من المقام المؤطر للعملية التواصلية، وهو الأمر الذي يضيف عليه مستويات تداولية واضحة -في بعض مناحيه الانتقالية- من نظرية الاستلزام الحواري ودراسات أحمد المتوكل في هذا الصدد تثبت هذا الطرح⁽¹⁾.

وقد تظن ابن رشيق إلى إمكانية خروج الأغراض من معانيها الأصلية إلى معاني سياقية أخرى ونلفي ذلك بوضوح عند حديثه عن الكناية في باب الإشارة حيث يقول: «أنه من أنواع الإشارات الكناية والتمثيل»⁽²⁾.

وقد ذكر بأن التورية في أشعار العرب هي تعد كناية: بشجرة أو شاة، أو بيضة أو ناقة، أو مهرة وما شاكل ذلك كقول المسيب بن علس:

1- ينظر: واضح أحمد: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، إشراف: لزعر مضار رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات، كلية اللغات والفنون، جامعة وهران، 2012/2011م، ص 272.

2- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 305.

دَعَا شَجَرَ الْأَرْضِ دَاعِيَهُمْ لِيَنْصُرَهُ السِّدْرُ وَالْأَثَابُ

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون في الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش عظيم⁽¹⁾.

والكناية تعد لونا من ألوان التعبير غير المباشر ذلك أنه تقوم على الانتقال من الدلالة الحرفية للعبارة إلى الدلالة المستلزمة عنها في المستوى الباطني مع جواز إرادة المعنى الحرفي والحقيقي فقط، وهو ما يميزها عن المجاز والتشبيه اللذين لا يصح فيهما إرادة المعنى الحرفي بل يشترط فيهما الانتقال إلى المعنى المستلزم (المجاز)⁽²⁾.

وقد أورد ابن رشيق قولاً للمبرد يتحدث فيه عن ضرب الكناية يقول فيه: الكناية على ثلاثة أوجه: هذا الرأي ذكرته أنفاً (وهي أن الكناية اشتقاق الكنية لأنك تكني عن الرجل بالأبوة، فنقول أبو فلان، باسم ابنه، أو ما تعرف في مثله، أو ما اختار لنفسه تعظيماً له وتفخيماً، والثاني: التعمية والتغطية التي تقدم شرحها (وهي نوع من أنواع الإشارة، حيث قدم فيها مثلاً كقول أبي نواس:

واسم عليه خبن للصفاء

وهذا مثل للطير وما شاكله وهو معنى مشهور⁽³⁾.

والثالث: الرغبة عن اللفظ الخسيس كقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا^ط قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٧﴾⁽⁴⁾، فإنها فيها ذكر كناية عن الفروج ومثله في القرآن وفي كلام الفصحاء كثير⁽⁵⁾.

1- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 311.

2- باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، مرجع سابق، ص 215.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 309.

4- سورة فصلت، الآية 21.

5- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 313.

وقد استدل ابن رشيق عن الكناية الكثير من الأمثلة، حيث يقول: «والعرب تجعل المهابة شاة، لأنها عندهم ضائنة الضباء ولذلك يسمونها نعجة، وعلى هذا المتعارف في الكناية، وجاء قول الله عز وجل في إخباره عن خصم داوود عليه السلام: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾⁽¹⁾. كناية بالنعجة عن المرأة وقال امرؤ القيس:

وَبَيْضَةٌ خَدْرٍ لَا يَرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَنَعَتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ⁽²⁾.

كناية بالبيضة عن المرأة⁽³⁾، وتقوم الكناية هنا على لوازم تساعد في توسيع المسافة بين المعنى الأول والمعنى الثاني المقصود، وذلك ما يدفع بالمتلقي إلى إمعان الفكر والحديث عن مظاهر التداولية عند ابن رشيق يكمن في أسلوب الكناية هنا، لأنها تقوم على المعنى المضمر الذي يستشفه المخاطب عن طريق الفهم الجيد للعبارة وللخطاب والسياق الوارد فيه، حيث يظهر لبعد التداولي للكناية في كونها لا تدل على المعنى المباشر الصريح، وإنما تنتقل بالمتلقي إلى دلالات أخرى ضمنية مستلزمة، متجاوزة بذلك المعنى الحرفي للعبارة، والدليل على ذلك الأمثلة التي استدل بها ابن رشيق في هذا الجانب، كما تدرك أن الوصول إلى (القصدية) (L'intentionnalité) ليس بالأمر السهل الذي يمكن أن يتخطاه المتلقي إلى بعد فهمه للسياق وإعماله للفكر، وذلك وفق ترابعية منتظمة تؤدي به إلى كشف المستور من وراء الفكر المجازي.

كما أنّ هذه الآلية البلاغية تشترك مع الجهاز المفاهيمي التداولي، وبخاصة تلك التي اهتمت بالتنظير للاستراتيجيات الأخلاقية المؤلفة للخطاب، ومن أهمها مبدأ التأدب الذي اهتم به الكثير من الفلاسفة واللغويين التداوليين أمثال "روبين لاكوف" وتنظيراتها

1- سورة ص، الآية 23.

2- ديوان امرؤ القيس، ص 13.

3- القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مصدر سابق، 1/ 312.

المتعلقة بقواعد الكفاءة التداولية الوضوح والتأدب⁽¹⁾. والباحث "ليتش" (litch) في إطار ما عرف بالاستراتيجيات التلميحية⁽²⁾، بالإضافة إلى الفيلسوف اللغوي "سورل" في عرضه للأفعال الكلامية العرفية التأديبية⁽³⁾، حيث ركزت جهودهم الفكرية على مبادئ أساسية تفضي إلى نجاح العملية التخاطبية وفق سياق معين، وبالتالي فإن الانتقال من الكفاءة اللغوية (Compétence linguistique) إلى الكفاءة التداولية تستدعي البحث عن مقاصد الاستعمال الكنائي وفقا لتخمينات وتصورات المتلقي.

وفكرة الانتقال من الصريح إلى الضمني لا تتوقف إلا على الكناية فقط، وإنما نجد أيضا التشبيه والاستعارة والمجاز، وقد تحدثنا آنفا عن مفهوم التشبيه وما جاء به ابن رشيق من رؤى في مجال التشبيه بما يقابل النظرية الحجاجية، تجعلنا ندرك أن التشبيه قد أدرجه الباحثون ضمن الاستلزام الحواري، ذلك أن المتمعن جيدا في أنواع التشبيه يجد ذلك التحول والانتقال الدلالي لمعاني ثوان مستلزمة وهو نفسه لدى الاستعارة فهي مجاز تكون علاقته المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي الذي استعمل فيه اللفظ للدلالة على قصد المتكلم، مع وجود قرينة تصرف الذهن عن إرادة المعنى الذي وضع له اللفظ في اصطلاح التخاطب، وتنقله للمعنى المستلزم من السياق اللغوي والملائم له⁽⁴⁾ ولعل هذه المقابلة بين ما طرحه وقدمه ابن رشيق في كتابه "العمدة" من جهة وبين "جوقن سيرل" و"بول غرايس" من جهة أخرى فيما يخص المعنى الصريح والمعنى الضمني المستلزم تعكس لنا قدرة العمدة على الافتراض والتلاقي مع النظريات اللسانية الحديثة وتبين لنا عمق الرؤية البلاغية والتداولية والنقدية عند ابن رشيق في تحليله ووصفه

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 99.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 377.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 372.

4- باديس لهويميل: مظاهر التداولية، ص ص 207-208.

ونقده وتقييمه، فأساليب البيان عنده (تشبيه، كناية، مجاز، استعارة) تعد جميعاً طرقاً متباينة للتعبير عن المعنى بطريقة غير مباشرة مما تعكس لنا مظاهر التداولية فيها وهي:

- التعبير عن المعاني بطريقة ضمنية غير مباشرة (فعل إنجازي مباشر) في قالب صورة جميلة تقوم على الخرق الدلالي للعبارة والانتقال بها إلى معاني مستلزمة.
- التعبير عن المعنى له أغراض معينة وهي: الإيضاح والإفهام والإبانة للمتقني وبالتالي إقناعه والتأثير فيه، وتعد هذه الوظيفة وظيفية حاجية بالدرجة الأولى.

خائِمْ

يهتم هذا البحث بتحقيق التقارب والتكامل بين التراث العربي وبين اللسانيات التداولية الحديثة، وتكمن أهميتها في الكشف عن التفكير التداولي وبخاصة لدى ابن رشيق القيرواني، وإثبات ضمه للعديد من التوجيهات والأفكار والآليات التداولية، ويتم هذا من خلال إسقاط النظرية الحجاجية والأفعال الكلامية، وحتى نظرية الاستلزام الحوارية على ما يحتويه تراثنا اللغوي من أسس ومعارف منهجية قد أقامت لهذه النظرية، ولكنها تصب في قالب الاستعمال الفعلي للغة، وهذه الدراسة جاءت كمحاولة لتسليط الضوء على النظرية التداولية، وإظهار نقاط التقارب بينها وبين البلاغة العربية عند أحد أعلام اللغة والنقد وهو ابن رشيق القيرواني، ذلك أن التداولية تعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال وتهتم بأقطاب العملية التواصلية، فتزاعي المخاطب (الشاعر) ومقاصده وتراعي حالات المتلقي المختلفة أثناء الخطاب، كما تهتم بالخطاب ذاته وبالظروف والأحوال الخارجية للعملية التواصلية.

بناء على ما قدمه ابن رشيق في كتابه العمدة وما قدمت له النظرية التداولية الحديثة، جعلنا نكتشف العلاقة الوطيدة بين البلاغة العربية والتداولية، حيث نلاحظ تداخلا واضحا في الكثير من النقاط بينهما، فالبلاغة تبحث هي أيضا في أطراف العملية التواصلية من متكلم وسماع وخطاب (شعر) ومقامات ومقاصد وغيرها، وكذلك توظيفها للآليات الحجاجية في علمي البيان والبدیع، وتجلي نظرية الأفعال الكلامية من خلال أغراض وأساليب الشعر المختلفة التي تعرض لها ابن رشيق في كتابه، وكذا كشف نظرية الاستلزام الحوارية في علم البيان بخاصة في الصور البيانية (الكناية والمجاز والاستعارة وغيرها)، كل هذا ينم عن علاقة اللسانيات التداولية بالبلاغة العربية وبفكر ابن رشيق وعنايته الكاملة بعناصر التداول المختلفة، فقد كانت بلاغته بلاغة مقاصد وأحوال مع تفتنه وحته على مبدأي القصد والإفادة في الخطاب والشعر، وهي من أبرز المبادئ التي تركز عليها النظرية التداولية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن أصول هذه النظرية كانت حاضرة بقوة في مباحث أو فكر ابن رشيق.

فإنّ تناول التراث العربي إذا لدى ابن رشيق بمنظور تداولي حدّثي يفتح لنا باباً آخر للتطلع إلى التراث الفسح والضم، ويوسع من آفاق رؤيتنا له ويساعدنا على كشف وفحص منهجيته وخصائصه المعتمدة.

وتوصل البحث إلى النتائج التالية:

- اللسانيات التداولية تعد غير المنطلق وهي أساس للعديد من النظريات والأبحاث العلمية اللسانية وغير اللسانية، وذلك لما تحويه من نتائج منظمة ودقة في مناهجها وتحليلها المعمق للكثير من الدراسات، حيث تعنى وتهتم بالمعنى وتغيراته المختلفة وفق سياقات استعماله.
- علوم البلاغة عند ابن رشيق تحمل في طياتها بعداً تداولياً في العديد من أساليبها وآلياتها، .
- لأنها تقوم على العناية بأهم عناصر العملية الخطابية والتي تهتم بدورها بالخطاب -أي باللغة- والتي تعنى بها التداولية أثناء استعمالها المختلفة مع مراعاة المقاصد والغرض من ورائها.
- دور علوم البلاغة في أغلب تعاريف البلاغيين القدامى يقوم على الإفادة والإفهام والتبليغ وعلى التأثير في المتلقي وعلى المقام الذي ورد فيه الخطاب ، كما تبيّنت لنا أنّ الصور البلاغية ليست مجرد صور للتميق والزخرفة وتزيين الخطاب والشعر بل أداة لإنجاز أفعال وتحسين حالة المخاطب وإذعانه والتأثير فيه.
- يضم كتاب "العمدة" آليات بلاغية عديدة تتباين فيما بينها لكنها تصب وتؤول إلى بنية خطابية واحدة تقوم على التركيب والدلالة والتداول.
- كشف لنا البحث عن احتواء التراث اللغوي العربي على آليات وأفكار تداولية منها اعتماد ابن رشيق على الأبعاد اللغوية كالحجاج في طيات كتابه سواء بطريقة

- مباشرة أو ضمنية نستدرجها من خلال البحث والفحص، وكذلك نظرية الأفعال الكلامية التي ظهرت في أغراض الشعر المختلفة وهي بؤرة المنهج التداولي.
- تجلّي الحجاج بصورة واضحة قوية في كتاب "العمدة" وكأن الكتاب جاء حجة دامغة دفاعا عن الشعر والشعراء وعمن يكره الشعر وحتى دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم. كما ظهر جليا في علم البيان وصور المتعددة وفي علم البديع ودعم ابن رشيق وتوجيهه للشاعر باعتماده الأساليب البلاغية لإفادة المتلقي والتأثير فيه وإقناعه بالطرق المختلفة.
 - غاية الحجاج الأساسية هي التأثير والإقناع والإفهام.
 - اهتمام ابن رشيق بعملية القصد والإفادة، وتوجيه الشاعر إلى الاهتمام بهما وإدراجهما في شعره بغرض إيصال شعره إلى ذهن السامع وتقبله والتأثير فيه.
 - عرض وتقديم ابن رشيق للكثير من الأساليب كالإيجاز والتقديم والتأخير، الحذف المساواة، اعتدال الوزن والاكتفاء لأنها تحمل المتلقي على الاقتناع في جميع المعاني الممكنة، كما تعرض للإطناب للتدرج في إقناع المخاطب بمعاني الشعر والخطاب.
 - اهتمام ابن رشيق بأسلوب الإيجاز والاتساع والتقسيم وغيرها والتي تعتمد قاعدة الكم والكيف (الأسلوب) عند بول غرايس في مبدأ التعاون والتي تساعد على نجاح العملية التخاطبية.
 - يقوم فكر ابن رشيق على مبدأ القصد والإفادة ومراعاة ذهن السامع وحالاته المختلفة ومقتضى الحال (المقام).
 - حث الشاعر على مراعاة مقامات الشعر والفئة التي تقدم لها الشعر كل حسب رتبته ودرجته ومقامه والبيئة التي يعيش فيها.
 - عبارة "لكل مقام مقال" التي اهتم بها ابن رشيق وأدرجها في باب من أبواب كتابه تؤكد من خلالها طريقة تحليله وتبين دور السياق بنوعيه المقالي والمقامي في تحديد الوظيفة الاجتماعية للغة التي يؤديها الكلام.

- تندرج المظاهر التداولية وتتحقق في فكر ابن رشيق في كتابه "العمدة" بعمق، فربطه بين بنية الشعر الخطاب من جهة وبين أغراضه وملابساته من جهة ثانية على أنها كل متكامل وجزء لا يتجزأ من بعضها البعض.

ومن أهم التوصيات التي خرج بها هذا البحث ما يلي:

- دراسة الاستراتيجيات الحجاجية التداولية على كتب النقد العربي كما يحتويه من آراء وحجج دامغة سواء ما تعلق بالشعر أو بالنثر.
- استثمار الرؤية التداولية من خلال تطبيقها على نصوص أدبية متنوعة، شعرية ونثرية.
- تطبيق دراسة النظرية التداولية على القرآن الكريم وذلك لأنه مصدر ضخم يحتاج إلى دراسة واعية متعمقة وواسعة لما يحتويه من أساليب بلاغية ونحوية متباينة.
- كشف الآليات والابعاد التداولية في خطابات دينية سواء في العصر الجاهلي أو العباسي.

يمكن القول في الختام أنّ القدماء سواء أكانوا أصوليين أم نحويين أم بلاغيين أم نقادا قد خلفوا إرثا معرفيا ثريا، كشف لنا عن وعي عميق بدور الظواهر اللغوية الاجتماعية والثقافية وإدراكهم لخلفيات معرفية وسياقية لأطراف العملية التواصلية، وهي معطيات تداولية بالدرجة الأولى، واهتمامها البالغ بالمقاصد ومقامات وأغراض الخطاب المختلفة، مما يسمح بإعطاء الدرس التراثي العربي مقومات تداولية في العديد من جوانبه إذ يساعد على الكشف والتعرف على العديد من أوجه التميز والتفرد في الدراسة والبحث بإضافة إلى ذلك يشجع الباحثين على السعي وراء التراث لكشف كل الأبعاد اللسانية الحديثة، والمقاربة بينهما ومد الجسر المعرفي بين الثقافتين لجعلها في قالب واحد متميز وثرى.

فائزہ المعاصروں والا مکرالجمعے

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2017.

1- المصادر:

(مدونة البحث)

1- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (390-456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، حققه وفصله محمد محي الدين عبد الحميد، ط05 (1401-1981).

2- المراجع:

أ- الكتب العربية:

2- إبراهيم (أنس)، منتصر عبد الحليم، الصوالحي عطية، الأحمد محمد خلف: المعجم الوسيط، ط02، (دت)، ج01.

3- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم): المثل السائر تح: الشيخ كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1998م، ج02.

4- ابن المعتز (أبو العباس عبد الله): كتاب البديع، شرحه وحققه، عرفان مطوجي ويلييه، العلم الخفاق من علم الاشتقاق لمحمد صديق حسن خان، علق عليه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، 1433هـ، 2012م.

5- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م، ج03.

6- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد): المقدمة، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 2005م.

- 7- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط01 1410هـ-1990م.
- 8- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلجان: فيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مج02.
- 9- أبي حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): البحر المحيط في التفسير، دار الفكر بيروت، لبنان، 2010م-1432هـ.
- 10- أجعيط (نور الدين): تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ط01، 2012م.
- 11- الأزدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد): جمهرة اللغة، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج01.
- 12- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: خفي محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة.
- 13- الأسود بن يعفر: ديوانه، صنعه: نوري حمدي القيمي، وزارة الثقافة والأعلام، سلسلة كتب التراث.
- 14- الأصمعي (عبد المالك بن قريب): ديوان الحجاج، تح: عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلسي، دمشق، ج02.
- 15- امرئ القيس: ديوانه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط04، 1984م.
- 16- الأنباري (أبو البركات): أسرار العربية، تح: محمد راضي محمد مدكور، وائل محمود سعد عبد الباري، مراجعة، فيصل الحفيان، الكويت، 1436هـ-2015م.

- 17- الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله): أسرار العربية، دراسة وتح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1418هـ-1997م.
- 18- الباجي الحلبي (عبي): البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط01 1376هـ-1957م.
- 19- الباقلائي (أبو بكر محمد الطيب): إعجاز القرآن، تعلق: صلاح بن محمد بن عريضة دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ-1996م.
- 20- البحتري: ديوانه، تح: حسن كامل، دار المعارف، مصر، مج01، 2009م.
- 21- البرقوقي (عبد الرحمن): شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة.
- 22- البستاني (عبد الله): البستان، مكتبة لبنان، مادة (بين)، لبنان، ط01، 1992م.
- 23- بشار بن برد: شرح ديوانه، رتب قوافيه وقدم له: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 24- بقورة (الزواوي): الفلسفة واللغة، نقد المنعطف في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، ط01، 2005م.
- 25- بن عاشور (محمد الطاهر): تفسير التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1994م، ج01.
- 26- بن عامر (محسن): البعد الحجاجي في مرزيان تامة لابن عرب شاه، جامعة صفاقس، تونس، جانفي 2012م.
- 27- بوجادي (خليفة): في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في لدرس العربي القديم بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط01، 2009م.

- 28- بوقرة (نعمان): المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، الجزائر، (د.ط) (د.ت).
- 29- البيضاوي (ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي): أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، (د.ت).
- 30- التبريزي (الخطيب): شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، 1414هـ-1994م.
- 31- التميمي (قحطان رشيد): اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة بيروت، لبنان، ط01، (د.ت).
- 32- التونجي (محمد): المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط02، 1419هـ-1999م، ج02.
- 33- الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط02، 1991م.
- 34- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تق وتب وشرح: علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1408هـ-1988م.
- 35- الجاحظ (أبو عثمان عمرو): الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط01، 1362هـ-1943م.
- 36- الجرجاني (عبد القاهر): أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هندراوي دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط01، 2001م.
- 37- الجرجاني (عبد القاهر): أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 1409هـ-1988م.

38-الجرجاني (عبد القاهر): أسرار البلاغة قرأه وعلق عليه: محمود أحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

39-الجرجاني (عبد القاهر): الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، 1418هـ-2002م.

40-الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد عبده ومحمد محمود الزركشي الشنقيطي، تع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01 1415هـ-1994م.

41-الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التتجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 2005م.

42-جرير: ديوانه: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ-1986م.

43-جيل (محمد حسن حسن): المعنى اللغوي (دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا) مكتبة الآداب، القاهرة، ط02، 2009م.

44-حاتم الطائي: ديوانه، شرحه وبسطه عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

45-الحاتمي (محمد بن الحسن بن المظفر): حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تح: جعفر الكتاني، بغداد، 1979م، ج01.

46-الحباشة (صابر): التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر دمشق، ط01، 2008م.

47-حسن خان (محمد صديق): العلم الخفاق من علم الاشتقاق، تح: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، ط01، 1433هـ-2012م.

48-حلاسة (هنا): بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، مركز الكتاب الأكاديمي عمان، ط01، 2016م.

49-حلمي (خليل): مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.

50-الحميداني (محمد حمود): المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني دار الكتب العلمية، بيروت.

51-خطابي (محمد): لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط01، 1991م.

52-الخفاجي (شهاب الدين): عناية القاضي وكفاية الراضي ضبطه وأخرجه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1997م، ج02.

53-الخفاجي (محمد عبد المنعم) وعبد العزيز شرف: البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط01، 1982م.

54-خليفة (بشير): الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصوير التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط01، 1431هـ-2010م.

55-الدرويش (حي الدين): إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، اليمامة، ج04.

56-دريدي سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط02، 1432هـ-2011م.

57-الدمشقي (أبو عبد الله بدر الدين بن مالك): المصباح في المعاني والبيان والبديع تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

58-ذي الرمة: ديوانه، قدم له وشرحه: أحمد حسن سيح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 1415هـ-1995م.

- 59-الرازي (محمد بن عمر): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: سليمان حمودة دار المعرفة الجامعية، ط01، 2003م.
- 60-الرازي (محمد فخر الدين): الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 1418هـ-1997م.
- 61-الرازي (محمد فخر الدين): تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، (د.ط)، (د.ب)، ج01.
- 62-الرافعي (مصطفى صادق): تاريخ آداب العرب، كلمات عربية للترجمة والنشر مصر، القاهرة، 2013م.
- 63-الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلولو إسلام، دار المعارف، مصر، ط03.
- 64-الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1391هـ-1971م، ج09.
- 65-الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، (د.ب)، ط01، 1408هـ-1988م، ج01.
- 66-الزدجالي (سعود بن عبد الله): دراسة تداولية في أصول الفقه العموم والخصوص دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط01، 2016م.
- 67-الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مج02.

- 68-الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد): أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1419هـ-1998م.
- 69-الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): أساس البلاغة، دار صادر بيروت، (د.ط)، 1395هـ-1979م.
- 70-الزمخشري: (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت) ج02.
- 71-السجل ماسي (أبو محمد القاسم): المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، مكتبة العارف، المغرب، الرباط، ط01، 1980م.
- 72-السموأل: ديوانه، تح وشرح: واضح السمد، دار الجيل، بيروت، ط01 1416هـ-1996م.
- 73-سبيويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط03، 1408هـ-1988م، ج01.
- 74-السيد (شفيع): البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 75-السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، دمشق.
- 76-شاهر الحسن: علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2001م.
- 77-شاهين (أحمد فهد صالح): النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط01، 2015م.

78- الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى): النكت في تغيير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه: يحي مراد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

79- الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى): ديوان امرئ القيس بن حجز الكندي، اعتنى بتصحيحه: ابن أبي شيب، المكتبة الوطنية، الجزائر، (د.ط)، 1974م.

80- الشنقيطي (خديجة حفوظ محمد): المنحى التداولية في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط01، 2016م.

81- الشهيري (عبد الهادي بن ظافر): استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط01، 2004م.

82- الشيخ فريد: القسمة في علوم البلاغة، المعاني، البديع، العروض، دار الراتب الجامعية، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

83- الصابوني (محمد علي): صفة التفاسير، البيضاء، البلدية، الجزائر، ط05 1411هـ-1990م، ج01.

84- صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط01 2005م.

85- الصراف (علي محمود حجي): في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1431هـ- 2010م.

- 86-الصعيدي (عبد المتعال): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ-2005م، مج04.
- 87-صفي الدين الحلبي (عبد العزيز بن سوايا بن علي السننسي الحلبي)، شرح الكافية البديعية، تح: نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط02، 1412هـ-1992م.
- 88-الصولي: ديوان أبي نواس، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب العلمية، أبو ظبي، المملكة العربية المتحدة، ط01، 1431هـ-2010م.
- 89-ضيف (شوقي): في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 90-طرفة بن العبد: ديوانه، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط03، 1423هـ-2002م.
- 91-طلحة (محمود): مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2014م.
- 92-الطلحي (وردة الله بن ضيف الله): دلالة السياق، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط01، 2005م.
- 93-طه (عبد الرحمن): اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج02.
- 94-طه (عبد الرحمن): تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، (د.ت).
- 95-طه (عبد الرحمن): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط02، 2000م.

96-العازي (المظفر بن الفضل): نظرة الإغريض في نضرة القريض، تح: نهى عارف الحس، دمشق، 1396هـ-1976م.

97-عامر بن الطفيل: ديوانه، دار صادر، بيروت، لبنان، 1379هـ-1959م.

98-العباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحد): معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص، تح: محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ-1947م، ج2.

99-عبد المطلب محمد: البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1994م.

100-العتيبي (بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد): عمدة القارئ شرح صحيح البخاري دار الفكر، ج15.

101-عتيق (عبد العزيز): في البلاغة العربية علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، (د.ط)، (د.ت).

102-العجم (رفيق): موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.

103-العدوي (غيلان بن عقبة): ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط02، 1982م ج01.

104-العزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1426هـ-2006م.

105-العزاوي (أبو بكر): سلطة الكلام وقوة الكلمات، وزارة الثقافة والاتصال، المغرب ع 63/62.

- 106-عساسة (فوزية): مفاهيم البيان من منظار الأسلوبيات، كتاب العمدة لابن رشيق الجزائري أنموذجا، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط01 2017م.
- 107-العسكري (أبو هلال): الصناعتين الكتابة والشعر: تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط01، 2006م.
- 108-عشير (عبد السلام): عندما نتواصل تتغير- مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2006م.
- 109-عكاشة (محمود): الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، 2002م.
- 110-عكاشة (محمود): النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2013م.
- 111-عكاوي (إنعام فوال): المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط02، 1417هـ-1996م.
- 112-العلوي (حافظ إسماعيلي): الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 1431هـ-2010م، ج01.
- 113-العلوي اليمني (يحي بن حموزة بن علي إبراهيم): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1332هـ-1914م، ج01.
- 114-العلي صالح الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد: المعجم الصافي في اللغة العربية (د.ط)، (د.ت).

- 115- عمر (أحمد مختار): علم الدلالة، عالم الكتب، ط05، 1998م.
- 116- عمران قدور: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآن، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، ط01، 2012.
- 117- غزوات عدنان وآخرون: الأدب العربي، بغداد، العراق، ط01، 1968م.
- 118- الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري): الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 1407هـ-1987م، ج02.
- 119- فضل (صلاح): بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط01، 2004م.
- 120- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتاب، القاهرة، الكويت، الجزائر، (د.ط) (د.ت).
- 121- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي) ثم الحموي أبي العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج02.
- 122- القاضي (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي): المحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 1422هـ-2010م، ج01.
- 123- قدامة بن جعفر أبو الفرج: نقد الشعر، مطبعة الجوانب، قسنطينة، ط01، 1302هـ.
- 124- القرطاجني (أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط03، 1986م.

125-القرطبي (عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1427م-2006م، ج03.

126-القفطي (الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف): أنباء الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط01، 1406هـ-1986م.

127-كثير (عزة): ديوانه، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط01، 1391هـ-1974م.

128-الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط02، 1413هـ-1998م.

129-الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني): الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية وأعدده للطبع ووضع فهرسه، عدنان درويش محمد المصر، مؤسسة الرسالة، ط02، 1419هـ-1998م.

130-الكواز (محمد كريم): البلاغة والنقد والاصطلاح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2006م.

131-لاشين (عبد الفتاح): البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ط)، 1999م.

132-لبيد بن ربيعة العامري: ديوانه، دار الأرقم، ط01، 1417هـ-1997م.

- 133- المتوكل (أحمد): دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م.
- 134- المراغي (محمود): علم البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01 1411هـ-1991م.
- 135- مرتاض (عبد الملك): نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط02، 2010م.
- 136- المسدي (عبد السلام): التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب ط02، 1986م.
- 137- ملكاوي فتحي حسن (محررا): الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، هرنند، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط01، 2011.
- 138- مصطفى (عبد الشافعي): ديوان امرئ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 139- معلوف (لويس): المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 140- مفتاح (محمد): المقصد والاستراتيجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ومناظرات، الدار البيضاء، 1993م.
- 141- مقبول (إدريس): الأسس الابدستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007م.
- 142- ممدوح (عبد الرحمن): من أصول التحويل في نحو العربية، دار المعرفة الجامعية (د.ط)، 1999م.

- 143-ميلاد (خالد): الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية دلالية المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط01، 1421هـ-2001م.
- 144-النابغة الجعدي: ديوانه، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت.
- 145-النابغة الذبياني: ديوانه، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط03، 1426هـ-1996م.
- 146-النحاس (أبو جعفر أحمد): إعراب القرآن، تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب (د.ب)، ط02، 1405هـ-1985م، ج01.
- 147-نحلة (محمود أحمد): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2002م.
- 148-النحوي (جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العرب، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.
- 149-النواجي (شمس الدين محمد بن حسين): مقدمة في صناعة النظم والنثر، تح: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 150-الهاشمي (السيد أحمد): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف السميلي، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت.
- 151-الودرتي (أحمد): قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م.
- 152-وعزيز (الطاهر): المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط011990م.
- 153-يونس علي (محمد محمد): المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 2007م.

154-يونس علي (محمد محمد): علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط01، 2006م.

ب- الكتب المترجمة:

155- أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي الرباط، المغرب، (د.ط)، 1986م.

156-بروتون فيليب وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط01، 1432هـ-2011م.

157-بلانشيه فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار سورية، اللاذقية، ط02، 2007.

158-بول جورج: التداولية، تر: قصي العنابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، ط01، 1431هـ-2010م.

159-الجوهري الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 1407هـ-1987م، ج02.

160-دي بوجراند روبرت: النص والخطاب والإجراء، تر: الإمام حسان، عالم الكتب 1998م.

161-ديكرو أوزوالد وجان ماري شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط02، 2007م.

162-ديلاشن (الجيلالي): مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1992م.

- 163- روبول آن وموشلار جاك: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.
- 164- راسيتي فرانسو: فنون النص وعلومه، تر: إدريس الخطاب، دار توبقال لنشر الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2010م.
- 165- سيرل (جون): العقل، مدخل موجز، تر: ميشيل ضامبيستاس، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007م.
- 166- سيرل (جون): العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، ط01، 2011م.
- 167- الشيرازي (السيد صادق الحسيني): الموجز في المنطق، تح: مازن شاكر التميمي ط01، 1433هـ-2012م.
- 168- فان دايك: النص والسياق واستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر فنييني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.
- 169- لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت، باريس، ط02، 2001م، مج01.
- 170- ليتشن (جيوفري): مبادئ التداولية، تر: عبد القادر فنييني إفريقيا الشرق، المغرب 2013م.
- 171- ليونز (جون): اللغة والمعنى والسياق، تر: عياش صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط01، 1987م.

172-هدسون: في علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط03
2002.

ج- المجالات والمنشورات:

173-إدراوي العياشي: الاستلزام الحوارى فى التداولى اللسانى من الوعى بخصوصيات
الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2011م.

174-البستاني (بشرى): التداولية فى البحث اللغوى والنقدى www.ibtessama.com
منتديات مجلة الابتسامة، مؤسسة السياب، لندن، ط01، 2012م.

175- أسعد جواد يوسف الخفاجى، التريديد-دراسة بلاغية فى تقنيات الأسلوب القرآنى،
مجلة القادسية فى الآداب والعلوم التربوية، العددات (3-4)، المجلد7، 2008.

176-بعلى (حفناوى): التداولية البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة
والآداب، جامعة الجزائر، ع17، جانفى 2006م.

177-بلىغ (عبد): الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، وزارة الثقافة السعودية
ع23، 1994م.

178-بلخير (عمر): تحليل الخطاب المسرحى فى ضوء النظرية التداولية، منشورات
الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003م.

179-الجسمى (عبد الله): المنطق وتصور فنجنشتاين للفلسفة، مجلة عالم الفكر، المجلس
الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج29، ع01، يونيو، سبتمبر، 2000م.

180-حمرانى (عبد القادر): الحجاج فى دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى، جامعة
حسبية بن بوعلى، الشلف، (دع).

181-بن ذريل (عدنان): اللغة والدلالة آراء ونظريات، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق، ط01، 1981م.

182-الراجحي (عده): علم اللغة والنقد الأدبي، علم الأسلوب، مجلة النقد الأدبي (فصول)، ع02، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، صلاح عبد الصبور، 1981 مج01.

183-سالم محمد ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع04، يناير مارس، 2000م، ج28.

184-بن سمعون سليمان: البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، ع17، 2012م.

185-صحراوي (مسعود): الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مجلة الآداب واللغات، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ط01، 2005م.

186-صلاح عبد الصبور إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، ط01، 1993م.

187-الطيببائي (طالبي للسيد هاشم): نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منتديات مجلة الابتسامة www.ibtissama.com مطبوعات جامعة الكويت، دار التنوير، الكويت، 1994م.

188-عاشور منصف: ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، سلسلة اللسانيات منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، ط02، 2004م.

189-العزاوي (أبو بكر): نحو مقارنة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب ع04، السنة الثانية، شوال 1411هـ - مايو 1991م.

190- عزمي إسلام: لودفيج فتجنشتين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، القاهرة.

191- العيد (محمد): النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول 2000م، ع20.

192- فاخوري (عادل): الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر (الألسنية)، وزارة الإعلام، الكويت، ع03، 1989م، مج20.

193- قيطون قويدر: بلاغة التتميم والتكميل في القرآن الكريم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي.

194- كادة (ليلى): ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي، الوادي- الجزائر، ع01 2009م.

195- لهويل باديس: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع07، 2017م.

196- اللهبي (فهد مسعود محمد): المفاهيم التداولية وأثرها في اللسانيين العرب، تمام حسان نموذجاً، جامعة جازان (بحث مقبول للنشر).

197- لوشن دلال ولحمادي فطومة: الاستعارة الحجاجية، مجلة المخبر، جامعة بسكرة الجزائر، مارس ع05، 2009م.

198- المتوكل (أحمد): اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ الرباط (د.ط)، 1989م.

199-محجوبة (محمد حسين): تشارلز ساندرس بيرس، فيلسوف الأثر، مجلة، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ع06.

200-مرتاض (عبد الملك): مقدمة في نظرية البلاغة متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ع28، مج11، 2009م.

201-مصطفى (هيثم محمد): ملامح من النظرية الوظيفية التواصلية عند ابن جني في كتابه الخصائص، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج08، ع02.

202-مفقودة صالح: رأي ابن رشيق المسيلي القيرواني في الشعر ومكانته النقدية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ع03 2006م.

203-مقبول إدريس: في تداوليات القصد **on the pragmatics of intentionality** مجلة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس المغرب، مج28، 2014م.

د- الرسائل الجامعية:

204-التميمي نابلس صلاح ميول: قراءة الشعر الجاهلي في ضوء نظريات الحجاج أطروحة دكتوراه، إشراف: خميس أحمد حمادي الشهري، جامعة كربلاء، كلية التربية 2014م.

205-الجبوري (محمد نصيف جاسم): الاستطراد في القرآن الكريم، إشراف: نزهة جعفر حسن الموسوي، أطروحة ماجستير، تخصص: بلاغة، كلية التربية جامعة الموصل العراق، 2003م.

206- عسيري (حمزة بن محمد علي آل ياسين): التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم دراسة وتحقيق: بحث مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: أمين بن محمد باشا، المملكة العربية السعودية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1422هـ-2001م.

207- لكل سعاد: بنية الخطاب الحجاجي في الأعمدة الصحفية -دراسة تداولية لعمود نقطة نظام-، جريدة الخبر اليومي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، إشراف: العربي بوعمامة، كلية العلوم الاجتماعية، مستغانم، 2016-2017م.

208- مدور محمد: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة -دراسة تداولية- إشراف جودي مرداسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اللسان العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1435هـ-2014م.

209- واضح أحمد: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، إشراف: لزعر مضار، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات، كلية اللغات والفنون، جامعة وهران، 2011-2012م.

و- المراجع الأجنبية:

210-Atric (charadeau), dominique 'mainguneau): dictionnaire d'analyse du discoursn édition du seuil, 2002.

211-barbara, johnton koch : presentation as proof, the language of arabic anthropological. Vol 25 N° 01-1983.

212-Christoffer gefwert : wittgenstein on thought langage and philosophy from theory, to therapy, Rontledge, London and new york, 2000.

213-Francois récanati, naissance de la pragmatique, in : Quand dire c'est faire.

214-frans H. Van Eemeren and Rob Grootendorst, Analysing argumentative discourse, In Robert Trapp and Janice Sechetz (ed) perspectives on argumentation.

215-Frederic Goppleston, S.J A History of philosophy, modern philosophy : from Descartes to Leibniz, New York.

216-H. Paul Grice, Logique et conversation traduction française de Frédérique Berthet et Michel Bozon, revue communication n 30, 1979.

217-Huisman Denis, dictionnaire des philosophes, P.U.F. 1^{er} ed, 1984.

218-J.C. Anscombe et Oswald Ducrot : l'argumentation dans la langue Belgique, Mardage, 3^{eme} édition.

219-Junny Thomas: meaning in interaction an introduction to pragmatique longman London and New York 1996.

220-Lalande André, Vocabulaire, technique et critique de philosophie dictionnaire édition 2 vol Paris, presses universitaires, France, 1991.

221-Levinson, Stephen : Pragmatics, Cambridge University Press, 1983.

222-Lyons John : linguistic semantics, an introduction, Cambridge University Press, 1996.

223-Maingueneau Dominique: pragmatique pour le discours littéraire, Dumond, 1997.

224-Moeschler Jacques, Antoine Auchlin, introduction à linguistique contemporaine, Cursus, Amand Colin, 2000.

225-Ruth Amossy : L'argumentation sans le discours édition, Nathan, 2000.

226-Sapir Edward: language introduction to the study of speech, New York Harcourt, Brace, 1921.

227-Searle John R. (1983) intentionality, on essay in the philosophy of mindcombridge university press on the pragmatics of intentionality.

ي- المواقع الإلكترونية:

228-بنيونس عليوي: نظرية الملازمة بين المقاربة التداولية والمقاربة التأويلية، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2017-12-04م / 1439-03-15هـ www.alukah.net

229- موقع المكتبة الشاملة الحديثة <https://al-maktaba-org/book/10909/227p5>

بتاريخ: 2021-12-22.

فہرستِ اکتوبر

أ	مقدمة
	الفصل الأول: النظرية التداولية، قراءة في الموضوع، المنهج والإجراء
10	1- تمهيد
11	2- مفهوم التداولية
23	3- أهمية اللسانيات التداولية
24	4- الأصول الفلسفية للسانيات التداولية
35	5- أهم نظريات الدرس التداولي
36	5-1 نظرية الأفعال الكلامية
53	5-2 متضمنات القول
57	5-3 الاستلزام الحواري
62	5-4 الإشارات
66	5-5 القصدية
69	5-6 النظرية الحجاجية
81	6- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى
89	7- التداولية في الدراسات العربية القديمة
113	خاتمة الفصل
	الفصل الثاني: عناصر التداول عند ابن رشيق
115	1- نبذة عن حياة ابن رشيق القيرواني
115	2- من أهم مؤلفاته
118	3- الشعر في التراث العربي

120	4- في البلاغة العربية والاتصال
125	5- تداولية المتكلم في البلاغة العربية
130	5-1 التأدب في الكلام واعتبار السامع
132	5-1-1 مراعاة الحال السوسولوجوي
136	5-1-2 مراعاة الحال الذهني للسامع
137	5-1-3 مراعاة الحال النفسي والانفعالي
139	6- تداولية المخاطب عند ابن رشيق
142	7- المقام ومقتضى الحال
146	7-1 التقديم والتأخير
149	7-2 الحذف والافتراض المسبق
156	7-3 الإيجاز والإطناب
157	7-3-1 المساواة
157	7-3-2 اعتدال الوزن
158	7-3-3 الاكتفاء
163	7-4 ثنائية اللفظ والمعنى
169	7-5 الاشتراك
172	7-6 الاستطراد والتخلص والخروج
175	7-7 الفعل التأثيري عند ابن رشيق -الالتفات-
179	8- تداولية الخطاب في ذاته عند ابن شيق
182	9- خاتمة الفصل

	الفصل الثالث: الأبعاد التداولية في بلاغة ابن رشيق في كتابه "العدة"
183	1- خاصية الحجاج في الشعر العربي عند ابن رشيق
187	2- البعد التداولي لعلم البيان عند ابن رشيق
215	3- البعد التداولي لعلم البديع عند ابن رشيق
258	4- نظرية الأفعال الكلامية عند ابن رشيق
280	خاتمة
286	قائمة المصادر والمراجع
311	فهرس المحتويات

ملخص:

يمتاز تراثنا العربي بالمرونة والتحول، فهو صالح لكل الأزمنة والعصور وبإمكان الدارس الحديث التعامل معه وربطه بالدراسات الحديثة، وإسقاط مختلف النظريات والمناهج عليه، فهو غير ثابت أو مستقر بل يتمتع بالتحول لكونه ثري بالمعارف والعلوم، فالباحث بإمكانه اكتشاف بصمات النظريات الحديثة وبخاصة النظرية التداولية وآلياتها المتعددة، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على النظرية التداولية، وإثبات أصولها في البلاغة العربية القديمة في محاولة لتقريب هذه النظرية مع فكر ابن رشيق، ودراسته ونقده بما جاء في كتابه "العمدة" وفي هذا المنحى يندرج هذا البحث المعنون «بالتفكير التداولي عند ابن رشيق القيرواني من خلال كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»، رامية إلى إعادة قراءة التراث والبلاغة العربية بالنسبة لفكر ابن رشيق وما يتماشى مع اللسانيات التداولية الحديثة ومناهجها وآلياتها ومقوماتها وفي المقابل اكتشفنا أن فكر ابن رشيق ودراسته ونقده في كتابه العمدة لم يكن بمنأى عما جاءت به اللسانيات التداولية مفاهيمها ودراستها من التراث العربي القديم، حيث تعد امتدادا له باعتبار كل منهما تعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال ضمن سياقاتها ومقاماتها المختلفة.

Summary

Our Arab heritage offers a great flexibility and a capacity of transformation. It is indeed valid for times and era. The researcher may discover it and find a link with other modern studies and forget the different theories and methods. It is not stable or independent but it is capable of transformation since it is rich thanks to its knowledge and sciences, the researcher is able to discover the footmarks of the different modern theories mainly the relative theory and its different instruments. The present study aims at shedding light on the rotary theory, and to explain its origin in the old Arabic theory within an attempt to get more information on this theory. As regards the thoughts of Ibn Rachik and his studies and critics about what is existing in his book: the intention. In this framework we insert our research under the following title: The rotary thinking by Ibn Rachik El Kairawani through his book : El Omda, in the perfection of poetry and its letters and criticism with the purpose of reading the Arabic heritage and theories.

As regards the thoughts of Ibn Rachik and what is going with the recent relative linguistics and its ways and instruments and values, on the other side we discovered that the work of Ibn Rachik in his book : El Omda was not free of what is the recent studies by rotary linguistics, we noticed the latter has taken its concepts, studies from the old Arabic heritage as it is considered as a continuation of this heritage owing the study of language during the use within several contexts and different stages.



University of Larbi Tebessi - Tebessa
Faculty of Arts and Languages
Department of Arabic Language and its Literature



Title of the dissertation

*Rotary thinking of Ibn Rachik through his book
'El Omda' in the Perfection, Litterature and
Criticism of Poetry*

Additional dissertation to obtain PhD in the field of Language and Arabic Literature

Specialty: **Applied Linguistics**

Number	Name	Rank	University	Quality
01				
02				
03				
04				
05				
06				

Submitted by :

MESSAI Halima

Supervised by:

Pr. SAHLI Rachid